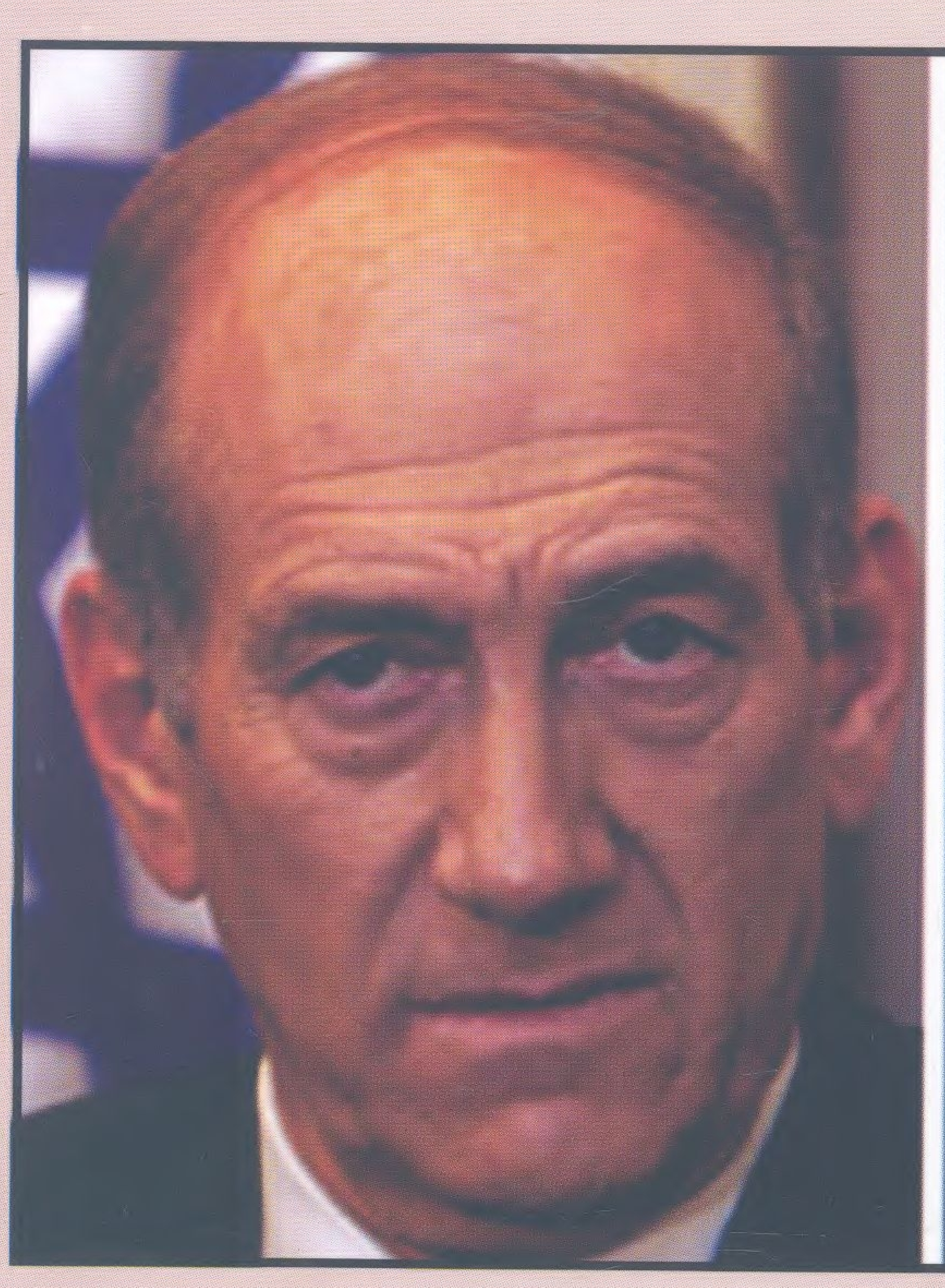
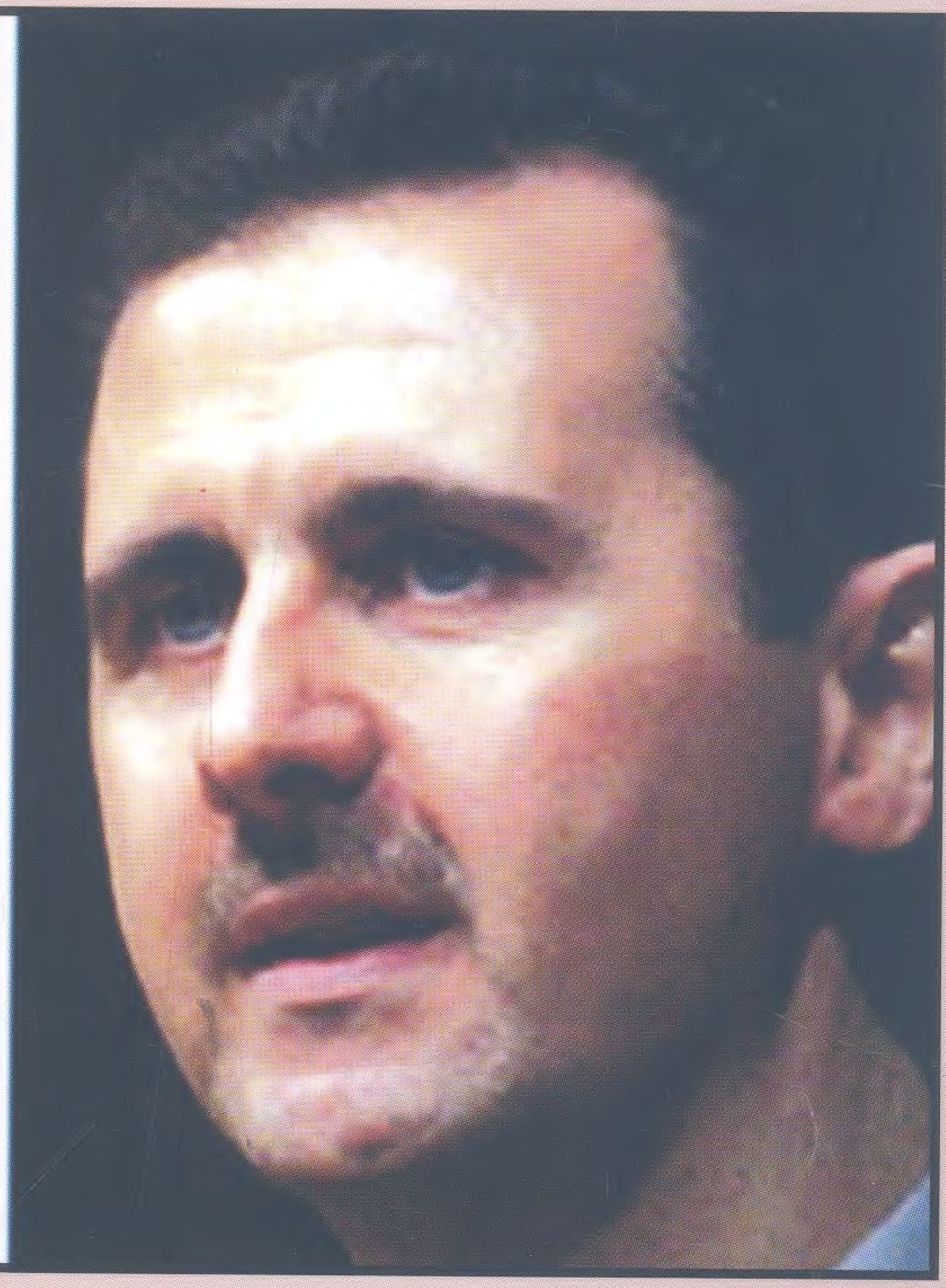
مختارات اسرائيلية



السنة الثالثة عشرة - العدد ١٥٤ أكتوبر ٢٠٠٧

Oct . 2007



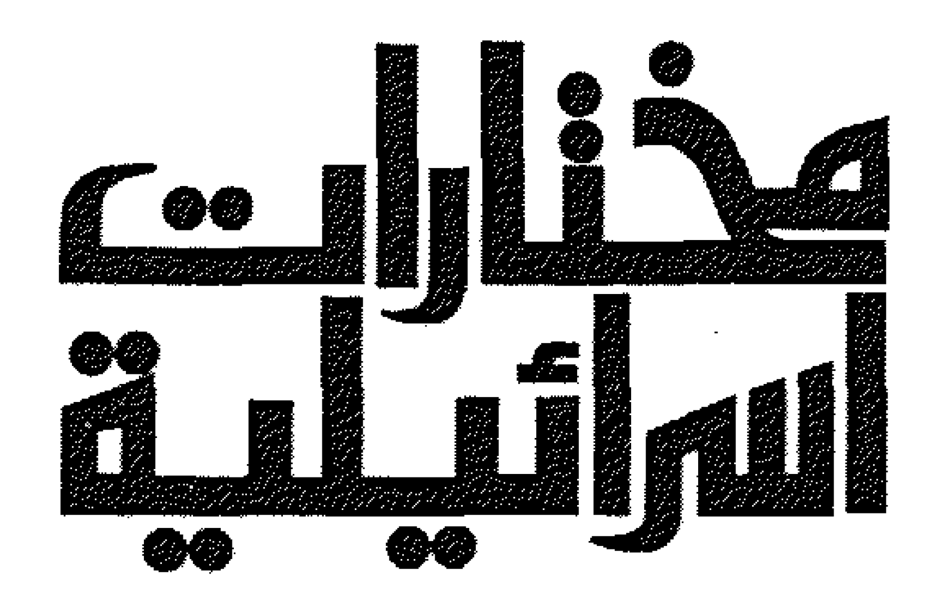


ترجمات عبرية

- أبعاد ظاهرة "النازيون الجدد" في إسرائيل
- أسرار وتفاصيل العملية الإسرائيلية في سوريا
- خيارات إسرائيل في التعامل مع قطاع غزة
- برغم زيادة حوافز التجنيد: تراجع الثقة في الجيش الإسرائيلي

رؤية عربية

- خطة خمسية لتطوير القوات المسلحة الإسرائيلية



مجلة شهرية تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

العدد ١٥٤ ـ أكتوبر ٢٠٠٧

الآراء الواردة فى هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأى
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

ت: ٥٧٨٦٣٠٠/٥٧٨٦١٠٠/٥٧٨٦٢٠٠ فاكس: ـ ٥٧٨٦٠٢٣

المحتويات



قبل الذهاب إلى واشنطن

يجري الحديث، بلا انقطاع، عن القمة أو اللقاء الذي سيُعقد في واشنطن في منتصف نوفمبر القادم، بدعوة من الرئيس الأمريكي "جورج بوش" وبتدبير من رأس الدبلوماسية الأمريكية "كونداليزا رايس".. والملاحظ أن الجدل حول القمة يدور في عواصم المنطقة المختلفة، ففي الدول العربية، مثلما هو الحال في إسرائيل، تتقسم المواقف ما بين مؤيد ومعارض لانعقاد هذه القمة وفق شروط محددة.. وبينما ترغب السلطة الوطنية الفلسطينية، ومعها العواصم العربية الرئيسية، في قمة حقيقية، يُتداول فيها اتفاق محدد كإطار عام للمفاوضات، وجدول زمني بضمان الرباعية الدولية وفي القلب منها واشنطن، يرغب التيار الرئيسي في الحكومة الإسرائيلية في مجرد لقاء لا يتناول القضايا الجوهرية ويكرس لتقديم الدعم الاقتصادي والأمني للسلطة الوطنية الفلسطينية، على أن تترك باقي التفاصيل "الجوهرية" للمسار الثنائي وإلى أن تتضح الظروف حسب الرؤية الإسرائيلية.. أما واشنطن فيبدو إجمالاً أنها ترغب في انعقاد القمة في حد ذاتها، فالقمة تعني اهتمام واشنطن بالعملية السلمية في المنطقة، ويجري التعامل معها باعتبارها إنجازاً للإدارة المأزومة في الشرق الأوسط.

يكشف مسار الصراع العربي – الإسرائيلي، بمنعطفاته المختلفة، عن أن المشكلة الجوهرية، في كل المحاولات التي جرت للتسوية، تمثلت بالأساس في المراوغات الإسرائيلية، وعدم الجدية الأمريكية، إضافةً إلى غياب الرؤية الواقعية لدى أطراف عربية.. وكانت المحصلة دائماً فشل متواصل للجهود، مع نجاح إسرائيل، وبدعم أمريكي، في تحميل الطرف العربي المسئولية عن الفشل.. فقد كشفت التجارب السابقة عن استعداد إسرائيل الجيد للقاءات أو القمم أو المؤتمرات، بما في ذلك صياغة الرواية التي ستُقدم للإعلام بعد فشل اللقاء، والتي تُحمِّل الجانب العربي المسئولية عما جرى. وقد بدا ذلك واضحاً في مفاوضات "كامب ديفيد الثانية"، التي جرت في الفترة من ١١ إلى ٢٥ يوليو من عام ٢٠٠٠, لذا، أعتقد أن الجانب العربي مطالب بدراسة تجربة مفاوضات كامب ديفيد الثانية واستلهام الدروس منها ووضع الضمانات الكفيلة بعدم تكرار التجربة التي قادت بعد ذلك إلى إعادة احتلال إسرائيل لما كان تحت سيطرة السلطة من أراض في المنطقتين (أ) و(ب).

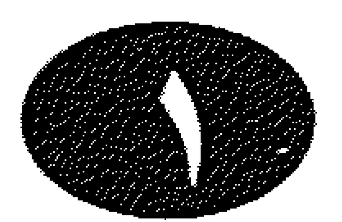
ويبدو مهماً للغاية هنا التأكيد على أن حضور قمة أو لقاء واشنطن، في ظل ضبابية الأسس وهلامية الإطار الزمني، سيُنتِّج "كامب ديفيد ثالثة"، بكل ما يمكن أن يترتب عليها: إما سلطة وطنية معادية لشعبها وحقوقه، أو سلطة لم تعد شريكاً للسلام.

لكل ذلك، لابد من التأكيد على ضرورة التوافق بين الدول العربية الرئيسية، وفي مقدمتها مصر والسعودية والأردن، على دعم مطالب السلطة الوطنية، المتمثلة في: إعلان مبادئ بأسس التسوية وفق حدود ما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧؛ دولة فلسطينية مترابطة الأجزاء عاصمتها القدس الشرقية؛ حل عادل لقضية اللاجئين.. على أن يوضع جدول زمني محدد للانتهاء من العملية برمتها لا يتجاوز العام، بحيث تنتهي قبل مغادرة بوش البيت الأبيض، وأن تضمن الرباعية، وفي مقدمتها واشنطن، هذه الأسس وتتعهد باحترامها وتلتزم بتطبيقها. وأن يصدر إعلان أمريكي بهذه الأسس توافق عليه الأطراف المختلفة قبل الذهاب إلى واشنطن.

ما لم تتحقق هذه المطالب المشروعة، فالأفضل للسلطة الوطنية والأطراف العربية المدعوة الاعتذار عن عدم الاشتراك في قمة جديدة، أو فخ جديد، فمهما كانت الخسائر المتوقعة من المقاطعة، فإنها لن تقارن بما سيترتب على المشاركة، وفق الشروط الإسرائيلية، من خسائر للجميع.

د. عماد جاد

◆ دراسات ◆



كتاب عرب طيبون
الاستخبارات الإسرائيلية وعرب إسرائيل: عملاء ونشطاء، متعاونون ومتمردون، أهداف ووسائل
(الفصل الخامس - ٣): تحالف الدم

تأليف: د.هليل كوهين

فى صباح أحد أيام شهر فبراير عام ١٩٥٦ توجه العريف موشيه يافت، من قِبل الإدارة العسكرية، بصحبة الشيخ مرزوق سعيد معدي، لتوزيع أوامر التجنيد على شباب القرية. وصل الاثنان إلى منزل سليمان سرحان طريف، وسألاه إذا كان ابنه فى سن التجنيد للخدمة العسكرية. صرخ طريف فى وجهيهما: "أنا لا أوافق أصلاً على تجنيد ابني. من هو ابن العاهرة هذا الذى وافق على إلزام الدروز بالتجنيد فى صفوف الجيش الإسرائيلي". وبعد ذلك توجه إلى المختار وقال له: "إذا تعرض ولدى للإصابة على الحدود المصرية أو السورية سأذبحك فى عرض الشارع". وقدمت شكوى إلى الشرطة بهذا الخصوص. بعد مُضى شهر وفى ساعة مُتأخرة من الليل كان كامل سلمان طريف أحد سكان قرية جوليس، البالغ من العمر ثلاثين عاماً، عائداً إلى منزله بالقرية. انقض عليه سبعة أشخاص كانوا قد كمنوا له بالقرب من منزله، وأسقطوه أرضاً، وعصبوا عينيه بكوفية، وفى غضون ذلك قالوا له: "سنرى كيف ستوقع عنا بعد ذلك وترسلنا للجيش". كان طريف قد أبلغ قائد كتيبة الأقليات فى اليوم السابق بأسماء بعض الشبان الدروز المفروض تجنيدهم، واعتبر هذا هو سبب تعرضه للهجوم.

لم تكن هاتين الحادثتين استثناءً كما أنهما تجسدان موقف غالبية المجتمع الدرزى بالتجنيد الإجبارى الذى فُرض عليه، بدءاً من الخدمة فى الاحتياط (عام ١٩٥٣) وبعد ذلك فى الخدمة النظامية (بدءاً من عام ١٩٥٦). كذلك فإن الحادثتين تشيران إلى الخلاف فى الرأى بين العائلات تجاه قضية التجنيد: فكما هو الحال فى عائلات أخرى كان هناك بين عائلة طريف نفسها مؤيدين ومعارضين للتجنيد. وهناك بيانات قسم التجنيد بإدارة القوى البشرية: فمن بين ١٩٧ مطلوب تجنيدهم من قرى الجليل الذين تم استدعاؤهم للخدمة فى مستهل عام ١٩٥٦ امتثل طواعية ٥١ فرداً فقط؛ ومن بين ١١٧ مطلوب تجنيدهم من قرى الكرمل امتثل ٣٢ فقط. وهو ما يقل كثيراً عن الربع.

على خلاف التصور الشائع، وبما يتنافى مع الادعاء بأن الدروز هم الذين طلبوا تطبيق قانون التجنيد الإلزامى عليهم، يتضح أن حماس الدروز لمسألة التجنيد فى صفوف الجيش الإسرائيلى كان محدوداً، وبلغة أخرى (حتى بين الزعامات هناك قليلون فقط - وعلى رأسهم أعضاء الكنيست جبر مُعدى وصلاح خنيفس ولبيب أبو ركن - أعربوا عن تأييد قوى للتجنيد). حتى استعدادهم لعقد "تحالف دم" مع الجيش الإسرائيلى كان محدود الضمان. وكما فهمت الجهات الأمنية كان الاعتراض يرجع لأسباب مختلفة، بعضها شخصية (عدم الرغبة بشكل طبيعى للخدمة فى الجيش)، وبعضها مرتبط بالسياسة الداخلية الدرزية (خلافات بين تيارات داخل الطائفة) وبعضها سياسية عامة (التوافق مع القومية العربية أو عدم الرغبة فى الإضرار بعلاقة الدروز مع الدول العربية). واعتبر القائمون على شئون الدروز فى ماباى وفى وزارات الحكومة أن ذلك يمثل فشلاً لزعماء الطائفة، الذين لم يقوموا بالإعداد الكافى بين الشباب. فى المرحلة الأولى من المناقشات عُرضت فكرة إلغاء وحدة الأقليات ودمج الدروز فى وحدات عادية. غير أن

قائد الوحدة يعقوف تسابيا عارض ذلك وأوضح: "هذه القوة البشرية تعانى من شعور بالنقص والشك لا يمكن التغلب عليه لمجرد وجودها ضمن وحدة واحدة مع جنود يهود"، وأضاف: "واعتقد أنه أيضاً لأسباب أمنية يُفضل أن يكونوا فى وحدة منفصلة حتى تجدى مراقبتهم نفعاً". وبناءً على ذلك قررت الأجهزة الأمنية الإبقاء على تلك الكتيبة، مع النظر فى القضايا ذات الصلة والقضاء على معارضة التجنيد من حلال العمل على مستويين مُتوازيين: الإقناع والإغراء (مثلاً عن طريق منح تصاريح بحمل السلاح لنشطاء فى مجال التجنيد)، واستخدام القوة. كانت وسيلة استخدام القوة يسيرة التنفيذ: فقد أرسل مكتب التجنيد إلى الشرطة قائمة لرافضى التجنيد، فقامت الشرطة بحملة اعتقالات ووجهت لهم اتهامات جنائية، ولم تفرج المحكمة عنهم إلا بعد أن أعلنوا عن رغبتهم فى التجنيد فى صفوف الجيش الإسرائيلي. فى الوقت نفسه فرضت الشرطة حظراً على معارضى التجنيد تشكيل أى تجمعات احتجاجية لأسباب إدارية.

وقد نال المعارضون كل التأييد من جانب زعماء الدروز فى الدول المجاورة، وعلى رأسهم سلطان الأطرش، زعيم الدروز فى سوريا. وفى مقابلة مع راديو دمشق أوضح الأطرش للمستمعين أن إسرائيل تستخدم طرقاً مُلتوية وبث الفرقة من أجل تجنيد الدروز، وأن المشايخ الذين يوافقون على التجنيد تدفعهم مصالح شخصية وهم لا يُمثلون الطائفة الدُرزية. وقد وعد عرب إسرائيل ومن بينهم الدروز، قائلاً: "إننا نبنى قوة فى كل الدول العربية لكى نحرركم من الاستعمار"، ودعاهم إلى عدم الانخداع بالدعاية الإسرائيلية. وفى نداء صدر فى بيان شارك فيه ثلاثة زعماء للطائفة فى سوريا ولبنان أعلن الأطرش أن الهدف من وراء التجنيد الإجبارى هو الإساءة إلى الدروز وإفساد علاقاتهم ببقية العرب. وادعى أن إسرائيل لن تمنح أبداً الدروز حقوقاً متساوية وستعتبرهم دائماً خونة (سواء لشعبهم أو لدولة إسرائيل). وختم البيان بالآتي... "جبر دهش (مُعدى)، وصلاح خنيفس ولبيب أبو ركن وآخرون أساءوا إلى سمعتهم الطيبة. فلتراجعوا أنفسكم، انظروا إلى مصيركم واعلموا أن إسرائيل تلعب بكم وتورطكم. ساندوا إخوانكم العرب فى صراع البقاء لأن يوم النصر ليس ببعيد. (..) النصر للعرب والموت للحكم الصهيونى وللمتعاونين معه".

وللتغلب على المعارضة الداخلية والخارجية وسعت الشرطة من عمليات اعتقال الرافضين. فى مستهل عام ١٩٥٧ جرت عملية لمحاصرة الرافضين للتجنيد فى قريتى دالية الكرمل وعُصفيا. وأرسلت قوة من الشرطة إلى كل قرية ومعهم قائمة بأبناء القرية من رافضى التجنيد ومارسوا نشاطاً علنياً مناهضاً للتجنيد. نجح رجال الشرطة فى عُصفيا فى اعتقال أثنى عشر منهم، رغم مظاهر الاعتراض غير العنيف من جانب أقربائهم. بينما كان الأمر فى دالية الكرمل أكثر تعقيداً. فقد رفض رئيس المجلس المحلى مرافقة رجال الشرطة بسبب الانتخابات البلدية الوشيكة، وانضم لقوة من شبيبة الكشافة التابعة للمجلس. فى الوقت نفسه وُجه تحذير إلى المعنيين بالأمر بأن الشرطة فى الطريق، ولم ينجح رجال الشرطة فى تطويق سوى ثلاثة، تم اعتقالهم وإحضارهم إلى مقر المجلس. وبسرعة كبيرة تجمع غالبية سكان القرية حول المبنى "وأعلنوا أنهم لن يسمحوا بخروج المعتقلين من مقر المجلس المحلى ولو بالقوة". تشاور ضابط الشرطة مع قائده، الذى سمح له بإطلاق سراحهم على شرط أن يمتثلوا للحضور غداً فى معسكر الشرطة. امتثل الثلاثة وحضروا (ووافقوا فى النهاية على الالتحاق بالخدمة العسكرية الجبرية) غير أن بقية أقرانهم استمروا فى رفضهم.

قام عشرة مشايخ من شفا عمرو وما حولها بكتابة أسباب رفض التجنيد فى صفوف الجيش الإسرائيلى بالتفصيل فى خطاب أرسلوه إلى رئيس الوزراء ووزير الدفاع، جاء فيه:

١- نظراً للظروف التوقيت الصعبة والحساسة التى نعيش فيها، فإننا نرفض بشكل نهائى وتام طلب الانخراط فى عمل إلزامى فى صفوف جيش الدفاع الإسرائيلي.

٢- نحن عرب إسرائيل ونتحمل ما يفرضه علينا القانون المدنى كدفع الضرائب المُقررة علينا. ولكن من الأهمية بمكان إدراك أننا قبل كل شيء عرب ولن يقاتل عربى أخاه العربى تحت أية ظروف وفى أى مكان.

٣- إن احتياج إسرائيل لخدماتنا نحن الدروز فى الجيش ليس حيوياً. ونحن الدروز يمكننا أن نخدم إسرائيل فى شتى المجالات الأخرى "المدنية" (..).

٤- يجب التعامل مع الدروز فى إسرائيل كما يتم التعامل مع كل العرب القاطنين فيها. فالجهة التى طلبت تجنيد الدروز إلزامياً فى الجيش، بالتأكيد لا تمثل الدروز.

كانت مبررات مُعارضى التجنيد لها قيمتها وقد وقّع عشرات المئات من الدروز (حوالى ١٥٠٠، حسب مصدر واحد) على عرائض بنفس المعنى. وأعربوا ضمناً عن خوفهم من أن التجنيد الإلزامى لن يضر فقط بمصالح الطائفة فى إسرائيل، بل سيُسيء إلى الدروز أيضاً فى الدول القريبة. وكان هناك من أعربوا وفى حدة شديدة عن معارضتهم للتجنيد، مثل الشيخ فرهود قاسم فرهود من قرية راما الذى قال إنه "يجب تصفية المشايخ الذين وقعوا تأييد تجنيد شباب الدروز" - ذلك على الأقل ما أفاد به تقرير أحد الوشاة وأرسلته الشرطة فى ملف تم إعداده فى مارس ١٩٥٧ فى قرية ياسيف.

على مدى عدة شهور بدا أن المعارضة الحاشدة يمكن أن تضع وزارة الدفاع أمام اختبار لموقفها، غير أن الأمور لم تمض بهذا الاتجاه. فلم تتمسك حركة الرفض بموقفها لوقت طويل فى مواجهة عمليات الإقناع والاعتقالات. فالقاعدة الجماهيرية للرافضين خاصة فى القطاع الخلفى لزعامة الطائفة أخذت تفتر، وتوقف الاحتجاج بالتدريج. وفى غضون شهرين كان بمقدور إدارة العمليات فى القيادة العامة أن تبلغ وزارة الدفاع بأنه فى أعقاب ما بذلته الإدارة العسكرية والشرطة من جهد توقف 'التحريض' ضد التجنيد، و"أصبح الموضوع برمته جزءاً من الماضي".

لماذا تمسكت المؤسسة الإسرائيلية بتجنيد الدروز ولم تتخل عن استخدام القوة فى سبيل ذلك ..؟ لقد أعطى مستشار شؤون العرب، زئيف ديفون، إشارة واحدة فى جلسة لجنة برلمانية معنية بشؤون الأقليات برئاسة رئيس الكنيست يوسف شفريتسك. وبدأ يجال ألون، النقاش الذى أسماه "صيد المتقاعسين". وقال ديفون: "فى البداية تشكلت الوحدة الدرزية من المتطوعين فقط. ولكن عندما تعذر وجود متطوعين بما فيه الكفاية انتقلوا – تطبيقاً لمشورة زعمائهم – إلى التجنيد الإلزامي". هذا هو التبرير الموضوعي. وقد عانت وحدة الأقليات من نقص فى القوة البشرية. فى البداية حاول الجيش توسيع معدل التجنيد عن طريق الدعاية والإقناع، ثم اقترح بعد ذلك منع تصاريح التنقل عن الدروز الذين لا يخدمون فى الاحتياط والتضييق عليهم بأشكال أخرى، ولكن دون جدوى. من هنا ظهرت فكرة التجنيد الإلزامي.

منطقياً يعتبر هذا التفسير مقبول. ولكن لا ننسى أن الجيش الإسرائيلى كان أمامه خيار إغلاق الوحدة، التى لم تكن أصلاً ذات تأثير فى قوات الجيش الإسرائيلي، غير أن هذا الخيار رُفض. المسئولون عن الموضوع، مثل ديفون حرصوا طوال الوقت على تأكيد أنه تقرر استمرار نشاط هذه الوحدة، ولو فى إطار تجنيد إلزامي، بناءً على طلب زعماء الطائفة. حتى بن جوريون نفسه الذى اهتم بالقضية مع تطبيق القانون على الدروز قال: "لم أوافق على إصدار أمر بشأن تجنيد الدروز بعد أن وعدنى بأن كل هؤلاء المتحدثين باسم الدروز، وجميع السلطات المدنية والدينية بكل الطوائف يوافقون على وتلقيت وعوداً بأنهم تحدثوا مع كل هؤلاء وهم موافقون. ولكن يبدو أن هناك قطاع من الشباب يرفضون الخدمة فى الجيش، وكذلك بعض الزعماء. إنها طائفة فى غاية الخطورة".

لم يكن مطلب زعماء الطائفة إلا حُجة فحسب. أما أسباب التعنت الإسرائيلى فيجب البحث عنها أولاً وقبل أى شيء فى المستوى السياسي. لقد كان الأطرش على حق إلى حد بعيد عندما قال إن هدف التجنيد كان عزل الدروز عن بقية العرب. كما أن المغزى من تجنيد الدروز فى صفوف الجيش الإسرائيلى كان وما يزال حتى الآن يرجع إلى مكانتهم كمقاتلين. ففى وثيقة تعود إلى كتيبة الأقليات ذكر هذا الأمر صراحة: "كان الأثر المباشر لوحدة الأقليات هو الطائفة الدرزية وربطها بنا، وإفساد العلاقات بين الدروز والمسلمين فى إسرائيل وزعزعة الثقة بالدروز بالخارج". ولم تكن إسرائيل لتتنازل عن هذا الإنجاز. وفى منتصف الخمسينات سعت إسرائيل إلى مزيد من استغلال الدروز، واقترح قائد كتبة الأقليات استخدامهم فى عمليات الأمن الداخلى والاستخبارات: "انخراطهم فى أنشطة التعليم والإعلام سيُقرب جيل الشباب من مشكلات إسرائيل وسيُضاعف إخلاصهم، وربما أمكن الاستعانة بالكثيرين منهم فى مجال الأمن الداخلي، والكشف عن العملاء لأطراف خارجية، والمتسللين والمهربين وما شابه. وهناك أشخاص مُحددين يتم اختيارهم بدقة ليكونوا همزة وصل مهمة فى العلاقات بالخارج فى مجال الاستخبارات وسياسياً بصفة خاصة".

كانت تلك، إن صحّت، هى الأسباب الأهم للتمسك بتجنيد الدروز. وهذا أيضاً هو السبب الذى جعل التبرير الرئيسى للمعارضين – كونهم عرباً ويرغبون فى الحفاظ على علاقاتهم بالعرب داخل إسرائيل وخارجها – لا يجد أذناً مُصغية: فعزلهم عن العالم العربى كان هدفاً أساسياً للتجنيد، وليس نتيجة ثانوية(١).

دفعة مؤثرة أخرى لتجنيد الدروز خلقها التنافس بين شخصيات إسرائيلية فى التأثير على الطائفة واحتياج شخصيات فى الطائفة لإيجاد داعمين لهم فى المؤسسة الرسمية. وأبرز الشخصيات التى كانت مشاركة فى أنشطة بين الدروز حتى منذ فترة الانتداب – شخصيات مثل رئيس بلدية حيفا، أبا حوشي، من ناحية، ويهوشع فلمون من ناحية أخرى – أيدوا التجنيد. فى المقابل، فى منتصف الخمسينات جاءت شخصيات من كل المعسكرات فى الطائفة لتعترف بأنها لن تنجح فى جمع قوة لها وزنها بدون تأييد المؤسسة الرسمية الإسرائيلية أو مُمثلين كبار لها. وللحصول على تأييدها كان على زعماء الطائفة تأكيد إخلاصهم للدولة وموافقتهم على تجنيد شباب الدروز. وكان هؤلاء الذين انخرطوا فى عضوية الحركة الصهيونية منذ فترة الانتداب – أعيان عائلة أبى ركن من عوسفيا وصالح خنيفس من شفا عمرو، غير المنتمين إلى كبار الزعامات – قد أيدوا التجنيد بصورة مُطلقة. وكشف البيان الذى أصدره لبيب أبو ركن عام ١٩٥٥ عن موقفه دون أى لبس. ودعا قائلاً: "تجندوا بأعداد كبيرة يا أبناء طائفتى ساهموا فى الدفاع عن الوطن، استعد أيها الشاب الدرزى للقتال وواصل جهدك للزود عن وطنك الحر، إسرائيل الزاهرة. لا تتردد فى القيام بواجبك تجاه وطنك العزيز... عاشت الحرية، عاشت إسرائيل عاش استقلال إسرائيل". وبالفعل، نال أبو ركن وخنيفس

تأييد قائد كتيبة الأقليات أمنون يناى، ومستشار رئيس الوزراء يهوشع فلمون. وقد عُين أبو ركن رئيساً للمجلس المحلى فى عوسفيا، وبعدها قاضياً فى المحكمة الشرعية الدرزية، وحظى خنيفس بتأييدهم فى حملاته الانتخابية للكنيست.

بالمقابل وقف الشيخ أمين طريف، الذى تحفظ على التجنيد لأنه أراد الحيلولة دون الإضرار بالعلاقات بين الطائفة الدرزية فى إسرائيل والتجمعات الدرزية فى الدول المجاورة، ولأنه خشى من المساس بالقيم الأخلاقية للشاب الدرزى. إلا أن موقفه هذا كان وبالاً عليه. لقد انشغل منذ قيام الدولة بتدعيم وضعه كرئيس للطائفة فى الوقت الذى كان معارضوه يُناوشونه بسبب غياب الشفافية فيما يتعلق بإدارة أموال وقف النبى شُعيب، أحد أهم مصادر الدخل للطائفة، ويستغلون تحفظه على تجنيد الدروز للإساءة إلى وضعه لدى السلطات. وبالفعل، أثار موقفه المعارض لتجنيد الدروز خلال حرب ١٩٤٨ ضغينة الأسر التى أرسلت أبنائها للقتال ضده (٢). وكان الشيخ صلاح على أبو ركن، أحد المكلومين فى أبنائهم خلال معركة قرية يانوح (التى قتل فيها فى أكتوبر ٤٨ عشرة جنود دروز من وحدة الأقليات بنيران المدافعين عن القرية) قد قال لمسئول وزارة الأديان يعقوف يهوشع: "لقد فرض الشيخ أمين طريف مقاطعة سرية على المنتسبين لجيش إسرائيل (أثناء حرب ٤٨) ولهذا السبب لم نستطع إحضار شهداء وحدة الأقليات فى معركة يانوح لدفنها، وتحولت جثامينهم طعاماً للطيور الجارحة". وعندما طرح موضوع تجنيد الدروز فى خدمة الاحتياط عام ١٩٥٣، عقد معارضو الشيخ أمين طريف مؤتمراً صحفياً شرحوا فيه بالتفصيل موقفه السلبى الرافض للاستيطان قبل حرب ٤٨ وأثناءها، وأرجعوا معارضته للتجنيد لأسباب عربية قومية.

أدرك سلمان طريف، شقيق الشيخ، أن مثل هذا الوضع يمكن أن يعرقل جهود أمين ليصبح زعيماً معترفاً به للطائفة وتكون له كامل السلطة على أملاكها مع صلاحيات التصرف فيها. ولذلك، عقد على الفور مؤتمراً صحفياً مضاداً لدحض الادعاءات المناهضة لشقيقه وتخفيف الانتقاد الموجه لمعارضته للتجنيد. وخلال المؤتمر أبدى أقطاب عائلة طريف موافقتهم على التجنيد بشرط أن يتم تغيير قادة كتيبة الأقليات، الذين تورطوا على حد قولهم فى الفساد، بآخرين. وبذلك نجحوا ليس فقط فى تخفيف الانتقادات الموجهة إليهم، بل أيضاً فى توجيه علامات استفهام لقائد كتيبة الأقليات أمنون يناى والمستشار يهوشع فلمون، اللذين أيدا معارضيهم، لبيب أبو ركن وصالح خنيفس. وختاماً لهذه الحملة اتصل طريف برئيس بلدية حيفا، أبا حوشى، من رواد الاتصال بالدروز فى الثلاثينات بينما كان آنذاك سكرتير مجلس عمال حيفا. وساعد هذا التضامن الطرفين: عائلة طريف وجدت لها نصيراً قوياً، ووجد حوشى وسيلة لاستعادة تأثيره بين الدروز. قام بدعم طريف، وكذلك عضو الكنيست جبر مُعدى، الذى ساعد هو أيضاً القوات اليهودية فى الحرب لكنه كان مُتحفظاً على التجنيد، وبدأ العمل لتغيير رأيهم بشأن التجنيد.

توقف الشيخ أمين وشقيقه سلمان عن إطلاق تصريحات معارضة للتجنيد بعد اتصالهما بحوشى وبعد مقابلة جرت بينهما وبين موشيه شيريت (التى لم تعرف تفاصيلها الكاملة). وتبنى سلمان بشكل مُفاجئ موقفاً جديداً، مفاده أنه سيكون من السهل على الدروز الالتحاق بالخدمة العسكرية إذا طبق عليهم قانون التجنيد الإلزامى، نظراً لأن التحاقهم بالخدمة كمُتطوعين يُظهرهم فى صورة سلبية أمام المجتمع. كان هذا بمثابة تسويغاً سمح لممثلى الدولة بالالتفاف حوله، الدروز المؤيدين للالتحاق بالخدمة العسكرية والدروز الذين قرروا أن الوقت قد حان لتأييد التجنيد الإلزامى. حتى الشيخ أمين تخلى عن معارضته، على شرط - قبلته وزارة الدفاع - أن يُعفى من التجنيد الطلاب المنخرطين فى الدراسات الدينية ورجال الدين. وبالتالى تم تحييد موقف عائلة طريف المعارض للتجنيد، وبرز وضع لم يعد فيه زعيم كبير رافضاً لتطبيق القانون على الدروز. وبات الطريق لتجنيد إلزامى للدروز - وتثبت مكانة الشيخ أمين كرئيس للطائفة - مُمهداً.

وبعد سنوات من تطبيق التجنيد الإلزامى على الدروز، ظهر مشروع الفصل بين الدروز وبقية العرب فى الدولة. فى عام ١٩٥٧ عُرف الدروز كطائفة دينية مختلفة (خلال فترة الانتداب كانوا يخضعون للمحاكم الشرعية الإسلامية، وهناك من اعتبروهم مذهباً إسلامياً وليس ديناً بذاته). فى عام ١٩٦١ تمكنت الطائفة من الحصول على وضع قانونى لمجلس دينى يخصهم، وبعد ذلك بعام تم التصديق على قانون المحاكم الدرزية وأقيم نظام قضائى درزى مستقل. وتحولت الاحتفالات الخاصة بالنبى شعيب، التى كانت فى الماضى تقتصر على رجال الدين، إلى احتفالات جماهيرية. وقام الطلاب الدروز بإعداد كراسات عن النبى شعيب وأثره، وفى المكان تم تنظيم مظاهر احتفالية من قبل جماعات الكشافة الدرزية، وأصبح القبر مكاناً لأداء اليمين للمُستجدين الدروز بعد تجنيدهم.

ووسط كل هذه التطورات، لا شك أن التجنيد فى صفوف الجيش الإسرائيلى هو "الذى فاقم أزمة الثقة بين الدروز وبين أبناء الطوائف الأخرى"، حسب تقديرات نائب مستشار رئيس الوزراء لشؤون العرب، أهارون ليش. وبخلاف التجنيد فى حد ذاته، كان الاستخدام المتعمد لوحدة الأقليات فى عمليات التمشيط داخل القرى المهجورة وفى طرد اللاجئين المتسللين إلى ديارهم كفيلاً بزيادة التوتر بين الطوائف.

خلال الستينات لاحظ ليش وبقية المسئولين عن الملف الدرزى فى المؤسسة الإسرائيلية استياء الكثير من الدروز، وبخاصة الشباب، الأمر الذى جعلهم يخشون من أن يعكس ذلك فيما بعد رفضاً للتجنيد أو مظاهر قومية عربية. كان السبب المهم لتذمرهم هو شعورهم المبرر بعدم المساواة رغم خدمتهم العسكرية. وكان هناك سبب آخر وهو "تصنيف قسماً من المثقفين الدروز مع الحركة القومية العربية". وكان هذا دليلاً دامغاً على أن مسألة عروبة الدروز لم تتوارى، وعلى وجود توتر داخلى فى الطائفة حول قضية الهوية.

لم تكن حقبة الستينات ينقصها التوتر داخل الطائفة الدرزية. بعضهم ظهروا على الساحة فى لقاءات شخصية، والبعض فى الصحافة. وقد نشر أحد الدروز من قرية حوربيش فى مارس ١٩٦٤ خطاباً فى صحيفة "الاتحاد" اتهم فيه الشيخ أمين طريف بمحاولة التفريق بين الدروز والعرب. بعدها وفى نفس الشهر كتب صلاح شوبان من شفا عمرو أن الحكومة تحاول بث الخلافات بين الدروز والعرب، لكنهم فى الواقع شعب واحد. وأضاف درزى من بقعين فى مقال بقلمه أن "الدروز هم فرع من الشجرة الإسلامية، ويتم استخدامهم كأداة فى الطريقة التى تعتمدها السلطات فرق تسُد، بينما يعانون من الظلم كبقية العرب. وتعبيراً عن هذا الموقف بشكل واضح، قدّم قبطان عزام حلبى من دالية الكرمل التماساً إلى محكمة العدل العليا مطالباً بتغيير البيان المسجل بخانة القومية فى بطاقة هويته من درزى إلى عربى.

سمح رد فعل ديوان رئيس الوزراء بالعودة إلى طريقة عمل الجهاز فى مواجهة الدروز. فقد أعد مسئول قسم الإعلام بالديوان، ميئير ميئير، خطاباً مقابلاً لتصرف حلبى - وأرسل إلى مستشار شؤون العرب يطلب منه تحديد درزى ملائم للتوقيع على الخطاب. وتضمن الخطاب المفبرك سياقا درزيا يتماشى مع التوجه الصهيونى لميئير ويستحق التحليل المفصل (لاحظ أن الإضافات الموجودة بين الأقواس كتبتها أنا):

اسمح لى بتقديم نفسى كدرزى فخور بأصولى كأحد أبناء معروف (التعريف الشخصى للدروز، حيث يستخدم الكاتب اليهودى إشارات محلية لإكساب الخطاب مصداقية) وكأحد أبناء الطائفة التى وبعد قمع متواصل من جانب جيراننا العرب (الحديث عن قمع على يد العرب هو أمر محل خلاف بين الدروز. إذ تتبناه إسرائيل بهدف تشكيل تاريخ درزى له خصوصية، "مناهض للعرب") حظيت الآن بالتقدم على طريق وجود طائفى مستقل - لصالح كل أبناء الطائفة (تقديم خصوصية الطائفة ليس باعتماد طريقة فرق تسُد بل كإجراء فى صالح الطائفة)... وهاهو ينتشر كالنار فى الهشيم بين قرى الدروز ما أقدم عليه أحد أعيان الطائفة الذى ناضل لسنوات طويلة من أجل حقوقها (قبطان حلبى كان من زعماء الطائفة فى دالية الكرمل) والآن تتوق نفسه إلى منصب لم يحظ به بالسرعة المطلوبة. ربما كان يستحق المنصب، وربما - عفواً لو خاننى التعبير - لا يستحق (أراد حلبى أن يتم تعيينه قاضياً؛ كاتب الخطاب يحاول إظهار مُعارضى السلطة على أنهم يعملون لمصالحهم الشخصية، وربما يفكر مؤيدو السلطات فى مصلحة الطائفة فقط)... وأتصور أن الطائفة جميعها يجب أن تستنكر هذا التقلب (محاولة لحشد كل الطائفة ضد المنحازين للقومية العربية).

الخطاب الذى أرسله ميئير إلى ممثل مستشار شؤون العرب فى حيفا، نسيم توكتالى، أكمل الصورة. وكتب فيه: "يبدو لنا أنه كان أمراً جيداً أن يتعرض المذكور (حلبي) للهجوم من الدروز، فعندما يُنشر الخطاب (باسم درزى مناسب) يمكننا القيام بحملة تشهير موازية فى الصحافة العبرية".

جاء هذا الخطاب فى إطار الجهود التى بُذلت لبلورة وعى درزى إسرائيلى خاص وتحييد أبناء الطائفة الذين تبنوا فكر القومية العربية. وكان واضحاً بالنسبة لميئير أنه لن يجد صعوبة فى إيجاد شخصاً درزياً مناسباً للتوقيع على الخطاب. كان هناك دروز أيدوا نظرية الانفصال على أساس فهمهم للتاريخ الدرزي، ولعبوا دوراً فى إعادة تشكيل وعى درزى مستقل (مستخدمين سلسلة من قضايا تهم الدروز تنشر فى جريدة "اليوم" الحكومية العمالية). فالكثير من الدروز أيدوا المسلك الذى اعتمدته وزارة التعليم، باستبدال المعلمين المسلمين والمسيحيين فى المدارس الدرزية بمعلمين من أبناء الطائفة. ومع ذلك، فإن درجة الارتباط بالإسلام ظلت محل خلاف. فعندما قال الشيخ طريف عام ١٩٦٤، باعتباره الزعيم الروحى الرسمى للطائفة، إن عليه التشاور مع وزارة الأديان إذا ما كان شهر رمضان مناسبة درزية، هاجمه أولئك الذين كان يعتبرون الدروز عرباً مسلمين بمعنى الكلمة. تلقت الصحف خطابات غاضبة من تدخل وزارة الأديان (التى خدعت الدروز ومنعتهم من الاحتفال بعيد الفطر)، وهناك من قالوا لو أن الشيخ أمين لا يستطيع أن يُقرر بمفرده ما هى المناسبات والأعياد التى تخص الدروز، فعليه أن يستقيل من منصبه.

كان النقاش حول عيد الفطر قد بدأ قبل أكثر من عشر سنوات. ففى عام ١٩٥٢ طالب المعلمون الدروز القيام بإجازة بمناسبة العيد. وانضم هذا الطلب إلى الرغبة التى أعلنوها فى التوقف عن العمل أيام الجُمع كإجازة أسبوعية. واستشعر يهوشع فلمون أن هذه المطالب تحمل بذور الميل "للعودة إلى التقرب من جيرانهم المسلمين كما كان الحال أيام الانتداب". وكان تحليله أن التيارين الانفصالى والإسلامى قد تعايشا جنباً إلى جنب داخل الطائفة الدرزية فى

إسرائيل. التيار الإسلامى تزعمه الشيخ أمين طريف، وهو الذى كان يقود وقتها أيضاً المعارضة ضد التجنيد. وكتب فلمون لجهاز الأمن العام (الشاباك) "للأسف الشديد لم تتهم الجهات الحكومية بتدعيم الفصيل الدرزى المتحفظ على المسلمين، بل بالعكس".ولكن مع مرور السنين نجح طريف فى تثبيت زعامته، ونسج شبكة علاقات مع شخصيات مهمة فى السياسة الإسرائيلية، ومنذ أن وافق على تجنيد شباب الدروز التزم بخط درزى انفصالى نسبياً (بما يتفق مع السياسة الإسرائيلية الرسمية)، وتعلم أن يتحرك بين جميع التيارات فى الطائفة وبين أروقة السلطة فى آن واحد.

ولم تحظ الدعوات التى طالبت باستقالة أمين طريف عام ١٩٦٤ بتأييد كبير، نظراً لنجاحه فى التصرُّف والمناورة مع القوى المختلفة داخل الطائفة. كما أحسن التصرف بحذر مع مؤسسات الدولة، وبخاصة فى القضايا الحساسة مثل أراضى الدروز المصادرة. كانت قد صودرت خلال السنوات الخمس التى تلت قيام الدولة فى الجليل حوالى ثلاثين ألف دونم، الأمر الذى ألحق ضرراً بالغاً بمصدر رزقهم الرئيسى حتى ذلك الحين. ولم يشفع لهم الاستعداد للخدمة فى الجيش الإسرائيلى لرفع الظلم الذى وقع عليهم نتيجة هذه المصادرات، وعملياً دفعتهم هذه المصادرات إلى البحث عن فرصة عمل فى صفوف الجيش الإسرائيلي، والشرطة، وسلاح حرس الحدود، وفى مصلحة السجون، وبالتالى كان من نصيب مؤسسات الدولة فائدة مزدوجة من جراء المصادرات. أما مكاسب الدروز، فى مقابل ذلك، فكانت محل خلاف. ومع ذلك، فإن زعماء الطائفة ومن بينهم الشيخ طريف لم يفعلوا شيئاً تقريباً للحفاظ على الأراضي. على أية حال كتبت العرائض ضد المصادرات وانضم الدروز إلى الاحتجاج العام للسكان العرب، غير أن الزعماء الكبار حافظوا على الهدوء. وكانوا يتوسطون أحياناً بين الدولة وبين أصحاب الأراضى بل ساعدوا الدولة أحياناً فى تملك الأرض التى كانت تثير اهتمامها، وأقنعوا الفلاحين بقبول التعويض (أموال أو أرض بديلة). كان صمتهم مثيراً للدهشة خاصة فى قضية أراضى قرية موجار الخيط.

أراضى موجار الخيط، التى تعرف أيضاً بموجار الدروز، عند السفوح الشرقية لجبال صفد، كانت قبل قيام الدولة فى ملكية سكان قرية بيت جَن (٣)، وهى أكبر قرية درزية تقع على جبل ميرون. تضم أرضاً خصبة وسخية الإنتاج، تبلغ أكثر من ستة آلاف دونم، بعضها صالح للزراعة والبعض الآخر صخري. وقد استخدمت المغارات الموجودة بالمنطقة كمأوى للرعاة، ومساكن للخراف ومخازن لحفظ أدوات الزراعة. وكانت الأراضى تتم زراعتها بمشاركة سكان القرية (بطريقة المشاع). ومع قيام الدولة أغلقت المنطقة أمام سكان بيت جن وأعلنت منطقة عسكرية مُغلقة. وفيما بعد ذلك تم تخصيص المنطقة للاستيطان اليهودي. طالب الدروز باستعادة أراضيهم، لكن طلبهم قُبل بالرفض. وفى أغسطس ١٩٥٩ حاولت مجموعة منهم دخول المنطقة بالقوة. وصرح أحد ضباط الشرطة بأنه "تم إلقاء القبض على مثيرى الشغب وأحبطت محاولة الخروج بمظاهرة كبرى". وطوال هذه الفترة ضغطت كل مؤسسات الدولة على الدروز للقبول بتعويضات مقابل المصادرة، لكنهم كانوا مُتحدين فى رفضهم. فى مطلع ١٩٦٠ بدأت الجبهة الموحدة تنهار، ووافقت عائلة واحدة على القبول بتعويض مالي. وشيئاً فشيئاً اتخذت أسر أخرى نفس القرار. وبدأ يسود التوتر قرية بيت جن بين الموافقين على الحصول على تعويضات والمعارضين. وأعلن سكان الحى الشرقي، وخاصة أبناء عائلة قبلان التى قادت الصراع، أنهم لن يسمحوا "للخونة"، هؤلاء الذين تنازلوا عن الأرض، بالمرور من حييهم. وتعرض الحاصلون على تعويضات لاعتداءات لفظية وجسدية. وفى أغسطس ١٩٦٠ اندلعت فى القرية مشاجرة حاشدة بين مؤيدى التعويضات ومُعارضيها. ووصلت الشرطة إلى المكان بقوات كبيرة، ونجحت فى وقف الاضطرابات واعتقلت عدداً متساوياً من كل فريق للتحقيق.

كانت الأجواء فى القرية غير مستقرة. توجه مُعارضو التعويضات إلى رجال الدين وطالبوهم بمقاطعة بائعى الأراضى وإعلانهم كخونة وكفرة. ودعماً للبُعد الشرعى لحملة المعارضة، قالوا إن رجال الدين فى بيت جن أقسموا بالخَلوة (المسجد الدرزي) المحلية على عدم التنازل عن أراضيهم، وبالتالى فإن من ينتهك هذا القسم يرتكب خطيئة دينية. بالمقابل، وفى ١٥ أغسطس ١٩٦٠ اجتمع "العُقلاء" (علماء الدين) الدروز، وعلى رأسهم الشيخ أمين طريف، وقرروا أنه ليست هناك أى مشكلة دينية أو شرعية فى التنازل عن الأرض، وكل شخص بمقدوره التصرف كما يشاء.

هذه الفتوى تتعارض تماماً مع الفتاوى الإسلامية التى أعلنها الحاج أمين الحسينى وغيره فى فترة الانتداب، كما تتعارض مع الفتوى المسيحية التى أعلنت بالتوازى ومع الموقف الدرزى الأخلاقي. وبالتالى لم يكن ذلك مُفاجئاً، بطبيعة الحال، فى ضوء رغبة الزعامة الدينية فى عزل نفسها عن الإسلام (وبالتأكيد عن خطه السياسي)، مع الأخذ فى الاعتبار رغبتها فى الحفاظ على علاقات جيدة مع مؤسسات الرسمية الحاكمة. غير أنها وجدت نفسها تعمل ضد مصلحة الطائفة. فقط _عندما تأججت المشاعر فى أواخر نفس العام حول مشروع قانون حصر الأراضى الزراعية (الذى كان من شأنه إحداث تغييرات فى ملكية الأرض، وخاف مواطنو إسرائيل العرب أن يُستغل ضدهم)، وانضم كثير من الدروز لأعمال الاحتجاج، قال الشيخ طريف بلغة واهنة إنه يعتزم الاجتماع مع المشايخ من جميع قرى الجليل

لمناقشة الخطوات الواجب اتخاذها، وربما أيضاً التوجه إلى الدبلوماسيين الأجانب ليطلب تدخلهم. وكما هو معروف هذا الاجتماع لم يتم (حُفظ مشروع القانون من تلقاء نفسه).

وبناءً على ما تقدم، فقد التزمت الزعامة الدرزية خطاً مُتماشياً مع سلطات الدولة حتى فى القضية الأراضى الحساسة. وعند التأرجح بين الحاجة لإرضاء مؤسسات الدولة وبين الرغبة فى التكاتف مع أهل الجوار من مسيحيين ومسلمين، اختارت الخيار الأول. وهو ما حدث أيضاً عند التصويت فى الكنيست على إلغاء الحكم العسكرى فى عام ١٩٦٢ وعام ١٩٦٣، وقتها صوّت عضو الكنيست جبر مُعدى ضد الإلغاء، وفى مقابل ذلك أعلن رئيس الوزراء بن جوريون عن منح تسهيلات للدروز فى مناطق الإدارة العسكرية. لقد أخذت الفجوة بين الدروز وبقية العرب فى الاتساع، ومعها هويتهم المغايرة من ناحية، وتطابق مواقفهم مع الدولة فى القضايا الأساسية فى الأمن والأراضى من ناحية أخرى (٤). إنها حالة تقليدية من التقاء المصالح بين أقلية داخل أقلية (التى تخاف من سيطرة جماعة الأقلية الكبيرة) وبين جماعة الأغلبية (التى تعتبر أيضاً الأقلية الكبيرة تهديداً). وهى أيضاً حالة تمثل ليونة الهوية الوطنية: وفى موقف سياسى مختلف تماماً كان الدروز فى الجليل والكرمل، كإخوانهم فى سوريا ولبنان، يعتبرون أنفسهم جزءاً من الأمة العربية.

وبدرجة ما يمكن اعتبار تطور الهوية الدرزية ذات الخصوصية إنجازا للمعنيين بشؤون العرب. إلا أنهم اعتبروا ذلك إنجازا مشروطاً. وبدءاً من منتصف الستينات أجرت الجهات الأمنية مناقشات محمومة حول مستقبل العلاقات مع الدروز. وفى جلسة اللجنة المركزية لشؤون العرب عام ١٩٦٦ قال ممثل الشرطة أهارون شلوش إنه ليس مطلوباً إعطاء الدروز مساواة كاملة فى الحقوق، لأن ذلك سيؤدى إلى مواجهة بين الدروز واليهود. واقترح رئيس القسم العربى فى جهاز الأمن العام (الشاباك)، إبراهام أحيطوف (رئيس الشاباك فيما بعد) "الاستمرار فى جهود توسيع نطاق الخصوصية الدرزية وفصلها، خاصة عند جيل الشباب، عن العرب". لكنه كان يعلم تماماً أنه "رغم بياناتنا السياسية فإنهم سيبقون أبناء أقليات وستنتابهم مشاعر الظلم والتمييز". وكان توقعه أنه "لا مجال لمنع عملية انجراف الدروز فى التيار القومي". وبعد مرور أربعين عاماً منذ ذلك التاريخ، فالدروز الشباب عندما يُسألون عن هويتهم، وإن كانوا لا يتجاهلون العنصر العربى فى هذه الهوية، فإنهم ليسوا بأى حال من الأحوال قوميين، بمفهوم الشاباك، ولكن القليل جداً منهم يعتبرون أنفسهم فلسطينيين – مختلفين عن قطاع كبير من عرب إسرائيل.

❖ طوائف فى مأزق:

بدأ المجلس المركزى لشؤون العرب الذى تشكل بموجب قرار الحكومة عام ١٩٥٢ (وضم ممثلى الأجهزة الأمنية ووزارات الحكومة المعنية بالأمر)، بدأ أعماله بمناقشات حول العلاقة بالطوائف المختلفة. ورقة العمل التى أعدت لهذا الغرض، فى صيف ذلك العام، ميزت بين خمسة كتل كبرى مُتباينة من الناحية الدينية أو القومية بين السكان غير اليهود فى إسرائيل: مسيحيون عرب (بمختلف طوائفهم)، مسيحيون غير عرب (أرمن ويونان)، مسلمون عرب (طائفة الأغلبية)، مسلمون غير عرب (الشركس) وعرب غير مسلمون (الدروز). والفكرة الرئيسية لهذه الوثيقة، التى حظيت بموافقة وزير الخارجية موشيه شاريت، هى أن البريطانيين قد حاولوا خلق شعب واحد من هذا الخليط من الطوائف:

"كما هو معروف كان فى أرض إسرائيل مع بداية الانتداب البريطانى طوائف وجماعات قومية ودينية مختلفة، عاش كل منها حياته وتمسك بمبادئه وقيمه الدينية والاجتماعية الخاصة. وقد فعلت حكومة الانتداب الكثير، بوسائل مختلفة وبطرق غير تقليدية إلى حد كبير، من أجل إلغاء خصوصية كل طائفة، ودمجها جميعاً كشعب عربى واحد، لتحقيق هدف واضح تسيطر بموجبه الطائفة المسلمة على الطوائف الأخرى. هذه الغاية وتلك الممارسات كانت تثير تذمر الكثير من السكان بسبب غياب الرغبة الحرة فى هذا التوحد وبسبب القمع الذى تعرضوا له نتيجة هذه الممارسات.

وغنى عن البيان أن دولة إسرائيل لا يعنيها استمرار سياسة حكومة الانتداب بهذه الطريقة. فالحق مكفول لكل جماعة فى أن تعتنق، بكامل الحرية والإرادة ما يتلاءم مع قيمها الدينية والقومية والاجتماعية. وعلى الحكومة من جانبها أن تساعد وتعاون وتعطى الفرص ليتطور الوضع فى هذا الاتجاه".

يقول واضع هذه الوثيقة إن القومية العربية – الفلسطينية ليست أصيلة بل هى نتاج ظروف ومبادرة خارجية – وهو أمر لا يتناقض تماماً مع الواقع لكنه ينطبق أيضاً على حركات قومية كثيرة أخرى – وأضاف أن السلطات البريطانية هى التى وقفت وراء إقامة الحركة القومية ووضع أساسها. وكان واضحاً أن منح الاستقلال الذاتى للطوائف الدينية مع اختلاف العلاقة بكل واحدة منها، الذى بدا وكأنه خطوة تحررية، هو بمثابة إصلاح معيب يستلزم الحيلولة دون وضع تستغل فيه طائفة الأغلبية، المسلمة، قوتها وتسيطر على بقية الطوائف. تلك هى النظرة التى شكلت أساساً للتعبير الدارج "ابن أقليات": وهى النظرة إلى العرب فى إسرائيل ليس كوحدة واحدة – صحيح متنوعة لكن ذات هوية قومية

مشتركة - بل جمهور من الأقليات المتباينة. وكنتيجة لذلك، أدارت كل طائفة شؤونها مع الدولة بشكل مستقل، وكان من السهل على الدولة نسبياً أن تحقق الكثير من الإنجازات بهذه الطريقة مثل إقناع الزعامة الدرزية بتأييد تجنيد الشبان الدروز، وعدم معارضة الحكم العسكرى والسماح ببيع الأراضي.

إن مُعضلة تحديد موقعهم فى منظومة العلاقات بين اليهود والعرب فى الدولة لم تشغل فقط الدروز. لقد وجد الشركس أنفسهم أيضاً بين شقى الرحى العرب - المسلمين، أكبر أقلية، وبين الدولة. هم أيضاً اختاروا الالتحاق بالخدمة العسكرية فى الجيش الإسرائيلي، بالتطوع فى بادئ الأمر، ثم بعد ذلك طبقاً لقانون التجنيد، وكان أملهم كذلك أن يمنحهم وضعهم كجنود أدوا الخدمة العسكرية حقوقاً أكثر، كما حاولوا، فى الغالب، عزل أنفسهم عن العرب من حولهم - بتأييد الدولة. والطريقة التى فعلوا بها ذلك، والكيفية التى فسروا بها لأنفسهم ولمجتمعهم من يكونون، تتضح من القصة القصيرة التالية.

صالح حسن حكو، شركسى من قرية كاما بالجليل الأسفل (وتبلغ مساحتها الإدارية عشرة آلاف دونم وأُعلن عن مجلسها المحلى عام ١٩٥٠سكانها من الشركس الذى وفدوا من القوقاز إلى تركيا ومنها إلى إسرائيل)، فكر عام ١٩٥٧ فى مغادرة البلاد والهجرة إلى تركيا. كان يمتلك حوالى ١٤٠ دونماً فى القرية، وسعياً للسفر تفاوض مع أحد البدو من قبيلة عرب الصبيح المجاورة، كانت لديه النية لشراء الأرض. وثارت فى القرية موجة اعتراض قوية على البيع. وتوجه المجلس المحلى لقرية كاما ومنظمة الجنود المسرحين فى القرية بخطاب إلى قائد وحدة الأقليات وطلبوا منه التدخل لوقف هذه الصفقة: فكتبوا.. "لا يمكن للجنود المسرحين أن يسمحوا لهؤلاء العرب بالدخول إلى القرية وأن يبنوا فيها أوكاراً جديدة للمُتسللين. فعرب الصبيح معروفون جيداً للسلطات بموقفهم المعادى للدولة". ويبقى سؤال هنا بلا إجابة: إلى من كان سيتوجه الجنود الشركس المسرحون بطلبهم لو حاول حكو بيع الأرض ليهود..؟

وكما هو الحال فى خطابات أخرى سبق ورأيناها، فإن المبرر الوطنى يُستخدم كنوع من فواتح الشهية الهدف منه تحريض المؤسسات الرسمية على ممارسة نشاطها. لقد عارض سكان القرية منح عرب الصبيح موطأ قدم فى أراضيهم ليس بالتحديد لخوفهم من دخول عناصر معادية للدولة إلى قريتهم، بل فى الأساس بسبب العلاقات المتوترة بين الطائفتين التى ترجع إلى بداية الاستيطان الشركسى فى الجليل فى القرن التاسع عشر. وقد كان تقربهم من المستوطنين اليهود فى الجليل الأسفل قبل قيام الدولة، وموافقتهم على التجنيد فى الجيش الإسرائيلى عند قيامها، نابعاً أيضاً من إحساسهم بأنهم أقلية فى محيط عربى مسلم. إنها مسيرة من العلاقات حرص الطرفان على الخروج منها رابحين. إذ تطلع سكان قرية كاما إلى تدعيم مركزهم لدى السلطات والحصول على المزايا التى ترتبط عادة بالتقرب من دوائر صنع القرار. والدولة من ناحيتها، كان من شأنها أن تربح سواء ثقة الأقلية الشركسية، أو تعميق انقسام المجتمع غير اليهودى فى إسرائيل، وهو أحد ركائز النظام الحاكم فى الدولة.

كان التجنيد فى صفوف الجيش الإسرائيلى عاملاً مهماً فى التأسيس للتمييز بين الشركس والعرب، سواء فى نظر أنفسهم أو حتى فى نظر البيئة المحيطة بهم. وعندما طلبت الجمعية التعاونية الزراعية للجنود المسرحين فى قرية كاما الحصول على تمويل لشراء جرار، توجهت إلى رئيس الدولة يتسحاق بن تسافي، وذكّره أعضاؤها قائلين "لقد قاتلنا يداً بيد مع قوات جيش الدفاع الإسرائيلى ضد قوات الشر وضد الدول العربية، بوعى كامل وبإخلاص وتفان حتى نحقق مرادنا وهو مصدر رزق مضمون فى بلدتنا قرية كاما تحت حكم دولة إسرائيل الديموقراطية الحرة". كذلك ذكروا أن لهم أفضلية على أقليات أخرى فى الدولة، لأننا، "فعلنا الكثير وسنفعل الكثير من أجل إسرائيل ليس بالكلام ولكن بالأفعال". وكان خوفهم فى ذلك الوقت أنه بسبب "وجود الكثير من العرب وأننا مجرد أقلية"، فإن المؤسسات الرسمية ستعطى الأفضلية للعرب.

لم تكن تعلية الحاجز بين الشركس وجيرانهم العرب مهمة صعبة: فالشركس فى الأصل ليسوا عرباً ولغتهم الأم هى اللغة الشركسية وليست العربية (بخلاف الدروز)، وبالتالى ما من صلات تربطهم بالقومية العربية بأى حال من الأحوال. فالتوترات بينهم وبين بعض جيرانهم العرب كفيلة بتقوية هويتهم المختلفة. من ناحية أخرى، هناك عنصر أيضاً يربطهم بالقرى والقبائل المحيطة - وهو كونهم مسلمين سُنة. وبالفعل، مع بداية الستينات كان واضحاً للمسئولين أنهم يأخذون فى الاندماج بين السكان المسلمين. ورداً على ذلك بدأت الدولة فى دعم مظاهر الثقافة الشركسية. فطبعت كتب دراسية باللغة الشركسية ("نشر فكرة دعم الأقلية الشركسية المندمجة بين جيرانها المسلمين فى البلاد"، توجيهات من ديوان رئيس الوزراء) وأعدت برامج للموسيقى الشركسية فى راديو إسرائيل (والمبرر "إننا نريد تقوية الوعى القومى لديهم")، نفس المنطق الذى استخدم مع الدروز استخدم أيضاً معهم.

والشركس أقلية صغيرة. يصل عددهم اليوم إلى حوالى ثلاثة آلاف نسمة. وبخلاف قرية كاما فى الجليل الأسفل، التى يعيش فيها ثلثا الطائفة تقريباً، يوجد فى إسرائيل قرية شركسية أخرى، هى ريحانية (٥) الواقعة فى الجليل

الأعلى الشرقي، بالقرب من الحدود مع لبنان (وكانت خطة الجيش الإسرائيلى التى أيدها بن جوريون لطرد سكان القرية إلى أنحاء أخرى من البلاد - مع سكان قرى أخرى - قد توقفت عام ١٩٤٩ بقرار من موشيه شاريت). وكانت العلاقات بين هذه القرية وبين السلطات مُلتبسة إلى حد كبير. فقرب القرية من الحدود، وحقيقة أن جزءً من أبناء القرية أصبحوا لاجئين أثناء الحرب ونشاطات ضباط الاستخبارات السوريين - الشركس فى المنطقة، جعل بعض السكان يساعدون الاستخبارات السورية. على الجانب الآخر، كان أحد زعماء القرية، الحاج محمد عمر قيس الذى كان يعمل مُعلماً، وانخرط فى عمليات البلماح (كوماندوز إسرائيلي) فى سوريا ولبنان، كان قد احتفظ بعلاقات مع موشيه ديان ومسئولين كبار آخرين فى إسرائيل. وهكذا تشكل فى القرية معسكران مُتناحران، "الأول يتعاون مع السلطات، والثانى لا يميل إلى مثل هذا التعاون"، كما أشارت إلى ذلك المحكمة العليا. فى عام ١٩٥٣ قتل الحاج العميل، وقادت آثار القتلة إلى ما وراء الحدود مع لبنان. واعتبرت الشرطة أن عملية القتل تمت بتحريض من مُعارضى السلطة فى القرية فاعتقلت ستة من سكانها، ولكن أطلق سراحهم لعدم كفاية الأدلة. فى غضون ذلك أصدر الحاكم العسكرى للجليل بحق أحد المشتبه بهم، وهو إسماعيل على، أمر إبعاد خارج القرية لمدة عام. وتقدم إسماعيل بالتماس إلى المحكمة لكنه رُفض. وفى السنوات التالية خفت حدة التوتر فى الريحانية. ويبدو أن شيوع خبر أن إسرائيل لا تعتزم العودة إلى حدود التقسيم أضعف المعارضة للدولة.

هوامش:

١- تجدر الإشارة إلى ازدياد التوتر بين الطوائف حتى أثناء حرب سيناء، فى أكتوبر ١٩٥٦ . فقد أبلغ بعض طلاب المرحلة الثانوية فى قرية ياسيف الشرطة أن مُعلم مسلم تبادل الحديث مع طلاب الفصل حول نجاحات المصريين فى المعارك، وانطلقت صيحات الطلاب يعيش جمال عبد الناصر. كما جاء أيضاً فى بلاغهم لقائد شرطة عكا، فى ٣١ أكتوبر ١٩٥٦، القضية ٧٨/١١ . "أبلغنا مدير المدرسة مطانس مطانس (وهو مسيحي) الذى كان رده على الطلاب الدروز 'إنكم لستم حكام عسكريين، ولا شأن لكم بهذا الموضوع وكل شخص له الحق فى التحدث كيفما شاء'... وقام الطلاب بسب أقرانهم الدروز بسبب تطوعهم للخدمة فى الجيش الإسرائيلى وتعاونهم مع الحكومة... ومن منطلق كوننا شباناً دروز وجنوداً فى الجيش الإسرائيلى كان لزاماً علينا إبلاغكم بهذه الممارسات". يتضح أن الطلاب الدروز أيضاً اعتبروا أنفسهم جزءاً من جهاز الرقابة، كما أنهم شعروا بأنهم مُعرضون للخطر عندما رفض زملائهم الامتثال لأوامرهم.

٢- كان هناك بين أوساط الدروز فى إسرائيل أثناء فترة الانتداب، وفى نهايتها، من اعتبروا أنفسهم جزءاً من الحركة القومية العربية (الفلسطينية)، وكان هناك أيضاً من نادوا بخصوصية الدروز. وهناك بين الفريق الأخير من أيدوا الحركة الصهيونية. وبناءً على ذلك، كان هناك أثناء حرب ١٩٤٨ دروز عملوا فى صفوف القوات اليهودية، ودروز انخرطوا فى القوات العربية وكثيرون آخرون التزموا الحياد. وتوسط الدروز الذين تعاونوا مع الهاجاناه والجيش الإسرائيلى بين قادة الهاجاناه وقادة الكتيبة الدرزية التى عادت من سوريا، ونجحوا فى التوصل إلى اعتبار قسماً من ضباط ومقاتلى هذه الكتيبة فارين من الخدمة. وشكّل هؤلاء الفارين من الخدمة مع مجموعة من دروز الكرمل، بذرة السرية الدرزية فى كتيبة الأقليات، التى تأسست من المتطوعين فقط. وخلال عمليات ١٩٤٨ احتلت قوات الجيش الإسرائيلى الجليل الأعلى والأوسط والغربي، بما فيها من قرى درزية. وتم التوصل إلى اتفاق فى غالبية القرى الدرزية مع السكان المحليين قبل الاحتلال لوقف القتال. ولسبب ما لم يُبرم مثل هذا الاتفاق فى قرية يانوح، ونشب قتال بين دروز مُنتسبين للجيش الإسرائيلى والدروز من سكان القرية.

٣- بيت جَن هى قرية درزية على جبال الجليل الأعلى إلى الغرب من جبل ميرون، وتقع القرية على ارتفاع ٩٤٠ متراً عن سطح البحر. القرية لها مجلس محلى ضمن القطاع الشمالى من إسرائيل. تبلغ مساحتها الإدارية ٤٦٥٠ دونم وتم إعلان مجلسها المحلى عام ١٩٦٤ .

٤- أيضاً عضو الكنيست دياب عبيد، باعتباره مسلماً من قرية طَيبَه، صوّت مع بقاء الإدارة العسكرية، لكنه بخلاف مُعدى فعل ذلك على خلفية التزامه الحزبى مع ماباى، دون أن يكون بمقدوره أن يتباهى بإنجاز ما أمام الجمهور الذى انتخبه ودون أن يؤثر الأمر على العلاقات بين طوائف الأقلية.

٥- تأسست هذه القرية عام ١٨٧٣، ولكن الأسر الشركسية بدأت فى الوصول إليها عام ١٨٧٨ قادمة فى الأساس من القوقاز. وكان السكان الشركس قد وصلوا إلى إسرائيل وبقية دول الشرق الأوسط بعد استيلاء الجيش الروسى على أراضيهم فى نهاية القرن التاسع عشر.

◆ دراسات ◆



اليهود العرب.. الانتماء القومى والدينى والعرقى (الفصل الأول - ٢): نقطة الصفر

بقلم: يهودا شنهاف

٣- وقفة نظرية: مشروع عبدان كمعمل لتهجين الهويات العرقية

كما أوضحت حتى الآن يعكس مشروع عبدان اختلاف طبيعة النشاط الصهيونى فى المنطقة العربية. ولا شك أن هذا المشروع قد بدأ بناءً على موافقة مؤسسات الاستيطان اليهودى فى فلسطين/ أرض إسرائيل واللجنة التنفيذية للهستدروت والوكالة اليهودية، وبتشجيع من الحكومة البريطانية. فقد كانت مجموعة سوليل بونيه فى عبدان هيئة رسمية تمثل الدولة الاستعمارية، التى أضفت على نشاطها الشرعية. وفى نفس الوقت فإن المشروع يعكس التوجه القومى ويعبر عن رغبات قومية مستقلة. ولابد من دراسة التوجهين الاستعمارى والقومى بنفس القدر من أجل فهم أساليب العمل المختلفة لأعضاء هذه المجموعة، وبالطبع من أجل فهم العلاقات المتبادلة بين الطرفين والتوترات والتناقضات التى ظهرت فى المشروع. ومن الممكن أن نعتبر أن تصرفات أعضاء مجموعة عبدان تحمل رسائل تختلف باختلاف المصالح والشركاء والظروف التى يعملون فيها.

يزعم عالم الإنثروبولوجى جون كوماروف أن المشاريع الاستعمارية الكلاسيكية تسعى لتحقيق أربعة أهداف كبرى: الأول هو اكتشاف الإقليم واحتلال الأرض، وهو ما يوصف بمصطلحات مثل "تحقيق الخلاص" و"نشر الحداثة"، والثانى هو استغلال الصناعة والتجارة والموارد المحلية لخدمة الأهداف الرأسمالية، والثالث إضفاء الطابع العقلانى على النظام الإدارى وعلى المؤسسات البيروقراطية السياسية، والرابع هو دراسة الثقافة المحلية وتهدئة الثورات التى من المحتمل أن يقوم بها السكان الأصليون عن طريق خلق انقسامات عرقية.(Comaroff 1998).

ويظهر فى مشروع عبدان هدفان من هذه الأهداف الأربعة وهما احتلال الأرض وخلق الانقسامات العرقية. ويصف أنتسو سيرانى كيف تمكن بالاستعانة بمسئولى شركة سوليل بونيه من اكتشاف المنطقة الجديدة التى تقع "وراء بحر الظلمات"، وفتحها أمام ما يجب أداؤه من مهام قومية، وذلك على النحو التالي:

"منذ بضع شهور، عندما بدأنا العمل فى العراق، كانت كأنها دولة تقع "وراء بحر الظلمات"، لا نعرف عنها شيئاً ولا تعرف عنا شيئاً. فباستثناء قلة قليلة ممن قاموا بزيارة أرض النهرين فى مناسبات مختلفة، لم يكن هناك من يفدون من أرض إسرائيل لهذه المنطقة، وفى الآونة الأخيرة كانت زيارات العراقيين لبلادنا أيضاً قليلة. لذلك كنا نضطر لتحسس طريقنا فى الظلام والبحث عن شيء نستند إليه مبدئياً فى العمل مع جماعة من الناس كان من الصعب أن نقف على طبيعتها، وكان أبناؤها أغراباً بالنسبة لنا ولقضيتنا من عدة نواح. وقد تغلبنا الآن على هذه الصعوبات وأصبحنا فى بغداد كأننا أصحاب البيت. وأصبحنا نعرف أبناءها بمحاسنهم ومَساوئهم، وأصبحت لنا دراية بالعلاقات بين الطبقات والفئات المختلفة. والآن أصبحت الظروف مواتية لمزيد من النشاط الواعى المثمر".

تؤكد كلمات أنتسو سيرانى أهمية نقطة الصفر التى سبق أن أشرنا إليها فى موضع سابق من هذا الفصل.

ويوضح سيرانى كيف وصل المبعوثون فى نقطة الصفر إلى منطقة جديدة "وراء بحر الظلمات"، وجعلوها منطقتهم، حيث أصبحوا "أصحاب بيت"، وكيف التقوا مع أناس كانوا أغراباً عنهم، لا يعرفونهم ولا يعرفون شيئاً عن قضيتهم وحولوهم إلى معارف. وبمعنى آخر فإن الشيء المميز الذى جعلنا نقدم على وصف مشروع عبدان بأنه نقطة الصفر ليس حجم البعثة الصهيونية القومية التى ذهبت إلى هناك وحده رغم أنها كانت بعثة كبيرة، وإنما أن هذا المشروع كان بمثابة موقع حدث فيه لقاء أسفر عن احتلال استعمارى جديد لمكان وزمان معينين، وأفرز وعياً عرقياً جديداً. وأود الآن أن أدلى ببضع الملاحظات عن مشكلتى المكان والهوية العرقية وسوف أحاول الوقوف على الصلة بين هاتين المشكلتين حتى تتضح للقارئ حقيقة هذا الأمر فى الجزء الباقى من هذا الفصل.

◆ **المكان:**

يؤكد فوكو أن الموضع الجغرافى لو كان دائماً وعاء للقوة والسيطرة فإن إعادة تنظيمه هى إعادة تنظيم للإطار الذى يعبر عن القوة. لقد تم تنفيذ مشروع عبدان فى مناخ مختلط لا يمكن تمييز ما إذا كان بريطانياً أم صهيونياً، فكان كفقاعة صهيونية تتحرك فى منطقة مستعمرة تحت رعاية بريطانيا العظمى، التى قدمت للمشروع مظلة قطعت بها الامتداد الإقليمى والثقافى والعرقى فى المنطقة وأعادت تنظيمه من جديد. ومن هذا المنطلق فقد أفرز المشروع إمكانيات جديدة للقوة الاجتماعية ووسائل جديدة للتعبير عنها. وإذا شئنا استخدام مصطلحات ديلوز وجواتارى فإن مشروع عبدان هو مشروع يتناقض مع الهوية الإقليمية ويقطع امتداداً كان متجانساً ظاهرياً ويعيد صياغته من جديد. وقد كان هذا التقسيم للإقليم هو أحد سمات نقطة الصفر. حيث تعبر نقطة الصفر عن نقطة انقطاع الامتداد، فهى نقطة بدايات جديدة، ويمكن منها إعادة بناء الماضي. وبذلك فقد أدى وجود عمال سوليل بونيه فى المنطقة إلى تنظيم الإقليم فيها – بغض النظر عن الناحية الجغرافية – من خلال طمس التقسيمات الجغرافية المعروفة (مثل تقسيم العالم إلى أرض إسرائيل والشتات).

اقترح فوكو تسمية هذا الإقليم باسم "هتروتوبيا" (ويقصد به مدينة غير مثالية). فعلى عكس اليوتوبيا (المدينة الفاضلة أو المدينة المثالية) التى تعد فكرة نظرية لم يتم تنفيذها فى مكان محدد، ولذلك فإنها تعبر عن الكمال ولكن دون تنفيذها على أرض الواقع، فإن الهتروتوبيا هى مكان محدد هناك تناقضات بين العناصر التى تمثله، أو مكان به عدة مواقع لا تناسق بينها. وفى حالة مشروع عبدان نشأت الهيتروتوبيا بواسطة خلق موقع صهيونى فى قلب موقع عربي. بهذه الطريقة نشأ موقع لا صلة له بالمكان، كما هو الحال بالنسبة لدار المحفوظات او المتحف أو المسرح. ويرى فوكو أن الهيتروتوبيا لا تحطم مفهوم الموقع فحسب وإنما تحطم تواصل الزمان، وتؤلف فى نفس الوقت بين مقاطع زمنية مختلفة يصفها بأنها تفتقر للتواصل الزمنى (hetrochronics). وقد كان مشروع عبدان سبباً فى تلاقى أزمنة متناقضة مثل الزمن الأوروبى والزمن المحلى أو الزمن الصهيونى والزمن الاستعمارى فى مكان واحد. وقد زعم فوكو أن المناطق المستعمرة- مثل منطقة عبدان- هى نماذج كلاسيكية للهيتروتوبيا. فهى تسلب المكان نظامه الطبيعى "وتفرز موقعاً مختلفاً حقيقياً يتسم بالكمال التام والمثالية لدرجة تجعلنا نعتبر موقعنا غير مستقر أو غير مرتب أو تسوده فوضى... وهذا الموقع الاستعمارى هو مكان بلا مكان، يقوم بذاته ويرمز لذاته... وينطوى على قدر هائل من الخيال". (المرجع السابق ص٢٣).

سوف تظهر الجوانب المشوشة للموقع الهيتروتوبى فى موضع لاحق عندما نتناول بالتحليل ظاهرة الاستعمار. وسوف يقوم التحليل على مناقشة المبعوثين الذين حاولوا فى عبدان تحديد مكان إقامتهم ونظرتهم إلى الإقليم المحيط. تسمح لنا ظاهرة الاستعمار بالابتعاد عن الوصف التحليلى المعتاد فى مجال التحليل السياسى والتاريخى لوضع الحركة الصهيونية كحركة استعمارية (راجع على سبيل المثال: شابير ١٩٩٣)، وأن نطرح إلى جانب هذا التحليل (ولكن ليس بدلاً منه) تحليلاً تصاعدياً يعكس الواقع الاستعمارى لمجموعة العاملين نفسها. حيث تعكس النظرة الظاهرية للوعى الاستعمارى واقعاً مليئاً بالمتناقضات. فقد أقيم فى عبدان مجلس عمالى يهودي، كان الوحيد من نوعه خارج حدود فلسطين/ أرض إسرائيل. وتتيح لنا المناقشات المثيرة بشأن إقامة مجلس عمالى معرفة ممارسات تتعلق بالاندماج فى الإقليم ثم الانسلاخ عنه، كما تتيح لنا معرفة أنه حتى بعد إقامة المجلس لم يكن لدى المبعوثين مصطلحات واضحة تسمح لهم بالإشارة إلى الوضع الإقليمى لعبدان التى يقيمون فيها والعلاقة بينها وبين العاصمة، أو اتخاذ قرار حاسم يحدد ما إذا كان هذا الإقليم سيعتبر من الشتات أم سيعتبر جزءاً من أرض إسرائيل. كما كانت هناك مناقشات مستفيضة ومليئة بالمتناقضات بين المبعوثين بشأن الهدف من البقاء فى تلك المنطقة. وعلى سبيل المثال فقد كان بعض المبعوثين غاضبين من وجود يهود يعملون فى عبدان دون أن يفهموا مدى أهمية المهمة القومية التى يعملون فيها ويقيمون البقاء فى تلك المنطقة على أساس اقتصادى بحت. والأدهى من ذلك أنهم أشاروا إلى وجود عمال لم يكتفوا بالاعتراض على المشروع القومى بل وقاوموه.

❖ **الهوية العرقية:**

أدى التوسع الاستعمارى الغربى – الذى بدأ على أيدى إسبانيا والبرتغال ثم استمر ببريطانيا وفرنسا وهولندا – إلى نشأة أنظمة جديدة قائمة على رأس المال الأوروبى وعلى الأموال والمصالح الأوروبية التى كان لها قصب السبق فى تشكيل ملامح النظام العالمى الحديث فى حينه. وكان التوسع الاستعمارى يطمس الحدود القائمة ويضع بدلاً منها حدوداً جديدة عن طريق الأطلس وخرائط الطرق وإعادة تسمية أماكن كبيرة وصغيرة. وإلى جانب هذا الرصد والتغيير الجغرافى تم رصد وتشكيل ملامح هويات عرقية قائمة وتبنى هويات جديدة مستحدثة إلى جانبها. وبتعبير آخر فإن المشروعات الاستعمارية كان لها نتاج ثانوى ليس على المستوى السياسى والعسكرى فحسب وإنما أيضاً على مستوى الهويات العرقية. وحتى لو لم نوافق تماماً على الزعم الراديكالى بأن الهوية العرقية هى نتاج أفرزه الاحتلال الاستعمارى فسيظل فى استطاعتنا أن نزعم أن الاستعمار الغربى أدى إلى إعادة تنشيط الخيال العرقى فى مناطق الهيتروتوبيا وإعادة انتشار هذه الهويات فيها.

اقترح عالم الإنثروبولوجى أرجون أبادوراى إقامة وحدة تحليل إقليمية تتسم بالمرونة لبحث هذا النتاج العرقى الذى يصفه بأنه نتاج عرقى محلي. ويعكس هذا النتاج العرقى مشهد موقع تتعدد فيه الهويات العرقية نتيجة للتنقلات التى تفتقر إلى المساواة فى العالم الذى نعيش فيه. ويشارك فى هذه التنقلات مهاجرون ولاجئون ونازحون ومنفيون ومهاجرون من أجل العمل وسياح، وهم أناس يتحركون من مكان لآخر ويؤثرون بقوة غير مسبوقة على السياسة الداخلية فى الدول القومية وعلى العلاقات السياسية بين الدول (Appadurai 1996). ويتسبب هذا النتاج فى تحويل الملامح العرقية الأصيلة كاللغة ولون البشرة والقرابة العشائرية ومشاعر الارتباط الأولية إلى مشكلات سياسية مرنة. وفى ظل هذا النتاج تعقد صفقات ثقافية وبذلك أيضاً تتغير الطريقة التى يجرى بها تخليق الهويات الاجتماعية. كان المنطلق الذى بدأ منه أبادوراى بحثه يتحرك من وجهة نظر عالمية بهدف بحث الطريقة التى يتم بها التعامل مع الهويات الكثيرة التى ظهرت فى عصر ما بعد الهويات القومية ويزعم أن مجموعة الهويات المذكورة تتسم بالمرونة وسهولة الاختراق وأنها تتحرك فى اتجاهات كثيرة وغير متوقعة.

يؤكد هذا الموقف النظرى على اعتبار الهوية مزيجاً من الانقسام والتعددية ومزيجاً من القوة والسياسة، وهذا المزيج مليء بالمتناقضات والحوارات وتبادل الألعاب المتعلقة بالمكانة السياسية وبالاقتصاد السياسى ووجود إمكانية دائمة للمساومة بين الهويات المتقاربة والمتباعدة. ووفقاً لهذا الموقف فإن الهوية هى نوع من اللغة ونوع من الوسيلة لوضع جماعة نفيت أو أقصيت من دائرة الاهتمام العام داخل دائرة الضوء، وتسجيل أو إعادة تسجيل العلاقة بين أفراد الجماعة أو بينها وبين الجماعات الأخرى.

إذا اعتبرنا أساس التحليل الذى وضعه أبادوراى إطاراً تحليلياً واعتبرنا "ما بعد القومية" تصنيفاً تحليلياً وليس زمنياً فسيكون فى استطاعتنا أن نتحدث عن تمييع الهويات وإعادة تشكيلها ولا سيما فى عصر ما بعد الهوية القومية القوية. ورغم هذا تعد الهوية القومية القوية بحكم طبيعتها عنصراً أساسياً فى إعادة تشكيل الهويات العرقية، كما تعد هى نفسها نتاجاً لهويات عرقية ونتاجاً لمنع حدوث تهجين عرقى ولتمثيل عدة هويات مترابطة. والخيال القومى الذى تحدث عنه بنديكت أندرسون هو نوع من الممارسة الاجتماعية التى تفرز الهوية العرقية الموحدة وفى نفس الوقت تفكك وتشوش وتهجن الهويات العرقية القائمة. ويسمح لنا استخدام مصطلح ما بعد الهوية القومية بأن نتناول الهويات العرقية التى لا ارتباط لها بالأساطير القومية (إذا شئنا استخدام مصطلحات أولريخ بك) بمعنى أنها ليست خاضعة للهوية القومية السائدة ولمنطقها.

❖ **الهوية العرقية فى إسرائيل:**

عندما استخدم أبادوراى تعبير البدائية المخلّقة الذى ينطوى على تناقض كان يسعى إلى طمس الفارق الواضح بين الهوية العرقية كظاهرة بدائية ذات مكونات أساسية وبين الهوية العرقية كظاهرة يمكن تخيلها وتفهمها على المستوى الاجتماعى (Appadurai 1996: Hall 1996a). وينطبق هذا التمييز أيضاً على الطريقة التى سعت بها البحوث فى إسرائيل إلى تشكيل ملامح الهوية الشرقية، واصفة إياها بأنها تتأرجح بين نظريتين واضحتى التناقض.

فى إطار النظرية الأولى– وهى النظرية التكوينية التى تتناول تكوين الهوية– جرت العادة على النظر إلى الهوية على أنها تصنيف يتمتع بعمق تاريخي، وبالتالى فقد تركزت المساعى على البحث عن أصولها البدائية والتاريخية فى الماضى السحيق. وفى حالة الشرقيين كان هذا الماضى يرجع للفترة السابقة على هجرة يهود الدول الإسلامية إلى إسرائيل. ويسعى الباحثون للبحث فى الدول التى جاء منها المهاجرون عن المصادر المختلفة للهوية الشرقية (التى يجرى تقييمها دائماً من خلال مقارنتها بالهوية الإشكنازية) ويؤكدون أن هذه المصادر نشأت نتيجة للحياة فى الدول العربية لفترة طويلة، وكذلك نتيجة للقاء مع الاستعمار فى الدول الأصلية التى جاء منها المهاجرون. وعلى سبيل المثال فقد كتب شلومو ديشن وموشيه شوكيد فى مقدمة كتابهما "يهود الشرق" الذى صدر عام ١٩٨٤ ما يلي:

"من الناحية الإتنوجرافية نحن نسعى إلى إلقاء الضوء على المناطق المختلفة التى شهدت وجود ثقافة يهودية... ونحن نقترح بشكل حذر وتجريبى التمييز بين سبع مناطق ثقافية يهودية أساسية فى الشرق... فإذا بدأنا فى رصد جماعات السكان اليهود وفقاً للتنظيم من الغرب إلى الشرق فسنجد لدى يهود المغرب خطوطاً تنظيمية واضحة وبارزة ولاسيما فى مجالات القيادة الداخلية والنشاط الديني. وبالتالى فإن يهود المغرب يمثلون منطقة ثقافية مستقلة. وتتمتع المنطقة الشرقية من شمال إفريقيا- وأعنى بها "المغرب الخارجي" وليس "المغرب الداخلي" الذى يتركز فى تونس- بألوان مختلفة تماماً من التطورات الاجتماعية والثقافية اليهودية. ولذلك فإننا نعتبر هذه المنطقة منطقة ثقافية منفصلة. بينما تمثل اليمن منطقة ثقافية ثالثة، ويمثل يهود تركيا منطقة ثقافية لها لغتها الخاصة وتضم غرب تركيا المعاصرة وبلغاريا واليونان، حيث تمثل هذه المناطق الثلاث منطقة ثقافية رابعة. وتمثل الطائفة اليهودية فى منطقة الهلال الخصيب التى تضم الطوائف اليهودية فى بغداد وحلب والطوائف الأخرى الأصغر نسبياً فى أرض إسرائيل وسوريا منطقة ثقافية يهودية خامسة. فيما يمثل يهود إيران الذين كانت لهم طوائف تابعة لهم فى وسط آسيا ووصلت هذه الطوائف إلى الصين فى العصور الوسطى منطقة ثقافية سادسة. وأخيراً فإن يهود الهند يمثلون منطقة ثقافية سابعة. (نفس المرجع ١٩٨٤ ص٢٣).

وقد تجلى الموقف المبدئى فى التمييز بين المناطق الثقافية المختلفة من ناحية وتصنيفها العلمى "الإتنوجرافي" فى قائمة واحدة تضم يهود الشرق من ناحية أخرى. كما يلاحظ ديشن وشوكيد أن "المهاجرين من الدول الإسلامية جلبوا معهم عادات فى مجالات مختلفة لا تتماشى مطلقاً مع ما اعتاده قدامى المهاجرين فى البلاد من عادات... وهناك رغبة فى الكشف عن الجذور الثقافية الخاصة للمهاجرين من الدول الشرقية" (نفس المرجع ص١٤).

فى مقابل ذلك فإن النظرية الثانية وهى النظرية الاجتماعية تعتبر الهوية ثمرة تصور وتكوين اجتماعي. وهذه النظرية ترفض التصور السابق للهوية، وتؤكد بالنسبة للحالة الإسرائيلية أن هوية الشرقيين فى إسرائيل ليست نتاجاً لثقافتهم التقليدية السابقة على الحداثة، وإنما ترجع إلى طبيعة الارتباط الذى نشأ بين المهاجرين والمجتمع الذى استوعبهم فى إسرائيل والتى تتسم بالتبعية. وقد ظهر هذا التوجه بشكل واضح فى الكتاب الذى نشره سفيرسكى عام ١٩٨١ تحت عنوان "ليسو متخلفين وإنما مخلفين"، وكذلك فى الكتاب الذى نشره سفيرسكى وبرنشتاين عام ١٩٨٠/١٩٩٣ تحت عنوان "من عمل ماذا، لمن وبكم..؟". ويرجع الباحثون من أنصار هذه النظرية السبب فى نقل صورة من العنصرية وإقصاء الشرقيين وخلق أنماط من عدم المساواة للمجتمع الإسرائيلى إلى مؤسسات الدولة، كالجيش والمؤسسات التعليمية ووزارة الإسكان والمؤسسات المسئولة عن التوطين. وقد وجدوا أمثلة صارخة تدلل على نشاط هذه المؤسسات فى المدن النامية التى بلغت نسبة اليهود الذين ترجع أصولهم إلى الدول الإسلامية ٧٠٪ من سكانها، حيث تم توجيههم إليها مع وفودهم إلى إسرائيل. غير أن المدن النامية تحولت إلى مدن صناعية مليئة بفرص العمل، فيما فرض على الشرقيين تجربة حياة مشتركة شكلت منهم مجتمعاً افتراضياً واحداً. ووفقاً لنظرية تكوين المجتمع فإن إسرائيل لم تستقبل مهاجرين شرقيين وإشكناز وإنما أفرزت هذه الفئات. ولابد أن نضيف هنا أن هذا التوجه فى البحوث الإسرائيلية يتسم بصبغة ماركسية جديدة أكسبته حساسية خاصة تجاه المواقف الاستعمارية. وقد ظهر هذا فى تحليل مشكلة الشرقيين على أنها ذات صلة بمفاهيم "التبعية الطبقية" و"الاستعمار الداخلي" داخل الدولة (Hechter 1975).

رغم أن الموقف الذى يعتبر الهوية الشرقية تصنيفاً ثقافياً واقتصادياً بديهياً يوجه نقداً صارخاً إلى المجتمع الطبقى فى إسرائيل وإلى خلق طبقة عرقية شرقية إلا أن أصحابه لم يلتفتوا إلى التاريخ العربى والتاريخ اليهودى لليهود العرب. فقد غاب عنهم جانب العمق الثقافي، والأدهى من ذلك أنهم لم يلتفتوا إلى قصة الهجرة. تنظر نظرية التكوين الاجتماعى إلى الشرقيين على أنهم "جاءوا من فراغ". أما النظرية المضادة فإنها تعتبر الهوية شيئاً ثابتاً لا يتغير، وتنظر إليها على أنها سمة لا تتغير سابقة على التفاصيل التى تحملها وتحد من المساحة المتروكة لتأثير هذه التفاصيل. وتشوب كلا النظريتين عيوب واضحة فالأولى تفرض على اليهود هوية ثقافية لا تاريخية، وتتغاضى عن سلسلة طويلة من الفوارق بين الجماعات والمناطق الجغرافية والسياقات الزمنية التاريخية التى لا تنطبق عليها القواعد الموحدة للهوية. أما الثانية فتتجاهل تماماً فترات تاريخية محددة فى تاريخ اليهود العرب، وتفرض عليهم هوية إسرائيلية مطلقة ورؤية للعالم قائمة على أساس عرقى طبقي. فالنظرية الأولى لا تلتفت إلى واقع ما بعد الاستعمار فى إسرائيل، والثانية لا تلتفت إلى التاريخ الاستعماري.

تسعى قلة من الباحثين إلى الجمع بين النظريتين السابقتين. وعلى سبيل المثال فقد سعى وينجرود إلى الابتعاد عن التأثر بزعم النظريتين أن الهوية العرقية مرنة (Weingrod 1979). وأوضح أن الشعور بالهوية الطائفية لدى اليهود ذوى الأصول الأوروبية يتناقص فى إسرائيل، لتظهر بدلاً منه طبقة إسرائيلية إشكنازية مسيطرة. وفى مقابل ذلك

يظهر لدى اليهود المهاجرين من الدول الشرقية نظام طبقى جديد لا تزال الهوية الطائفية تحظى فى إطاره بمكانة ثقافية واضحة حيث هناك فوارق طائفية داخلية فى طبقة العمال الشرقية. كما قامت "كزوم" بطمس التناقض الواضح بين الهوية كمصطلح يعبر عن البدائية وبين الهوية كنتاج ثقافى افتراضى (كزوم ١٩٩٩). حيث زعمت أن سلسلة الهويات اليهودية فى إسرائيل وخارجها قد تعرضت للقولبة نتيجة لنشاط الاستشراق أو نتيجة لقيام إحدى الجماعات الاجتماعية باستخدام التناقض بين مصطلحى شرقى وغربى لتصوير الجماعة الأخرى على أنها ذات مستوى أدنى (وفى هذا الصدد راجع أيضاً: (Schroeter 1994). أما هرتسوج فقد طرحت فى بحثها عن "الهوية الطائفية السياسية" وجهة نظر بناءة، بموجبها لم تكن الهوية الطائفية أمراً بديهياً وإنما كانت ثمرة لتطورات ثقافية وسياسية. وأشارت هرتسوج إلى وجود مفاوضات طويلة بين الجماعات المختلفة فى المجتمع الإسرائيلى بشأن مفهوم "الهوية الطائفية". وبعكس التوجهات المتخلفة فى بحوث الهوية الطائفية- التى كانت سائدة فى ذلك الحين والتى افترضت مسبقاً وجود هوية طائفية- تقترح هرتسوج النظر إلى الهوية الطائفة على أنها ظاهرة متنامية ومتغيرة. لم تضع هرتسوج افتراضاً مسبقاً لمفهوم الهوية الشرقية، واعتبرتها نتاجاً لما يجرى فى الميدان الاقتصادى والسياسى والثقافى على حد سواء، حيث كتبت تقول: "لا توجد حدود واضحة للجماعات الطائفية كما لا يوجد معنى ثابت للهوية الطائفية كعنصر مؤثر فى تحديد الجماعة وجوهرها. فهذه الأشياء تتحدد أثناء المنافسة فى الساحة الاقتصادية والثقافية والسياسية" (هرتسوج ١٩٨٦: ١١٠). وعلى سبيل المثال فإن متابعة الانتقال التدريجى من صفة "السفارادبم" إلى صفة "طوائف الشرق" ثم "الشرقيين" يمكن أن يجعلنا نعرف الكثير عن مفهوم الطائفية فى إسرائيل (راجع على سبيل المثال: بن دور ١٩٩٩).

تقدم لنا حالة عبدان إمكانيات خاصة للتحليل لا تخضع للتعارض الشديد بين نظريتى الهوية التكوينية والاجتماعية. وقد يرجع ذلك إلى كون الهوية العرقية "الشرقية" ليست سلعة مكتملة قادمة من الدولة المصنعة لها، وإلى جانب ذلك فمن الواضح أنها لا تخضع لمنطق الدولة التى لم تكن قد أقيمت بعد. إن حكاية عبدان هى حكاية إقامة هوية عرقية فى "أجواء وسط" بين هذا وذاك (أو فى أجواء تعتبر "in- between-ness" على حد وصف هومى بابا bhabha 1994). ولم تكن هذه الهوية مغلقة وإنما كانت مفهوماً مرناً تم تشكيله فى فضاء مختلف قبل عشر سنوات من بداية الهجرة الكبرى لليهود العرب إلى إسرائيل. وقد كان لهذه الهوية حدودها المعروفة كوسيلة للتفاهم بين جهتين مسيطرتين إحداهما قومية والأخرى استعمارية. وقد كان من بين العناصر الهامة فى تشكيل هذه الهوية التى تتأرجح بين النزعة القومية والنزعة الاستعمارية قصة الهوية العربية لليهود العرب. فقد كان لهذا العنصر تأثيره فى المباحثات التى أجراها مبعوثوا شركة سوليل بونيه وغيرهم مع أطراف أخرى بخصوص السكان المحليين. ومع هجرة اليهود العرب إلى إسرائيل فى أواخر العقد الرابع وأوائل العقد الخامس من القرن العشرين حكمت النزعة القومية على هذا العنصر بالفناء وتسبب السعى إلى تهويدهم وإكسابهم ثقافة صهيونية فى جعل الحديث عن هذا العنصر من المحظورات. وقد كان من قبيل المفارقة أن تسببت الممارسات التى جرت مع اليهود العرب فى إسرائيل - بهدف جعلهم ينسلخون من هويتهم العربية - فى دعم هذه الهوية، وذلك لأن تمتع اليهود العرب بهوية عربية كان هو الافتراض المسبق الذى بناء عليه جرت محاولات لجعلهم ينسلخون من هذه الهوية.

يتيح لنا لقاء عبدان تقييم الحديث عن الهوية العربية فى السياق الاستعمارى السابق على الهجرة الكبرى، نظراً لأنه كان لقاء بين "شرقيين" و"إشكناز" جرى فى سياق قومى وسياق استعمارى فى نفس الوقت. وكما سبق أن ذكرت ففى الفضاء الثالث الواقع بين الفضاء القومى والفضاء الاستعمارى تشكلت الهوية العرقية لدى اليهود الشرقيين وتشكلت فضلاً عنها أيضاً هوية المبعوثين الساعين إلى تثقيفهم. وسوف أحاول الآن شرح عناصر هذه الهوية من خلال ما أصفه بظاهرة الاستعمار المزدوج.

٤- ظاهرة الاستعمار المزدوج:

"أردت الحديث عن مهمة قومية فوجدت للمستعمرة اليهودية رائحة إمبريالية"..

كانت المهمة الثقافية المزودة بالمبادىء المسيحية والأفكار الأوروبية المرتبطة بالثقافة الراقية والتقدمية تمثل جزءاً هاماً من الحكم الاستعمارى الأوروبي، يوفر له الشرعية (Mitchell 1988, cohen 1996). وقد أصبح رعايا الاستعمار خاضعين له من خلال خلق نظام منضبط وتشكيل ملامحهم ليمثلوا "الآخر" (راجع على سبيل المثال: .(Mitchell 1988 وكان ذهاب مجموعة سوليل بونيه إلى عبدان محفوفاً برغبة استعمارية تتمثل فى السعي لنشر التحضر أو ملأ الفراغ. وعلى سبيل المثال يحكى أحد مبعوثى سوليل بونيه عن زيارة قام بها لنهر الفرات قائلاً: "كنا نحلم بتحويل مثل هذا النهر إلى أرض إسرائيل". أو كما أوضح يتسحاق بنكلشتاين (أو "يتسحاق عيلام" حسب الاسم الذى اتخذه لنفسه، وقد أصبح مديراً عاماً لشركة "سوليل بونيه" فى وقت لاحق): "لم يكن هذا المكان مجرد موضع يتم فيه

استبدال العمال حسب فترات العمل، وإنما كان نقطة نريد أن نرى فيها فرصاً من منظور أكثر رحابة... كانت هذه مهمة قام بها الرواد لخدمة أهداف بعيدة الأمد".

ولكن كما ذكرت فى موضع سابق، فإن الجوانب الاستعمارية لمشاركة شركة سوليل بونيه فى احتلال المنطقة تتركز بشكل أساسى فى ثقافة المحليين وخلق فواصل عرقية جديدة بينهم. فقد كان المبعوثون إلى عبدان يسعون بشكل دائم إلى تثقيف اليهود العرب وإكسابهم الطبائع الأوروبية، وكذلك إلى إعادة تقييم الهوية اليهودية لليهود العرب وفصل العنصر اليهودى عن العنصر العربى فيها... ولكن لم يكن المستهدفون بهذه البعثة هم المحليون وحدهم؛ حيث لم يكن فى استطاعة المبعوثين أيضاً الهروب من تأثير المهمة الثقافية التى شاركوا فيها. فقد كان الاستعمار الكلاسيكى يصف "الآخر" بحيث يكون نقيضاً له باستخدام سلسلة من عناصر التقييم المادية مثل العرق أو الملامح الجسدية أو اللون (Fannon 1963 - 1967). وكانت قدرة القوة الاستعمارية تعتمد على جعل عناصر التقييم المذكورة غير قابلة لنقدها أو للاعتراض عليها. وهكذا كان الأبيض يصف لون الشخص الأسود، وكان الأوروبى المتحضر يصف تخلف القبيلة البدائية، وكان المبشرون يصفون الأفارقة المتخلفين (Comarrof 1991)، وكان الوصف فى كافة الأحوال يصف الذات كما يصف الآخر. فقد كان الخاضع للاستعمار هو "الآخر" الخطير الذى تواجهه الذات الاستعمارية.

أدى اللقاء مع اليهود العرب (باعتبارهم الآخر المختلف) ووجودهم فى منطقة مليئة بالمتناقضات إلى زيادة فهم اليهود الأوروبيين لأنفسهم مما ساعدهم فى بلورة وعى ذاتي، وقد تجلى هذا بوضوح فى أساليب حديثهم والمصطلحات التى استخدموها فى وصف تجاربهم وسرد انطباعاتهم. ولهذا فإننى هنا لا أكتب قصة اليهود العرب فحسب، وإنما أكتب أيضاً قصة المبعوثين الذين تعرفوا إلى انفسهم من خلال لقائهم مع "الآخر". وبالتالى فإن النظرة هنا ترتد إلى المبعوثين فى محاولة لتفكيك العناصر الخاصة بتقييمهم لأنفسهم من أجل فهم التجربة الاستعمارية باعتبارها تاريخ خاص يختلف عن التاريخ الذى يكتبه مثقفوا الصهيونية. وتعتمد هذه الخطوة على النقد الذى وجهه هومى بابا إلى تأثير الخطاب الاستعمارى على إدوارد سعيد. فقد كان هومى بابا يسعى لتوضيح أن الخطاب الاستعمارى ليس خطاباً موحداً ولا يتسم بقدر كبير من الثقة بالنفس على النحو الذى يبدو من النظرة الأولى، بل ولا يتحرك بناءً على الخطة التى وضعها لنفسه مسبقاً (bhabha 1994).

ينطوى تحليل مشروع عبدان على فائدة هامة فيما يتعلق بتوسيع الإطار النظرى للحركة الصهيونيـــة. فقد كانت مناقشة الجانب الاستعمارى فى الحركة الصهيونية تركز بصفة عامة على الاستيلاء على الأرض (احتلال الأرض) أو على فرص العمل (احتلال العمل) داخل حدود فلسطين/ أرض إسرائيل. وفى هذا السياق أيضاً تم وضع معيار للاستعمار الذى تمارسه الحركة الصهيونية بما يتفق مع خصائص تحليلية بعيدة عن الموقف التاريخى المحدد. ومن هذا المنطلق فإن شابير على سبيل المثال يضع النشاط الصهيونى على خريطة مكونة من أربع نماذج للمستعمرات، وهي: المستعمرة العسكرية والمستعمرة المختلطة والمستعمرة الزراعية والمستعمرة الاستيطانية البحتة (شابير ١٩٩٣). ومع كل الأهمية التى ينطوى عليها تحويل الاهتمام التاريخى والاجتماعى من المصطلحات التى تتناول الصهيونية كإطار قومى إلى إطار فكرى أكثر عالمية، فإن النظرية التى يضعها شابير تستند إلى إطار فكرى غير تاريخى بل ومصطنع فى بعض الأحيان.

توفر لنا حالة عبدان إطاراً بحثياً من منظور ما بعد الاستعمار. وتسمح لنا بالعودة إلى طرح جانبين جديدين كانا غائبين عن البحوث التى جرت حتى الآن. الجانب الأول هو إطار التحليل الظاهرى للحالة الاستعمارية. ويتضمن وصف الحياة اليومية للمبعوثين وتحليل وعيهم حسبما تجلى من يومياتهم ومن الشهادات التى وردت بشأن تلك الفترة والتى تتيح لنا إدخال أصواتهم إلى حلبة النقاش وكتابة تاريخ التجربة الاستعمارية من أسفل (أى من خلال ما كتبه النشطاء الميدانيين وليس القيادات). فقد كان المبعوثون مدركون للأمور المتعلقة بلون البشرة وكانوا ينظرون إلى من حولهم ويتحدثون عن أنفسهم باعتبارهم أوروبيين ذوى بشرة بيضاء وليس فقط باعتبارهم صهاينة. وكانوا يقيمون- فى ظروف سكن لا يحظى بها سوى بيض البشرة- فى تلك المدينة التى كانت تعانى من تخلف شديد. وكانوا يحصلون على أفضلية فى ظروف العمل لا يحصل عليها سوى ذوى البشرة البيضاء. وللتدليل على ذلك إليكم ما كتبه عن العمل فى عبدان أحد هؤلاء المبعوثين:

"كان العمل يجرى بالطريقة الإنجليزية فى استخدام العمالة اليدوية. فالعامل الأوروبى هناك لم يكن يعرف كيف يقوم برفع مطرقة ثقيلة أو سيخ حديد، فكان يقف وينتظر إلى أن يتقدم إليه أحد القائمين بالأعمال اليدوية ويقوم بالعمل الثقيل. وبنفس الطريقة فعندما كان أحدنا يدخل إلى القاعة كان أحد هؤلاء العمال (أو الصبية) يقوم بخدمته. وفى المساء بعد انتهاء يوم العمل كان يقوم بتلميع أحذيتنا ويرتب السرير ويفرش الناموسية فى الخارج. وفى صباح اليوم التالى كان يعود ويلملم الناموسية ويدخلها إلى الغرفة. وهكذا دواليك. ومن هذا المنطلق فقد كانت الحياة هناك سهلة. وسرعان ما اعتاد رفاقنا على هذه الطريقة فى العمل وفى الحياة."

بالطبع هناك علاقة بين الكلام السابق وبين الخرافة القومية المتعلقة بإنتاجية اليهودي التى تحدث عنها أنتسو سيرانى فى موضع سابق. فكما سبق أن ذكرت كان للحرفي- أو لمن يمارس عملاً يدوياً- مكانة هامة فى المشروع القومي، غير أنه كان يعانى من الدونية فى سياق العمل فى المستعمرات. ومن هذا المنطلق فقد أدى لقاء المبعوثين مع اليهود العرب إلى طمس بعض المفاهيم التى كانت لديهم. فقد كان المبعوثون ينظرون إلى اليهود العرب على أنهم لا يصلحون للعمل اليدوي، وكان هذا هو السبب فى اعتقادهم أنهم لا يصلحون للمشروع الصهيوني. كذلك فمن وجهة نظرهم الصهيونية كان من المفترض أن يتولوا هم بأنفسهم العمل اليدوي، وأدى امتناعهم عن القيام به إلى خلق شعور واضح بعدم الارتياح لديهم. كان المبعوثون الصهاينة واليهود العرب على حد سواء لا يقومون بالعمل اليدوي، غير أن تقييم ذلك كان مختلفاً فى الحالتين. وهذا الاختلاف يعبر عن التقاطع بين وجهة النظر الصهيونية ووجهة النظر الاستعمارية. كان النقد الموجه إلى الامتناع عن العمل اليدوى فى الحالتين نابعاً من وجهة النظر القومية، غير أنه فى حالة اليهود العرب كان من الممكن استكمال الصورة من خلال الخطاب القومي. ففى حالة المبعوث الصهيونى كان الامتناع عن القيام بالعمل اليدوى ظاهرة لا يمكن قبولها سوى من المنظور الاستعماري. أما فى حالة اليهودى العربى فقد كان الامتناع عن العمل اليدوى يجعله فى مصاف المرشحين للتأهيل فيما يعطى المشروع القومى الفرصة لتحويل الكسالى إلى منتجين. وهذا هو السر فى التناقض فى الخطاب القومى لدى المبعوثين الصهاينة بشأن النظرة الاستعمارية من جانب المبعوث إلى اليهودى المحلي.

كما سبق أن أشرت هناك جانب آخر يتيح لنا توسيع إطار تحليل الحركة الصهيونية بأدوات ما بعد الاستعمار، وهذا الجانب هو النظرة إلى المستعمرة التى تقع على بعد نحو ألف وخمسمائة كيلومتراً من تل أبيب، أى خارج حدود ما يطلق عليه اسم "أرض إسرائيل التاريخية". وتدلل هذه النظرة على أن الاستعمار لا يكتفى بحدود محددة وأنه قابل دائماً للتوسع والانتشار. لقد تمت السيطرة على المنطقة عن طريق الاستعمار البريطاني، وهو ما أكد حسبما ذكرت فى موضع سابق أن الفهم الكامل للمشروع الصهيونى يتطلب تناول نوعى الاستعمار البريطانى والصهيونى بالبحث بمصطلحات موحدة. يصف بن آري- وكان من بين المبعوثين- الجانب المشترك بين نوعى الاستعمار والذى عبر عنه بقاء مجموعة "سوليل بونيه" فى عبدان على النحو التالي:

"لقد كانت المجموعة الموجودة هنا تريد توضيح الروح الطيبة التى تسود فى العمل الجماعي، غير أن هذا الأمر لابد أن يصبح العنصر الرئيسى فى تصرفاتهم، ليس فى العمل فحسب وإنما خارجه أيضاً بحيث يتركوا لدى الآخرين- سواء من اليهود المحليين أو من البريطانيين أو من جنود جيوش الحلفاء أو من رعايا الدولة التى نحن فيها- انطباعاً بأن هذه مستعمرة عبرية. لا أعتقد أن فى استطاعتنا التأثير على المواطن الإيرانى فى اللقاء الأول، ولكننا بمضى الوقت سوف ننجح فى هذا. وهذا هو الأسلوب الذى كنا نتبعه فى الماضى فى التأثير على الشعوب الأخرى من خلال تعليمها معايير السلوك. إن تأثيرنا على الناس لا يقتصر على النواحى الفكرية أو الدبلوماسية، وهذا هو السبب فى أننا نريد من المجموعة أن تظهر بالشكل المناسب. فالعائد من العمل ليس مسألة أجر يوم واحد، وعلى هذا فيجب أن ننظر إلى هذا الأمر على أنه نظام قائم، أو على أنه أول مستعمرة عبرية، وبذلك لابد أن نولى هذا الموضوع أهمية كبرى."

ترتبط مهمة المستعمرة بالوجود اليهودى فى الموقع ولكن هناك مجال لمقارنتها بالاستعمار البريطانى أيضاً، ويتضح ذلك من الفقرة التالية:

"توجد فى بغداد طائفة يهودية كبيرة يبلغ تعدادها ١٢٠ ألف نسمة. وبالإضافة إلى ذلك لابد من رفع شأن اليهود فى إيران. ونحن نظهر فى صورة المجددين بالاستعانة بالإنجليز الذين يتسمون باختلاف طرق عملهم وتوجهاتهم، ومن الأهمية بمكان أن نفكر فى أن يكون لنا أسلوبنا الخاص. ما هو الدور الذى يمكن أن تلعبه مثل هذه المستعمرة فى مكان كهذا..؟ أعتقد أن أول شيء يمكن أن تفعله هو اختيار الخامة الإنسانية... وأعتقد أن أفضل ما يفعله أعضاء المجموعة الموجودة هنا هو أن يوضحوا للناس الشروط المطلوبة فى العناصر المناسبة لإقامة مستعمرة قابلة للاستمرار فى أرض إسرائيل... إن الإمبراطورية البريطانية أيضاً عندما ترسل مبعوثين تملى عليهم الطريقة التى لابد أن يتصرفوا بها. وبالطبع فإننى لا أريد أن أنسى السلوكيات التى تعلمتها من المستعمرات الإنجليزية، غير أننى أريد أن نبلور قواعد سلوك تصلح لمستعمرة يهودية".

من الممكن أن نعرف عن تعقيد الحياة فى عبدان كموقع استعمارى أيضاً من وصف أحداث الحياة اليومية للمبعوثين. يقدم لنا عمال عبدان ومبعوثوا الحركة الصهيونية فيها وصفاً تفصيلياً للحوادث التى تعرضوا لها والمقابلات التى أجروها مع رؤسائهم أو مع المحليين أو مع زملائهم الإنجليز أثناء العمل، ومن خلال هذا الوصف تتضح لنا علاقات التجاذب والرغبة والرفض التى كانت تراودهم فى نفس الوقت. من الشهادات المثيرة فى هذا

الصدد شهادة ناتان بليزوفسكي، وهو مبعوث صهيوني كان من المستعمرين في كيبوتس أوفيك، وأقام في عبدان متظاهراً بأنه من عمال سوليل بونيه. ولد بليزوفسكي في بولندا، وهاجر إلى فلسطين/ أرض إسرائيل في عام ١٩٤١، حيث استوطن في كيبوتس مشمار يام. وبعد أن أمضى بضع شهور في الكيبوتس تم تجنيده عضواً في "مجموعة المبعوثين التي كان من المقرر أن تتسلل إلى أرض العدو". وبعد مقابلة تمهيدية مع يتسحاق تفنكين اجتاز بليزوفسكي دورة تأهيلية. وكان من بين معلميه شاءول أفيجادور وموشيه كرميل الذي كان قائد فرقة ضباط في منظمة الهاجاناه قبل قيام الدولة. وقد أدرك بليزوفسكي حسب شهادته أن الهدف من الدورة التأهيلية هو إعادته إلى أوروبا الشرقية وإعداد اليهود هناك للدفاع وللحرب. ولكن بعد نهاية الدورة جاءه موشيه كرميل وأبلغه انه سيسافر إلى عبدان. ويصف بليزوفسكي التفضيل الذي يحظى به اليهودي- كعامل أبيض في إطار المشروع الاستعماري البريطاني- على النحو التالي:

"حكى لنا (موشيه كرميل) عن عبدان، وعن قيام مؤسسة سوليل بونيه بتجهيز مئات العمال لإقامة معامل جديدة لتكرير البترول في عبدان. وقال إننا سنسافر معهم كعمال... وقد وضعونا في مساكن مثل سائر العمال. ولم يكن هناك من يعرف شيئاً عنا سوى المدير العام. أما باقي المديرين فلم يكن لديهم علم بأي شيء. والتحقنا بالعمل في الصباح التالي. ذهبنا إلى العمل في الرابعة فجراً، وكنت أنا المسئول عن تركيب النوافذ في معامل التكرير. وكان عملي يقضي بأن أكون مشرفاً على العمال الفنيين الهنود. وبالطبع فقد تحولت من عامل مهني إلى صبي أحمل الأدوات، لأن هذا لم يكن تخصصي على الإطلاق. في وقت معين مر المسئول البريطاني، ولم يستطع أن يتحمل مشاهدة شخص أبيض يجهد يديه بعمل يدوي، فقام بإبلاغ مدير شركتنا بهذا الأمر. وفي اليوم التالي غيروا عملي وجعلوني مشرفاً على صب الأسقف. وعندئذ فهمت المقصود. فقمت بالإشراف على العمال الحرفيين... وكانوا من الإيرانيين. هنا تكشفت لي الصورة الرهيبة للظروف التي يعمل فيها العامل الإيراني في ظل النظام الاستعماري البريطاني. وربما يكون هذا ما جعلني أصبح إشتراكياً هنا، في هذه الدولة بالذات. فقد شاهدت البعض هنا يموتون من الجوع، وشاهدت شخصاً كل ما يتلقاه في يومه أربع لقيمات وفنجان شاي، هي كل أجره. هنا رأيت جثث الموتى تلقى في الشوارع. هنا رأيت الإذلال، المتمثل في عدم اختلاط الإنسان الأبيض بالآخرين. فهو يتنقل وحده ولا يختلط بأحد، مما جعلني أفكر كثيراً في مشكلات العالم وفيما يحدث لنا".

غير أن هذا الإنسان الأبيض كان هو الذي يساعد المبعوثين الصهاينة في مواجهة الآخر في ذلك المكان. وعلى سبيل المثال يحكي أحد العمال عن حادث وصفه فيه أحدهم بأنه فلسطيني ملعون (bloody Palestinian) بينما يحكي آخر عن مشادة مع رئيسه الهندي الذي وصف العمال الفلسطينيين (يهود فلسطين) بأنهم أنانيون. وفي الحالتين أكد الشهود أن الإنجليز هبوا لمساعدتهم. كما أوضح حاي يساكروف أيضاً أنه باعتباره يهودياً كان يطالب بحقوق مماثلة لما يحصل عليه البريطانيون.

لا يقتصر التناقض هنا على النظرة إلى الهوية وحدها وإنما يمتد ليشمل النظرة إلى المكان وتقييمه. فقد كان من أهم الأسئلة التي شغلت المبعوثين اليهود في عبدان: هل هذه المنطقة تدخل في حدود أرض إسرائيل أم أنها أجنبية..؟ وهل هي مستعمرة بريطانية أم صهيونية..؟ وعلى سبيل المثال فقد كان أغلب المتحدثين عنها يستخدمون لفظ مستعمرة المشتق من الاستعمار وليس مستعمرة، وكانوا يستخدمونه بشكل مباشر ودون تحفظات. وعلى سبيل المثال فقد قال بالون: "لو كنا نريد إنشاء مستعمرة يهودية هنا فلابد أن نفعل الخطوات الضرورية". ويقول يسكاروف: "هناك من يحسدوننا على مستعمرتنا". كما استخدم ليبرمان نفس المصطلح عندما قال: "إنني أفترض أن الأساس الكافي لإقامة هذه المستعمرة كان متوفراً". وعلق كيفنز على هذا الكلام بقدر من الاستياء قائلاً: "إنني أنكر هذا أثناء أي حوار... لابد من الحديث عن أن هذه مهمة قومية. فتعبير مستعمرة يحمل رائحة إمبريالية".

ينقل هذا التحذير الصادر عن كيفنز الحوار إلى السياق السياسي، ويتطلب من المشاركين فيه زيادة درجة وضوح مصطلحاتهم ومواقفهم من العالم الذي تمثله هذه المصطلحات. وقد تم حذف الجملة التي قالها كيفنز من محضر الجلسة الذي تم إرساله إلى اللجنة التنفيذية للهستدروت في تل أبيب. وتم أيضاً حذف رد يتسحاق بينكلشتاين الذي قال فيه: "إن من استخدموا تعبير مستعمرة ليسو إمبرياليين، ولا حاجة بنا إلى استخدام تعبيرات مستفزة". وقد شعر كيفنز بالرضا من رد بينكلشتاين، وهو ما دفعه إلى شرح الأسباب التي تجعله يعتقد أن عبدان ليست مستعمرة. وقد كان في شرحه تدعيم للمعنى الاستعماري لوجود المجموعة اليهودية المذكورة في عبدان وليس إضعافاً له، حيث قال: "هناك قنصل بريطاني موجود في تل أبيب. وهذا القنصل يقوم بنشاط ثقافي ويقوم بنشر دعاية بريطانية، أما نحن فهناك قيود علينا". وبمعنى آخر فإن كيفنز لا يجادل في أن البقاء في عبدان له جانب استعماري، والأدهى من ذلك فإن كلامه يكشف أن عدم إظهار الجانب الاستعماري لايرجع إلى عدم الرغبة في ذلك وإنما يرجع إلى عدم القدرة

عليه. فما كان يمنع من وصف عبدان بأنها مستعمرة يهودية هو القيود الرسمية على النشاط الثقافي، بعكس الحال بالنسبة للقنصل البريطاني فى أرض إسرائيل. وقد عارض كيفنز استخدام مصطلحات استعمارية، وذلك فى جلسة أخرى عقدت بعد ذلك بنحو خمس شهور، واقترح استخدام مصطلحات بديلة. وقال فى هذا الصدد: "لقد كنت واحداً من أعضاء أول مجموعة جاءت إلى عبدان منذ نحو ثلاث سنوات. وقد أتاح لى هذا مشاهدة تطورات الأوضاع منذ بداية المشروع وحتى اليوم... نحن هنا بعيدون عن بلدنا، فيما أود أن أصفه بأنه مشروع استيطاني. فنحن فى عبدان نكاد نمثل مستعمرة".

وكان من قبيل المفارقة ان أشار السعى إلى تحييد مصطلح مستعمرة - وإضفاء الشرعية عليه عن طريق ربطه بمصطلح مستعمرة - إلى السياق الاستعمارى للحديث. ويبدو أن كيفنز كان يعتقد أن هذه مستعمرة يهودية فى منطقة ليس لها حدود وليس لها تصنيف إقليمي. غير أن هذه الطريقة فى النظر إلى الأرض لم تكن ممكنة لولا المساعدة الاستعمارية التى جعلت المنطقة مفتوحة وبلا حدود، وجعلت البقاء فى المنطقة أشبه بالبقاء فى موقع هيتروتوبى ينطوى على ازدواجية بين الوجود القومى (بعيداً عن المكان) والوجود الاستعمارى المحدد. وحتى لو كان هناك مبرر لوضع حدود للبقاء فى ذلك الموقع فى نظر المبعوثين القوميين، فإنه يؤكد أن تحقيق الأهداف القومية ممكن داخل أرض احتلتها دولة استعمارية (أما نحن فلدينا حدود).

يتجلى تردد وحيرة المبعوثين فيما يتعلق بالأرض وتوصيفها فى الجدل الذى دار بينهم بشأن مهام المجلس العمالى الذى تم تشكيله فى عبدان. وقد جرى فى أحد الحوارات مناقشة مهام المجلس العمالى فى عبدان، وما إذا كان مجلساً عمالياً بالمفهوم المتعارف عليه فى فلسطين/ أرض إسرائيل (مثل المجالس العمالية فى عفولا وطبرية والقدس وتل أبيب) أم أنه سيلعب دور لجنة نقابية عمالية. وفى الجدل بشأن هذه النقطة أوضح أحد المبعوثين لممثل اللجنة التنفيذية للهستدروت الذى جاء لزيارة مجموعة عبدان ما يلي: "لابد أن تفهموا أن حالتنا هى حالة فريدة من نوعها، أو حالة استثنائية". غير أن هذا التفسير لم يكن مقبولاً لدى المسئولين فى تل أبيب. فالوثيقة التى تضمنت قرار تشكيل مجلس عمالى بعيداً عن اللجنة التنفيذية فى تل أبيب إلى هذا الحد لا تعترف بالحدود. فقد ورد فى الوثيقة ما يلي: "سيكون المجلس مسئولاً عن تمثيل جماهير العمال فى تلك المنطقة فى مواجهة شركة سوليل بونيه". كما ورد فيها: "سيقوم المجلس بتمثيل العمال أمام اللجنة التنفيذية للهستدروت وباقى مؤسسات المنظمة وأمام كافة المؤسسات الموجودة فى البلاد". وتضيف الوثيقة أن "اللجنة التنفيذية للهستدروت ستكون مسئولة عن بلورة معايير لاختيار العمال الذين سيعملون هناك، بما يضمن الارتباط الكافى بينهم وبين البلاد واللغة والممتلكات الاجتماعية والثقافية للهستدروت. كما سيكون عليه اعتماد جهة تكون مخولة بتقييم مدى صلاحية المرشحين واستيفائهم للاشتراطات الخاصة سواء من الناحية الاجتماعية أو من الناحية الفنية، وكذلك تحديد التخصصات المطلوبة وملاءمة العمال المرسلين للعمل فيها".

تكشف محاضر الاجتماعات مع ممثلى اللجنة التنفيذية عن وجود توتر شديد فيما يتعلق بتشكيل المجلس العمالي، وهو ما يكشف عن وجود انقسام فى وعى العاملين فى شركة سوليل بونيه ووجود تعارض مصالح بين المجموعات المختلفة العاملة فى عبدان. يرجع الانقسام فى وعى المبعوثين إلى التداخل بين الجانب القومى الصهيونى والجانب الاستعمارى (الذى يتسم بالازدواجية كما سبق أن أشرنا)، كما يرجع إلى وجود معايير أخرى للزمان والمكان فى عبدان تختلف عن تلك التى كانت سائدة فى فلسطين/ أرض إسرائيل. ولكى يتمكنوا من احتواء هذا الانقسام سعى المبعوثون إلى الحصول على استقلالية فيما يتعلق باتخاذ القرار.

تتجلى الاختلافات فى نظرة المبعوثين إلى احتلال الأرض حسبما سأوضح لكم فى الطريقة التى كان المبعوثون ينظرون بها أيضاً إلى مهمتهم فى ذلك المكان وأهدافها، وفى الطريقة التى يقيمون بها نوعية من ينتمون إليهم. لم يكن من الممكن أن نجد لدى المبعوثين حديثاً موحداً ثابتاً يمكن التمسك به. فقد كان الحديث الموضوعى القومى الذى يتسم بالاستقلالية يتفكك إلى عناصر صغيرة - سواء كانت هذه العناصر صادرة عن جماعات أو أفراد - ولم يكن هذا يسمح بوجود مركز ثقل واحد فى مواجهة الآخر من الرعايا الخاضعين للاستعمار. ومن هذا المنطلق فإن توصيف المبعوثين للآخر والسعى للتميز عنه بواسطة سياسة التمييز التى سأستفيض فى الحديث عنها فى موضع لاحق لم يكن يسمح لهم- على عكس ما يعتقده سعيد- بتقييم أنفسهم بشكل محدد وواضح، بل كان يفرز مجالاً واسعاً مليئاً بالانقسامات والمواقف المتعارضة.

كان من بين القضايا المثيرة التى طرحت خلال الحوارات وأشارت إلى هذا الانقسام قضية التعارض بين المهمة القومية والمهمة الاقتصادية. وقد شرح أحد المبعوثين هذا التعارض بوضوح على النحو التالي: "إنهم يجيدون الحديث عن إرسال الناس إلى الشرق للتأثير على مجريات الأمور، ولكن عندما نصل إلى الحساب البسيط يقومون بحساباتهم

على أساس استفادة جمهور كبير، وبالتالى يحسبون الدخل الذى يمكن أن يتحقق من ذلك. هناك قوتان تتصادمان هنا. الهستدروت والاستيطان المعنى بإرسال مادة بشرية منتقاة تمثله على أفضل وجه فى الشرق من ناحية، وشركة سوليل بونيه من ناحية أخرى باعتبارها شركة لا تهتم بهذه الأشياء ولا علاقة لها بمشكلتنا ولا بتوجهاتنا. لاتوجد رابطة فكرية بين الشركة وبين اللجنة التنفيذية كما لا توجد بينهما علاقة تنظيمية، والفيصل فى هذه المسألة هو المال". وقد أتاح التوتر بين الناحية القومية والناحية الاقتصادية وجود مساحة تواجدت فيها جنباً إلى جنب التبريرات الاقتصادية الاستعمارية والتبريرات السياسية القومية للوجود فى المنطقة. وقد كان هذا نفس ما فعلته شركة سوليل بونيه فى العقد السادس من القرن العشرين عندما ذهبت للعمل فى إفريقيا بمبررات اقتصادية وإنسانية رغم أن الجانب الذى جعلها تبقى على وجودها هناك كان الجانب السياسى باعتبارها ممثلة إسرائيل فى قارة إفريقيا. ولكن التوتر بين الجانب القومى والجانب الاقتصادى فى عبدان كان له مغزى أهم. وقد تعلمنا منه عدة حقائق هامة. أولاً: كان هناك غموض فى أهداف المجموعة مع سفرها للعراق. ثانياً: لم تكن كل هذه الأهداف محددة مسبقاً، فقد كان لأعضاء المجموعة الفضل فى وضع بعض هذه الأهداف. ثالثاً: مع امتداد فترة البقاء فى المنطقة تغيرت الأهداف التى كانت موضوعة فى البداية. رابعاً: لم تكن كل الأهداف معروفة بنفس الطريقة لكل العمال اليهود فى المنطقة وعندما أصبحت هذه الأهداف معروفة للكافة ترتبت عليها مواجهات حادة بين أعضاء المجموعة. وفى هذا الصدد قال واحد منهم ما يلي:

"لا أعتقد أن الشركة جاءت إلى هنا لوجه الله. فقد كان سبب الحضور إلى هذا المكان واضحاً تماماً. وعندما كان يأتى من الشركة اقتراح كانت تعقد اجتماعات عديدة لبحث ما إذا كان الاقتراح مقبولاً من الناحية التجارية أو لأسباب أخرى. وإذا كان الأمر كذلك فقد كانت هناك حاجة منذ البداية للتفكير فى نوعية المبعوثين المرسلين إلى هنا ومهمتهم. والشيء الغريب أنهم يختلفون الآن على مدى تأثيرنا رغم أن ما حدث فى ذلك الحين لم يعد من الممكن إصلاحه؛ فقد كان نتيجة خطأ ارتكب فى حينه. وللأسف فإن الوضع اليوم على النحو التالي... لدينا هنا أيضاً مبعوثون لجلب مهاجرين جدد ولدينا يهود عاديون جاءوا إلى هنا لدوافع اقتصادية بحتة، ولكن من الصعوبة بمكان التنسيق بين الطرفين اليوم وإقامة مستعمرة لها مهمة سامية".

وقد سار حاى يسكاروف على نفس الخط وقال: "لم نكن نعتبر أنفسنا ممثلين فنيين لمؤسسة تابعة للهستدروت نعمل بدوافع اقتصادية، وإنما كنا نعتبر أنفسنا ممثلين لحركة رواد من الشعب العبرى فى الداخل والخارج. ولولا هذا لما كان لنا الحق فى الوجود هنا". غير أن هناك مبعوثاً آخر كان يعترض على هذا الموقف، ولا سيما على ما تضمنه من زعم بأن المؤسسات الاستيطانية علمت بالإمكانيات القومية التى ينطوى عليها مشروع عبدان قبل السفر إلى هناك. وفى هذا الصدد يقول:

"لابد أن أقول إننى أشعر بالدهشة من طرح أسئلة بشأن المهمة الخاصة. فلو كان هذا المكان مهماً لنا من الناحية القومية إلى هذا الحد، ولو كان العاملون لابد أن يمثلوا الهستدروت بشكل مناسب، فأين كان الهستدروت طوال الثمانية وعشرين شهراً الماضية..؟ لقد كنتم تعلمون من الذين أرسلتموهم إلى هنا، وكنتم تعلمون المهام الملقاة على عاتقهم، فلماذا التزمتم الصمت طوال هذا الوقت..؟... لقد كان من الممكن عمل الكثير فى كافة المجالات. لو رأيتم كيف بدا الأطفال اليهود فى عبدان، ولو علمتم كم كان من الجميل سماع اللكنة الفلسطينية من أطفال عبدان. غير أن أحداً لم يستغل الإمكانيات التى كانت متاحة فى هذا الشأن كما هو الحال فى كل مجال آخر. لابد أن يأتى الرد منكم. أنتم المسئولون عن هذا الأمر وأنتم المخطئون. وأنتم الذين أهملتم هذا العدد الكبير من العمال طوال هذه الفترة الكبيرة".

كان هذا الاتهام موجهاً لممثلى اللجنة التنفيذية فى عبدان. والمقصود بالصمت الذى تحدث عنه المبعوث هو "الغموض"، وعدم وجود توجيه، ووجود تفسيرات عديدة لمغزى وأهداف البقاء فى عبدان. لا يوضح لنا هذا الكلام مدى التوتر بين المهام الصهيونية والمهام الاقتصادية فحسب، وإنما يوضح لنا أيضاً أن عدداً كبيراً من المهام التى أخذت المجموعة على عاتقها تنفيذها لم يكن محدداً بشكل قاطع منذ البداية، وإنما جاء بعد الذهاب إلى المنطقة العربية ونتيجة للبقاء فيها، أو أن هذه الأهداف لم تكن معروفة لبعض المبعوثين على الأقل قبل الذهاب إلى هناك. وهذا ما يقوله الرفيق زخاروف صراحة:

"كان من دواعى سرورى أن أسمع أن العمل بين الشباب اليهود فى عبدان يحتل المكان الأول من اهتمامات ممثلى الجمهور (وأنا أسمع هذا الكلام للمرة الأولى). هناك شيء واحد صغير أود أن أضيفه وهو أن الرفاق قد بدأوا العمل فى هذا الصدد بمبادرة من العاملين فى سوليل بونيه فى تلك المنطقة وليس بناء على مبادرة من مؤسسات الهستدروت. فقد جرى العمل منذ مدة دون دعم من المؤسسات العمالية، وإنما من خلال اكتساب البعض للأصدقاء بشكل فردى ومن خلال العلاقات الشخصية مع ممثلى شركة سوليل بونيه".

أدى هذا الغموض فى الهدف من السفر إلى تلك المنطقة إلى زعم المبعوثين أنه تم إرسال البعض ممن ربما كانوا مؤهلين للعمل فنياً ولكنهم لم يكونوا مؤهلين فكرياً للعمل الصهيونى المناسب، ولذلك لم يكونوا خامة طيبة على حد قول المبعوثين، الذين يفسر أحدهم ذلك بما يلي:

"كان الجميع متفقين معى على أننا هنا يجب أن نكون جمهوراً متحداً ومتماسكاً من العمال العبريين، يتمتع بمسئولية يهودية وصهيونية... وسمعت كلامهم... الذي كان يوحى بوجود مشكلة فى الخامة الإنسانية التى لم تكن مناسبة للمهمة المكلفة بها. وقلت إن هناك قدراً معيناً من المسئولية، ربما يقع على عاتق شركة سوليل بونيه التى أرسلت عن غير قصد خامة غير مناسبة لتلك المنطقة، ولكن لا يجب أن نجعل المسئولية الكاملة تقع عليها، كأنها اختارت عن قصد هذه النوعية من الناس".

وقد أوضح أحد المبعوثين المشكلة التى تفجرت بسبب هذه الخامة قائلاً: "هناك عناصر معادية للصهيونية ومناهضة للهستدروت، لا شك أنها كانت بمثابة عنصر معوق. وقد اضطرت المجموعة- التى كانت تتولى العمل فى الناحية التربوية مع اليهود فى عبدان ومحيطها وأبنائهم- لأن تطلب من إدارة شركة سوليل بونيه إقصاء بعض العاملين عن الموقع بسبب ما يمثلونه من إعاقة لهذا النشاط الهام".

تكشف مشكلة نوعية الخامة البشرية عن مشكلة أخرى هامة، وهى أن شركة سوليل بونيه قد اضطرت لأن ترسل إلى عبدان عمالاً جاءوا للتو من أوروبا، زعم البعض أنهم لا يعرفون الفارق بين الوطن والشتات. وكما حكى واحد من قدامى اعضاء المجموعة فهناك مجموعة كبيرة من الرفاق الموجودين فى عبدان بدأت عضويتهم فى الهستدروت فى يوم وصولهم إلى عبدان. وكان كثيرون منهم حديثوا عهد بالهجرة (إلى فلسطين) ولا رابط بينهم وبينها، وكانت عبدان بالنسبة لهم فرصة ستتيح لهم العودة للشتات". وبمعنى آخر فإن هذا المبعوث يزعم أن هؤلاء المبعوثين كانوا لا يزالون يتخلقون بأخلاق الشتات وبالتالى لم يكن من الممكن أن يمثلوا نقطة ثقل مع القادمين من فلسطين/ أرض إسرائيل فى مواجهة اليهود المحليين الشتاتيين فى عبدان. والأدهى من ذلك أن "المهاجرين الجدد" لم يكتسبوا الطابع المحلى لفلسطين/ أرض إسرائيل بالقدر الكافى ولذلك فقد كان لديهم ميل قوى إلى العودة للشتات، بمعنى أنهم إذا كانوا سيؤثون على اليهود المحليين (اليهود العرب) أصلاً فإن تأثيرهم عليهم سيكون سلبياً. ويوضح شماريا جوتمان أن هؤلاء الناس "جلبوا الشتات معهم إلى هنا... حيث لم تكن هذه الخامة البشرية بعيدة عن كافة مشكلات اليهودية فحسب وإنما كانت بعيدة أيضاً عن كافة مشكلات الحركة الصهيونية. كان الجمهور هنا مكوناً من عناصر مختلفة. فكان هناك من لم تؤثر عليهم هجرتهم، وكان هناك من اختلطوا تماماً بالباقين، وفى بعض الأحيان كنت لا تستطيع أن تميز ما إذا كان من حولك من اليهود فلسطينيين أم نزلوا من السفينة للتو. ولابد من توثيق العلاقة مع اللجنة التنفيذية ومن إعطاء اهتمام خاص لهذا الجمهور يفوق ما كان يحظى به قبل قدومه لعبدان نظراً لأن لدينا هنا مشاكل كبيرة".

تسبب الخطاب التاريخى الصهيونى بوضعه للشتات كله فى كفة واحدة فى تضييع تاريخ الطوائف اليهودية المختلفة وطمس الفوارق بين البلدان المختلفة التى كان اليهود يعيشون فيها فى "الشتات". فقد كان الشتات مرفوضاً ككيان واحد مشترك، وكان يُنظر إليه على أنه فترة من انعدام الوزن، أو فترة جهالة مؤقتة تفتقر إلى السيادة السياسية، ويجب نسيانها لهذا السبب. كان رفض الشتات أحد العناصر الكبرى فى تقييم الوعى الذاتى لدى يهود إسرائيل وقد أسهم فى تشكيل ملامح رؤيتهم التاريخية وذاكرتهم الجمعية (راز كركوتسكين ١٩٩٣: ص٢٣).

إن الحالة التى نحن بصددها تنتهك الإجماع على نظرية رفض الشتات. فلكى تتمكن هذه النظرية من البقاء كعنصر فى تاريخ الحركة الصهيونية يجب أن يكون هناك تمييز واضح بين الشتات وبين أرض إسرائيل. غير أن هذا التمييز لم يكن واضحاً فى عبدان، حيث يبدو الشتات بوضوح كمصطلح لا أساس له. وعلى سبيل المثال فإن بعض اليهود الذين ينتمون إلى أرض إسرائيل فى عبدان قد اكتسبوا هذا الوصف بعد مراسم تعميد سريعة داخل حدود فلسطين/ أرض إسرائيل. وكما شهد البعض: "فهناك أناس جاءوا إلى بلادنا كلاجئين وفور وصولهم نزلوا من السفينة للسفر إلى عبدان". وبمعنى آخر فإن بعض المبعوثين جاءوا من "الشتات"، و"تلقوا تأهيلاً ليصبحوا إسرائيليين" ثم سافروا إلى "الشتات" ثانية. من هذا المنطلق فقد كانوا يعتبرون وجودهم فى عبدان تحقيقاً لنظرية رفض الشتات، غير أن وجودهم هناك فى حد ذاته كان مهدداً للتمييز القاطع بين "أرض إسرائيل" وبين "الشتات". فقد أكد البقاء فى عبدان- نظراً للملابسات الخاصة التى جرى فيها- على ميوعة هذه المصطلحات وعلى تغيرها وتغير المعنى الثقافى القومى المصاحب لها.

وبتعبير آخر، نظراً لأن عبدان كانت تمثل ساحة يعمل فيها ممثلون من "الشتات" و"أرض إسرائيل" فى نفس الوقت فقد كانت تعبر عن الرفض والحنين فى نفس الوقت. كان من الممكن للتهديد الذى يمثله الشتات فى عبدان أن يتسبب

فى تمييع هوية المبعوثين القادمين من فلسطين/ أرض إسرائيل، الذين يشتبه فى أن بعضهم شتاتيون، وهو ما يشهد عليه فى الفقرة التالية يتسحاق بينكلشتاين:

"لم يكن لعب دور الشتاتى أمراً ممتعاً غير أنه كان مفيداً لأرض إسرائيل ولسمعة أرض إسرائيل العبرية. هناك أشياء لا يدرك المرء أهميتها وقت حدوثها، ولكن نتائجها تظهر بمضى الوقت. وعلى سبيل المثال فهناك خطر أن نتعرض لإفلاس فكرى عندما نبتعد عن وطننا، وهناك خطر يتمثل فى انقطاع صلتنا بالناس فى الوطن. وفى مقابل كل هذا كان لابد أن نتمتع بالحساسية إزاء ما يجرى هنا، لأن هذه مهمة لصالح الهستدروت والاستيطان اليهودي".

كان سلوك قدامى المهاجرين يعتبر أكثر أصالة ولذلك كان أكثر تحرراً وأقل تأثراً بالشتات. ولكن هذا التحرر كان ينطوى على خطر الإباحية التى كثيراً ما كانت تلقى من يتصدى لها. يقول كابليون: "كان هناك قرار بشأن إيقاع ضغط معين على العضو فيما يتعلق بسلوكه الأخلاقي. وقد أشدت بهذا القرار الطيب. تحدث البعض عن الدعارة وقررنا منعها. غير أنى أعتقد أن هذه حماقة لأنهم سيأتون بنساء بكل تأكيد. أليس الممنوع مرغوباً..؟ ربما تكون هناك حاجة لبحث هذه الأشياء مع متخصصين فى علم النفس وعلم الاجتماع. أما الحديث عن رفع المستوى الأخلاقى القومى فهو من تخصص إدارة الشئون الخارجية فى البلاد(١)".

أدى طمس الفارق بين إقليم أرض إسرائيل والشتات وكذلك بين المبعوثين الصهاينة والشتاتيين إلى طمس معالم المهمة الثقافية. فقد انقلبت الآية. وبدلاً من أن تكون المهمة موجهة إلى اليهود العرب أصبح لها تأثير على بعض المبعوثين ممن كانوا حديثى عهد بالشتات. وكما يوضح مبعوث شركة سوليل بونيه إلى البحرين فإنه لابد من الالتزام بمستوى معين من الثقافة نظراً لأنه "عند السفر إلى الخارج لا أحد يبحث بدقة ما هو المستوى الثقافي" للمبعوث. وما يظهر بوضوح من هذا الواقع هو أنه كانت هناك حاجة لتثقيف المبعوثين حتى يصبحوا مناسبين للمهمة. أضف إلى هذا أن عدم نجاحهم فى عبدان فى خلق "خامة بشرية صالحة للمهام القومية" جعل من الصعب فى فلسطين/ أرض إسرائيل الحديث عن إرسال بعثات مماثلة لأوروبا. وفى هذا الصدد قال أحد المبعوثين ما يلي: "لا شك ن حضور عمالة عبرية من بلادنا إلى دول الشتات يمكن أن يكون حلماً جميلاً، ولكن فى اللحظة التى طرحت فيها إشكالية عبدان، وفى اللحظة التى حكى البعض فيها تلك الأمور الرهيبة عن عبدان لم يعد من الممكن الحديث عن إرسال مبعوثين لأوروبا".

وقد أوضح شماريا جوتمان أيضاً أن الخامة البشرية الشتاتية لم تكن جيدة بالقدر الكافي. وقال فى هذا الصدد: "لا أعتقد أن الجميع لابد أن يكونوا من خيرة الناس. ولكن كما هو الحال فى كل مشروع تقدمى لابد أن تكون هناك مجموعة من الشخصيات المناسبة لتؤدى مثل هذه المهام فى الخارج. ولكن يبدو أن كل هذا لا يجرى سوى من خلال حساب المكسب والخسارة، ويبدو أن شركة سوليل بونيه لم تضع فى اعتبارها أى مهام". وفى مناسبة أخرى أوضح كابليون أيضاً أن المطلوب هو "القيام بنشاط تربوى بين الأطفال والشباب اليهود هناك، والقيام بنشاط إعلامى بين يهود عبدان ومحيطها. غير أن الخامة البشرية التى تم إرسالها إلى عبدان لا تسمح بالقيام بهذا النشاط على النحو المطلوب. فهناك مجموعة كبيرة من العاملين لم تبدأ عضويتهم فى الهستدروت سوى يوم سفرهم إلى عبدان... كما توجه بعضهم بالشكوى إلى رجال الدين من تحريض الأطفال وإغوائهم حتى يقوموا باتباع ثقافة سيئة، وتدخلت فى هذا الموضوع "الرابطة" التى لم نسمع عن وجودها فى طهران من قبل". وقد أدلى كيفنز هو الآخر بدلوه فقال: "لن نسمح لشركة سوليل بونيه بعد ذلك باختيار الخامة البشرية المرسلة إلى عبدان لأنها ترسل كل من يوافق. وقد كانت النتيجة أننا اليوم لدينا الكثير من أبناء الشوارع... الذين وصلوا للتو من الخارج.. ورغم أن علينا أن نتذكر أن العمل حق لكل يهودي، إلا أننا لابد أن نرسل لهذا المكان الذى يتيح لنا غزو أماكن عمل خارج حدود البلاد أفضل الشخصيات التى يمكن أن تمثلنا، وليس الشخصيات التى لا يمكنها هذا". وفى بعض الأحيان كان البعض يتحدثون عن عناصر غير مرغوب فيها: "لست أقصد هنا التصحيحيين والنشطاء ولا غيرهم من الذين ليس لهم أى أفكار أو اهتمامات سوى بالعمل. ولكن فى استطاعتى أن أحكى لكم عن أناس قالوا لى فى إحدى المناسبات إنهم هربوا من فلسطين/ أرض إسرائيل ووجدوا ملجأ لهم فى عبدان. وكان هناك أيضاً من أعلنوا أننا الذين أطلقنا النار على المندوب السامي! أو قالوا إن فايتسمان خائن! وقد توجهنا لإدارة شركة سوليل بونيه وطلبنا إقصاء هذه العناصر غير أن الشركة لم تستجب لنا".

تتناول المناقشات النظرية لأمور مختلفة تتعلق بالاستعمار بصفة عامة الطريقة التى أسهمت بها المصطلحات الاستعمارية فى تشكيل الملامح الثقافية لمتلقيها. وقد حاولت فى الاستعراض الذى قدمته حتى الآن تغيير زاوية الرؤية. وكان موضوع التحليل هو المبعوثين المسئولين عن التثقيف الذين كانوا مشغولين بتشكيل ملامح هويتهم التى تبين لهم أنها لم تكن متماسكة وإنما كانت تتشكل مع هوية المتلقى للتثقيف. وقد أمكن هذا أيضاً نظراً لأن مشروع

عبدان قد تأسس وفقاً للنموذج الاستيطانى اليهودى فى فلسطين الذى يعد "استيطاناً نموذجياً" يجمع بين الديانة والقومية والعنصرية والاستعمار (كما هو حال البعثات التبشيرية البروتستانتية على سبيل المثال). ولكن لأن مشروع عبدان لم يكن داخل حدود أرض إسرائيل، وكان يفتقر إلى القدسية التى تتمتع بها فقد كان يفتقر أيضاً إلى الشرعية الدينية البديهية المصاحبة للمشروعات الاستيطانية النموذجية فى أرض إسرائيل. ولذلك فلكى يدخل مشروع عبدان ضمن سلسلة المشروعات الاستيطانية المعترف بها، ولكى يصبح أساساً يسهم فى تحقيق الأهداف القومية، لابد من جعله نموذجياً من خلال الارتقاء بنوعية الناس المرسلين إليه. وبالتالى فقد تحول المبعوثون من موضوع للحوار القومى إلى مادة سياسية واكتسبوا نوعاً من القداسة.

والآن سوف أنتقل للحديث عن جانب رئيسى من جوانب المهمة الثقافية؛ ويتمثل هذا الجانب فى الهوية العربية لدى اليهود المحليين. لقد كان مصطلح "اليهود العرب"- الذى كان مصطلحاً خيالياً فى نظر الخطاب القومي- يشغل المبعوثين للغاية وسوف أفسره هنا على ضوء النقطتين اللتين تناولهما هذا الفصل بأكمله وهما الهوية القومية والاستعمار. لقد تحول اليهود العرب الآن إلى عناصر عرقية يجرى بحث إدماجها فى المشروع القومي.

٥- حول "الفارق" بين العرب واليهود.. "اليهودى يعرف أنه يهودى وأنه مختلف عن العربي":

يتناول علم اجتماع الاحتلال وإنثروبولوجيا الاحتلال المفاوضات وتكوين وتقصى الفوارق فى المجال العرقى (Comaroff 1998). وكما كتب هومى بابا فإنه "على هامش الاستعمار تكتشف الثقافة الغربية اختلافها وحدودها فى الوقت الذى تكشف فيه ممارستها للسلطة عن ازدواجية تعد واحدة من الاستراتيجيات النفسية الهامة للقوة العنصرية" (بابا ١٩٩٤ ص١٤٤). وفى ظل مثل هذا السياق يتراكم رصيد من "المواقف المتناقضة التى تشكل ملامح الآخر فى الخطاب الاستعماري" (المرجع السابق ص١٥٣). ويوضح هومى بابا أن الاختلاف هو الذى يفرز الازدواجية ويزعزع سلطة الاحتلال.

كان الصهاينة ينظرون إلى اليهود العرب فى سياقين مختلفين. فى وقت من الأوقات كان يُنظر إليهم فى إطار نظرى يرتبط بالاحتلال باعتبارهم جزءاً من العالم العربى الذى يمثل الآخر فى نظر أوروبا وفى نظر الحركة الصهيونية التى نشأت فى أحضان القومية الأوروبية، وهو ما أفرز واقعاً مضطرباً يسوده الخلاف. وفى نفس الوقت فقد كان اليهود العرب يعتبرون عنصر احتلال عربي. وقد أدى هذا إلى التعامل معهم باستخدام مصطلحات خاصة مما تفتق عنه ذهن حركات الاستشراق، وتم التعامل معهم على أنهم عنصر فى الخطاب القومى العرقى الدينى الصادر عن الحركة الصهيونية. وقد كان يُنظر إليهم على أنهم عرب وبالتالى على أنهم من مرتبة أدنى وفى نفس الوقت على أنهم يمثلون اليهود القدامى وبالتالى فإنهم من مرتبة أعلى أو على أنهم أكثر قداسة. وسوف يتجلى الحديث بصوتين على هذا النحو فى الفصل التالى الذى سأتناول فيه الهوية الدينية لليهود العرب. فقد كانت وجهة النظر الاستعمارية تنظر إلى هويتهم الدينية على أنها سطحية تتسم بالرياء، بينما كانت وجهة النظر القومية تعتبرها هوية أصيلة وحقيقية. وكما سأوضح فى الفصل التالى فإن الهوية الدينية الحقيقية ستمثل مؤشراً لمعرفة الهوية القومية وإلغاء الهوية العربية لليهود العرب. وسوف أتناول فى هذا الفصل المواضع التى يبرز فيها الصراع بين هذين التوجهين فى الجدل حول الفارق بين اليهود والعرب. وكما سأوضح على الفور فقد كان مبعوثوا سوليل بونيه يهتمون فى نفس الوقت بالهوية العربية لليهود العرب وكذلك بإظهار الفارق بينهم وبين العرب، عن طريق تأهيلهم كيهود صهاينة، وهو ما يعد نموذجاً يدلل على الازدواجية وزعزعة السلطة اللذان تحدث عنها هومى بابا.

يمكن أن نلحظ مدى تضامن يتسحاق جرينبويم- الذى كان من أعضاء مجلس إدارة المنظمة الصهيونية- مع الاستعمار الأوروبى من كلامه أثناء لقاء مع ممثلى سوليل بونيه فى مكاتب الوكالة اليهودية بالقدس. قال جرينبويم إن هناك نوعين من السكان فى فلسطين "نحن اليهود، ونحن أوروبيون ننتمى للقرن العشرين، والسكان العرب وقد توقف تطورهم عند القرن الخامس عشر أو السادس عشر". وفى موضع آخر من الحديث قال: "إننا أوروبيون ونريد أن نخلق اقتصاداً أوروبياً هنا. ونحن نعتقد أن حكومة الانتداب لابد أن تقوم بعملها من منطلق أن هذا البلد هو بلد أوروبى مثل انجلترا وغيرها". ولكن كما سبق القول فإن يهود الدول العربية كان يُنظر إليهم على أنهم يهود وعلى أنهم جزء لا يتجزأ من المشروع القومي. ومن هذا المنطلق لم يكن يُنظر إليهم على أنهم الآخر المختلف عن أوروبا وإنما على أنهم أجانب مقربون من الحركة الصهيونية.

لم يكن هناك تناسق بين الرؤية الاستعمارية والرؤية القومية. ويقول شاترجى إنه فيما يتعلق بالهند على سبيل المثال تم تسخير مصطلحات المستشرقين لصالح الأيديولوجية الهندية من أجل التأكيد على عراقة الماضى القومى وأصالته (Chatterjee 1986, 1993). وقد أفرزت الحركة الصهيونية أيضاً هوية عرقية داخل الهوية القومية الاستعمارية. ولكى تتمكن الحركة الصهيونية من تشكيل الجماعة اليهودية كجماعة قومية حديثة سعت إلى إعادة بناء

جذورها المادية والعلاقات المتبادلة بينها والخطاب الدينى الذى تستند إليه (لتشكيل هوية قومية/ دينية/ عرقية). فقد وفر اليهود العرب للحركة القومية الشرعية أو ما يمكن تسميته بالشرعية القبلية. ومن هذا المنطلق على سبيل المثال عرفت الحركة الصهيونية كيف تحدد مكان يهود الشرق (أو يهود اليمن على سبيل المثال) كجزء من الأسباط الإثنا عشر وتعتبرهم جزءاً لا يتجزأ من الامتداد القومي. ولكنها فى نفس الوقت جعلتهم فى مرتبة أدنى فيما يتعلق بثقافتهم وديانتهم ووعيهم القومى (بيتربرج ١٩٩٥). ويمكننا اعتبار الهوية القبلية والطائفة اليهودية العربية المحافظة عنصراً خيالياً اعتمدت عليه الهوية القومية الجمعية لتتشكل داخله وفى مواجهته فى نفس الوقت.

ومع ذلك ففى السياق الصهيونى أصبحت مسألة اللقاء بين يهود أوروبا واليهود العرب مسألة معقدة، نظراً لأن هذا اللقاء الذى يظهر الاختلاف بينهما لم يكتف بهذا الأمر، بل سعى إلى تجنيد الآخر المختلف بين صفوفه. هنا يقف المبعوث الأوروبى أمام المحلى العربى ويسعى إلى وصفه بأنه "الآخر" (لأنه عربي)، وبأنه "أجنبي" (شرقي)، ولكنه فى نفس الوقت "واحد منا" (لأنه يهودى مرشح لن يصبح صهيونياً). هنا، فى المنتصف بين هذه التصنيفات تفرز السياسة الفارق بين الطرفين. واللافت للنظر هو أن الحركة الصهيونية (مثل العناصر الاستعمارية الأخرى) أفرزت سياسة انتماء وتمييز وتحدثت بعدة أصوات منقسمة، وفى نفس الوقت لم تعترف بالتعقيد الثقافى والنفسى الذى أفرزته هى نفسها، وحاولت احتواءه داخل تعريف قاطع ومغلق: فإما يهود أو عرب.

لم تكن نظرة يهود أوروبا إلى انتماء "يهود الشرق" للشرق على أنه وصمة نتاجاً للحركة الصهيونية وحدها. فقد بدأت مع عصر النهضة الأوروبية، وتجلت فى تحويل اليهود الشرقيين إلى "الآخر" فى نظر أوروبا (فأصبحوا نتيجة لذلك غير عصريين). وقد أدت اللقاءات مع يهود الشرق إلى زيادة وضوح المواقف المتعلقة بالشرق والتى كان مصدرها ظروف السيطرة الاستعمارية، التى تجلت فى العلاقات القائمة على التعارض بين الشرقى والغربي. وقد كتب سعيد يقول: "إن الاستشراق هو أسلوب تفكير قائم على التمييز بين الشرق والغرب (سعيد: ٢٠٠٠ ص١٢). فالعنصر الشرقى ليس مجرد العنصر الموجود هناك فى تلك المنطقة، وإنما هو عنصر يخترعه ويفرزه بشكل متواصل مبعوثون ومؤسسات وسياح ومتنزهون وعلماء إنثروبولوجيا وأدباء ودبلوماسيون. ويتجلى اختراع العنصر الشرقى فى التعامل معه من خلال قاموس مصطلحات وبحوث أكاديمية وتشبيهات ونظريات وأساليب استعمارية وقوالب فكرية. وقد كان هناك تعبير آخر عن ذلك فى العالم اليهودى وهو إبعاد التاريخ الشرقى عن سياقه الإسلامى والعربى وجعله جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الأوروبي" (Schroeter 1994).

يمكن أن نجد فى تقارير مبعوثى شركة سوليل بونيه استخداماً واضحاً للصفات التى أطلقها المستشرقون على العرب، حيث استخدمها اليهود الأوروبيون لوصف اليهود العرب. وعلى سبيل المثال فقد تكون لدى شاءول مئيروف (أفيجور)- الذى أرسل فى بعثة تمهيدية إلى العراق- انطباع قاطع عن اليهود المحليين هناك بأنهم: "اليهود الجبناء الشرقيون الذين يظهرون غير ما يبطنون.." (أ. مئير ١٩٩٣ ص٧٨). وقد كتب فى موضع آخر يقول: "قد يندلع جدل أكثر أو أقل بينى وبينك أو بينى وبين اليهود الفلسطينيين. أما هؤلاء الشرقيين فلن يسكتوا. فهناك كل شيء يتحول إلى مشاجرة. فكل مضمون حياتهم هو مشاجرات مستمرة" (المرجع السابق). وقد كانت لدى أنتسو سيرانى مواقف مشابهة تجاه الخامة البشرية غير الأوروبية تتضح من حديثه أمام لجنة شئون الهجرة فى ٢ يوليو ١٩٤٢ الذى قال فيه ما يلي:

"هذه الخامة ليست أوروبية، ولكنها خامة بشرية سرعان ما تتحمس وسرعان ما تصاب باليأس... ليست قادرة على الاحتفاظ بسر وليست قادرة على الحفاظ على كلمتها. إنها كالمياه العميقة.. ولكن هذه المياه وإن كانت عميقة إلا أنها ليست سيئة، ولكن هناك زَبَد سيء فوق سطحها، وهذا الزبد من النوع العربي، فهو سمة لثقافة لم يعد لها وجود أو موجودة ولكن فى أسفل الدرك. وقد يكون فى استطاعتنا أن نجعل منهم "آدميين"، غير أننا لن نتمكن من ذلك بدون مساعدة من المسئولين هنا".

جدير بنا أن نلتفت إلى التحول فى وجهة النظر لدى مئيروف وسيراني، وكذلك إلى أن اليهود الذين يتحدثان عنهم قد اكتسبوا الصبغة الاستعمارية بعد لقائهم المبكر مع الاستعمار الأوروبى (فى بغداد على سبيل المثال)، غير أن هذا لم يجعل منهم أوروبيين فى نظر المبعوثين. على العكس لقد ظلت المهمة المطلوب أداؤها هى جعل هؤلاء الناس "آدميين". وفى هذا الصدد فقد وصفهم شمريا جوتمان- الذى سافر هو الآخر مع سيرانى إلى الشرق- وصفاً خلاباً للغاية:

"إنهم يقضون حياتهم على المقهى. ليس فى ثقافتهم أسرة. فالرجل هناك لا يبقى مع زوجته وأولاده، وإنما يجلس على المقهى. وهناك يلعبون الطاولة ويلعبون الورق ساعات بعد ساعات... وفى كل زاوية تجد بيت دعارة أو ماخور... هناك نوادى للأثرياء تتردد عليها الأسر الثرية. وهى بؤرة للنميمة ومكان يمكن أن تخطب منه الفتيات. ولكن من يريد

أن يمضى وقتاً طيباً يذهب إلى المقهى... وليس فى المسارح هناك أى ثقافة. كما أن المواهب والمؤهلات والقدرات تتطور حسبما يحتاجه المجتمع.. وهذا اندماج كامل فى حياة الشرق".

كتب أرييه أبراموفسكي- مبعوث هجرة من كيبوتس مشمار هايام (الذى يسمى الآن كيبوتس "أوفيك") وكان يعمل مع يهوشوع جفعونى فى العراق- عن عدم قدرة المحليين على الاتحاد والعمل معاً، وفى هذا الصدد قال: "الرشوة متفشية فى كل مكان... والوشاية... والجشع الرهيب. كل واحد يسعى لجعل الآخر يفشل... وفى هذا المناخ تنتشر الأكاذيب عن أرض إسرائيل، وتنتشر الحكايات عن الإشكناز الأشرار، ولا يوجد إيمان بأى شيء، لا بالدين ولا بأى مبدأ آخر... لا يوجد إيمان سوى بقوة المال".

يقول أريه شيل- الذى وصل إلى العراق فى أكتوبر ١٩٤٣ متخفياً كعامل فى شركة سوليل بونيه: "يقولون إنهم يؤمنون بالحركة الصهيونية... وليس فيما يفعلونه أى صهيونية... وإنما فيه رياء رهيب. هذا هو الطابع العربى فى ذروة تطوره" (تسمحونى ١٩٨٩ ص٢٤٢). ويقول أيضاً: "إن اليهود هنا يتسمون بالخسة والصلافة، ولكنهم يهود رغم كل شيء، ويمكن أن نجد مداخل إليهم". وكتب أفرايم شيلا (المعروف باسم شولتس)- ممثل شركة سوليل بونيه ومبعوث الهجرة الثانية الذى جاء من عبدان إلى طهران- فى تقريره عام ١٩٤٣: "لدى يهود إيران تاريخ طويل من الخسة المادية والمعنوية... ولا يكاد يكون لديهم أى قيم ثقافية يتحصنون بها فى مواجهة الجهالة ونظام القمع الذى عاشوا فيه طوال السنين".

وهناك تقارير أخرى فى هذا الصدد تتراوح بين المواقف الاستعمارية وبين التكافل القومي. وقد كتب أحد مبعوثى الشركة للبحرين فى خطاب لمستعمرته: "لدينا هنا يهود بابل وإيران الذين يعدون متخلفين حقاً ولم يتجاوزوا الصفر فى تطورهم، ولا يمكن أن تعتبر أى شيء يقولونه أو يفعلونه ملزماً. ورغم الخواء الذى حولهم، فإن هناك أيضاً أشياء متميزة وهناك يهود متميزون- وخاصة من إيران- يعملون لدينا فى كافة المجالات الصعبة، ويتعرضون للقهر والإذلال من كثرة المشكلات والأزمات التى مروا بها فى شتاتهم الكئيب، وهم فى حاجة إلى كلمة عزاء تسرى عنهم. غير أنه يذكر لشبابنا العمال أنهم يعملون على التخفيف عنهم والتقليل من معاناتهم، ولكن هذا الأمر صعب. إن التباعد الفكرى بيننا شديد نظراً لاختلاف العقليتين، غير أن تلك المشكلات على ما يبدو ليس فيها جديد". كما طلب مبعوث آخر مساعدة علمية فى حل مشكلة يهود عبدان: "يمكننا بالاستعانة بالعلم أن ننجح فى إخراج هؤلاء الناس من ظلمات الجهل، وأن نضعهم فى مكان أفضل، والمهم هو إخراجهم من مستنقع الجهل الذى يخوضون فيه...". يحكى دوف أديب وقد كان هو الآخر من المبعوثين فى خطاب إلى قرية شباب "بن شيمن" أنهم بعد عمل دءوب نجحوا فى تجميع نحو مائتى شاب من المحليين لعمال الشركة فى عبدان بهدف تعليم هؤلاء الشباب اللغة العبرية "وتأهيلهم للحياة فى فلسطين/ أرض إسرائيل". وكتب أديب يقول: "لم تكن تلك المهمة سهلة. فلابد أن نتعرف جيداً على النموذج اليهودى الفارسى العربى وأن نعرف سماته حتى نتوصل إلى معايير لتقييم عملنا". وحكى مبعوث آخر كان من مؤسسى حركة الطلائع فى عبدان عن تشكك اليهود المحليين قائلاً: "منذ البداية لم يكن اليهود يصدقون أننا لا نريد سوى تعليمهم العبرية. فالعطاء دون انتظار الثمن أو المقابل هو أمر لم يكن يهود الشرق قادرين على فهمه". كما كتب أحد العاملين فى سوليل بونيه فى مجلة الشركة ما يلي:

"عندما كان المرء يتحسس طريقه فى ظلام الحوارى الإيرانية القذرة كان يصطدم ببعض الشباب اليهود الذين يرون أمامهم شاباً قادماً من فلسطين ويحمل رموزها فيستقبلونه بالتحية والترحاب. كانت قلوبهم مفعمة بالأمل لرؤية الجنود اليهود فى الجيش البريطانى يخدمون فى هذا المحيط، وكذلك لرؤية عمال سوليل بونيه الذين يعملون من خلال شركة البترول الأنجلوإيرانية وهم يخصصون عدداً لا يستهان به من أمسياتهم لتعليم أبناء المحليين".

لجأ أنتسو سيرانى هو الآخر فى وصفه للشرق إلى مصطلحات المستشرقين، وإن كان لابد أن نقول إنه كان واعياً بالواقع الاستعمارى والقيود التى يفرضها (بوندى ١٩٧٣). تحدث سيرانى فى يوليو ١٩٤٣ أمام جمهور يشعر بالفضول، وحدثه عن السمات الخاصة لليهود العرب. وأكد سيرانى أهمية المهمة الثقافية التى يقوم بها المبعوثون "الغربيون" الذين يسعون إلى خلق وعى قومى فى منطقة أمية: "إن مشكلة هجرة الشباب هى المشكلة الرئيسية بالنسبة للهجرة القادمة من العراق. فالشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ عاماً و٢٥ عاماً هم فى النهاية رجالنا ولابد أن نجعل منهم (آدميين)، وهذا ليس بالشيء البسيط. هناك أولاد رائعون فى العراق. غير أنى لم أفهم معنى السمات الشرقية سوى هناك. ففى السادسة عشرة يتمتع الصبى بسحر خاص يفقده عندما يصبح فى العشرين. وهؤلاء الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة رائعون ومثاليون. ويمكننا أن نجعل منهم (آدميين) إذا استطعنا أن نأتى بهم لمحيط يحولهم إلى (آدميين)".

لقد أكد سيرانى على الهوية العربية ليهود العراق. ولكنه لم يفعل مثل كيبلينج فى مقولته الشهيرة: "الشرق شرق

والغرب غرب". فهو من ناحية يصف سماتهم وعاداتهم كعرب، ومن ناحية أخرى فإنه يحافظ على التميز بينهم وبين العرب، فيحافظ على السمة اليهودية التى تجعل من هؤلاء منتمين إلى القومية اليهودية وتفصلهم عن الأمة العربية، وتسمح بمصادرة تاريخهم وإلحاقه بالتاريخ الصهيوني. ويجدر بنا الالتفات إلى الكيفية التى يقفز بها النص ذهاباً وإياباً بين "الهوية العربية" وبين "التميز عن العرب". وسنلاحظ فى الفقرة التالية كيف يعتبر يهود العراق عرباً:

"إن الواقع الذى يعيشه يهود العراق هو واقع عربي. فلا يمكن أن تجد هنا- كما هو الحال فى مصر- طبقة بورجوازية يهودية تعيش وتتحدث بلغة أوروبية ولا تختلط مطلقاً بالمحيط العربى من حولها. إن كافة يهود العراق يتحدثون اللغة العربية. ولكى نفهم طبيعة يهود العراق لا يجب أن ننسى أن العراق كانت حتى عام ١٩١٧ البلد العربى الوحيد- إضافة إلى الجزيرة العربية- الذى لم يكن هناك أى اتصال بينه وبين أوروبا. وقد كانت مدرسة الإليانس فى حينها هى المؤسسة الأولى والوحيدة التى تنشر بعضاً من نور الثقافة فى ظلمات بغداد".

يؤكد سيرانى على الهوية العربية لليهود المحليين فى العراق مع اعتراضه على "زيارة أبنائنا لمدرسة شبه يهودية، ولكنها تخضع للرقابة العربية، والهدف منها هو إكساب من يترددون عليها الهوية العربية بكل معنى الكلمة". ويقول: "لقد كان تعليم العبرية ممنوعاً منذ بضع سنين. وفى الآونة الأخيرة طالب المفتشون العرب فى المدارس بأن يكون تعليم الكتاب المقدس باللغة العربية (رغم أنهم حتى الآن كانوا يقرأونه بالعبرية ويترجمونه للعربية). ولم يسمع أبناء هذه المدرسة "العبريين" مطلقاً عن الحاخام موشيه بن ميمون ولا عن يهودا هاليفي".

ولكن من ناحية أخرى فإن اليهود فى العراق مختلفون عن العرب:

"رغم ذلك هناك فارق بين اليهود والعرب سواء فى واقع الحياة أو فى المجال اللغوى والثقافي. غير أننا نحن الغربيون لا نفهم هذا الفارق الطفيف دائماً. فهذا العالم الشرقى فى نظرنا هو كتلة واحدة، ولكن شعور المحليين فى هذا الشأن مختلف، وشعورهم هو الفيصل. حدث فى بعض الأحيان أن تنزهت مع يهود محليين وسألتهم عن الأصل الذى ينحدر منه بعض من مروا أمامنا (فأنا لست قادراً فى العراق على التمييز بين اليهودى والعربى والمسيحي(٢))، وكان مرافقى يجيبنى بيقين بمجرد أن يسمع اللكنة التى يتحدث بها الشخص أنه مسيحى أو يهودى أو عربي".

يجدر بنا أن نلتفت إلى أن هذا النص يعبر عن صوت الشرقيين- حتى لو كان هذا بشكل غير مباشر وعلى استحياء- وهو ما تفتقر إليه بشدة كافة النصوص التى عرضت لها فى هذا الفصل والتى كتبها العاملون فى شركة سوليل بونيه. ورغم أن سيرانى يعترف بالهوية العربية لهؤلاء اليهود إلا أنه ليس على استعداد للمخاطرة بتقبلها وبالتالى فإنه يبحث عن علامة فارقة تميز بين اليهود والعرب، يفترض وجودها ولكنه ليس قادراً دائماً على أن يصل إليها: "رغم هذا الاندماج فى الحاضر العربى والثقافة العربية إلا أن اليهودى يشعر دائماً بأنه يهودي. فاليهودى يعيش كالعربى ويتحدث بطريقة العرب ويستخدم دعاباتهم، ورغم ذلك فهناك ما يميزه عنهم. فاليهودى يعرف أنه يهودى وأنه مختلف عن العربي. ولكن من الصعوبة بمكان أن نحدد ما هو وجه الاختلاف. فلا يوجد اختلاف واضح حتى بالمفهوم الاجتماعي. غير أن اليهودى يختلف بالتاكيد عن الفلاح وعن البدوى ولكنه لا يختلف عن الأفندى العربى (كان العراقيون يصفون أهل الحضر بأنهم أفندية). ورغم ذلك فهناك فارق بينهما". وبمعنى آخر فإن سيرانى يصر على أن هناك فارق ولكنه ليس قادراً على تحديده.

لا يمكن قراءة كلام سيرانى على أنه كلام مستشرق ينظر إلى الهوية نظرة تعال على الآخر الشرقي. فالهوية الشرقية كما تبدو من كلام سيرانى غير محددة المعالم وتطمس الفارق بين الذات والآخَر التقليديين فى الفكر الاستعماري. وتستجيب أكثر لنظرية هومى بابا الذى لا يعتبر مصطلحات القوة الاستعمارية مصطلحات مطلقة وإنما "مصطلحات قائمة حول خلاف على خطوط الحدود". فمن وجهة نظر هومى بابا يعد "بناء الذات الاستعمارية فى خضم الخطاب (على مستوى القول) واستخدام الذات الاستعمارية من خلال الخطاب (على مستوى بناء الأسطورة) أمران يتطلبان إظهار الفارق بشكل قاطع" (هومى بابا ١٩٩٤ ص ١٤٥). وهذا الفارق يطمس التمييز والتصنيف ويخلق عدم وضوح مستمر.

يواجه سيرانى مصيدة مستحيلة. فالآخر هنا ليس الأسود فى نظر الاستعمار التقليدي، ولكنه "واحد منا". وهو تصنيف ضروري وسط خيال متجانس صادر عن دعاة الهوية القومية. ومع ذلك فهذا "الاخر" كما يلاحظ سيرانى ليس مثلنا تماماً. ولا يمكن أن ينطبق عليه الموقف الذى يصفه أى تصنيف من التصنيفات التى تضع الأنا فى مواجهة الآخر. إن سيرانى يتحرك فوق خط التماس. فهو يتقبل الهوية العربية ويرفضها فى نفس الوقت، ويصف الشرقيين بأنهم جزء من الجماعة القومية، ولكنه يترك السمة التى ستتحول فى وقت لاحق إلى تصنيف عرقى داخل الهوية الإسرائيلية. فالاختلاف الذى يتحدث عنه سيرانى هو بطاقة دخول الشرقيين إلى الهوية القومية. غير اننا نجد فى هذه الحيلة الخفية ثغرات فى وجهة النظر القومية التى تؤمن بالوحدة والتشابه القومى الذى يتسم بالتجانس، وهو ما سأتحدث عنه بتوسع فى الفصل الرابع.

حاولت فى هذا الفصل الإشارة إلى لحظة اكتشاف الحركة الصهيونية لليهود العرب ولا سيما يهود العراق وإيران. وتتيح لنا تلك اللحظة التى وصفتها بأنها نقطة الصفر الوقوف على السياق العام لاكتشاف اليهود العرب. وقد جرى هذا الاكتشاف فى ظل واقع من الاستعمار المزدوج، الذى تشاركت فيه الحركة الصهيونية مع السلطات البريطانية فى الشرق الأوسط. وقد أسهم هذا الواقع فى توسيع إمكانيات العمل أمام الحركة الصهيونية وحدد التصنيفات المحتملة للحديث فى المنطقة العربية. وكما أوضحت ففى ظل هذه الظروف، لم يكن العمل الثقافى موجهاً لليهود العرب وحدهم، وإنما كان موجهاً للمبعوثين الصهاينة أنفسهم.

سوف يسمح لنا الفصل التالى بنظرة أكثر تركيزاً إلى مسألة هامة، وهى مسألة ديانة اليهود المحليين وطرق ربطها بالهوية القومية اليهودية. وكما سيتبين لنا فيبدو أن المبعوثين الصهاينة ذهبوا إلى الطوائف اليهودية المحلية باعتبارهم مبعوثين يمثلون رجال الدين من أجل جمع التبرعات للمراكز اليهودية فى أرض إسرائيل/ فلسطين، وهى عملية معروفة من مئات السنين. أو على الأقل كانت هذه هى الطريقة التى نظر بها أبناء الطائفة اليهودية فى المعابد والمؤسسات العامة إلى المبعوثين. كان المبعوثون العلمانيون يحاولون الوقوف على مدى تدين اليهود المحليين. وكانوا يبلغون قيادة الاستيطان اليهودى فى فلسطين/ أرض إسرائيل بأن تدينهم ليس تديناً حقيقياً (بمعنى أنه لا يحمل الطابع الأوروبى). ونتيجة لذلك فقد كان المبعوثون يسعون إلى زيادة تدين اليهود العرب بل وإلى إثارة الحنين الدينى لديهم. وسوف أتوقف عند سلسلة التناقضات التى أفرزها هذا الواقع؛ حيث ذهب مبعوثون علمانيون إلى المنطقة العربية على أنهم مبعوثون يمثلون رجال الدين، ووجدوا ممارسات دينية لدى الطوائف المحلية، وأبلغوا بأن تدينها ليس حقيقياً. وقد كانت محاولة خلق الحنين الدينى لدى اليهود المحليين هى نفس محاولة إيجاد الفارق بينهم وبين العرب التى تحدث عنها أنتسو سيراني. فهذا الفارق هو الذى سيجعل اليهود المحليين يهوداً وليس عرباً. وقد أتاحت هويتهم اليهودية التى ستتجلى بوضوح فى ديانتهم وجود مساحة للتصرف أيضاً من أجل وصف هويتهم القومية هى الأخرى بأنها يهودية.

هوامش:

١ - إدارة الشئون الخارجية هى الإدارة التى نشأت بتطويرها وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد قيام دولة إسرائيل.

٢ - يتحدث المذكور عن اليهودى والمسيحى والعربى على اعتبار أن العربى من وجهة نظر أغلب الإسرائيليين يعنى المسلم أيضاً وبالتالى فإنهم يعتبرون الإيرانيين عرباً ويعتبرون يهود إيران من اليهود العرب.

◆ دراسات ◆



وحدة شاكيد
الوقاية والأمن الجارى فى تاريخ الجيش الإسرائيلي
دار نشر "حيمد" - ١٩٩٤
(الفصل الثامن): حرب الأيام الستة (١٩٦٧)

بقلم: أورى ميلشتاين ودوف دورون - ترجمة وإعداد: مصطفى الهواري

١ - الفتح:

كان أحد أهداف عملية "قادش" (حرب سيناء ١٩٥٦) هو تصفية قواعد الفدائيين فى قطاع غزة وفى شرق شبه جزيرة سيناء، كان يبدو أن من خططوا لهذه العملية لم يدركوا أن محاربة الجيش النظامى للإرهاب من شأنها أن تزيد الإرهاب وتخلق أنماطا جديدة له، وذلك لان الإرهاب هو وسيلة قتال ينتهجها الأدنى كفاءة من الناحية العسكرية. لم يقتصر الأمر على أن مسئولى الأجهزة الأمنية والعسكرية فى إسرائيل لم يضعوا فى اعتبارهم عند اتخاذ القرارات "الحركة السرية الأسبانية" - أى الإرهاب الأسبانى ضد سلطات الاحتلال بزعامة نابليون فى أوائل القرن التاسع عشر - بل إنهم لم يضعوا فى اعتبارهم أيضا تأثير العمليات الإرهابية التى كانت تقوم بها منظمتا "إتسل ولحى" على قرار بريطانيا بالتخلى عن حكمها لأرض إسرائيل (فلسطين) فى عام ١٩٤٧ . وبدلا من تصوير المخربين الفلسطينيين فى صورة لا أخلاقية كان من الأجدى لقادة دولة إسرائيل وقادة جيشها أن يدرسوا جيدا ظاهرة حرب الإرهاب من أجل تطوير أساليب مكافحتها. إلا أنهم لم يعملوا من أجل ذلك، لا بعد قيام الدولة ولا بعد حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧) ولا بعد اندلاع الانتفاضة. ولذلك فإن العمليات التى كانت تهدف إلى القضاء على الإرهاب أو الحد منه، لم تؤد سوى إلى تشجيعه، سواء على المدى المنظور أو على المدى الطويل.

حتى ما قبل عملية "قادش" كان الإرهابيون الفلسطينيون يعملون لحساب المخابرات المصرية والأردنية والسورية، كما اكتسبوا خبرة كبيرة وافرزوا قيادات. فى ذلك الحين لم تكن لهم أى فرصة لشن حرب إرهاب مستقلة ضد دولة إسرائيل، حيث كانوا آنذاك فى طور التكوين، وكانت مرحلة الإرهاب والنضوج بمثابة المدرسة التى تعلموا فيها تمهيدا لبدء مرحلة الاستقلالية. وبعد عام ١٩٥٦ تنامت قوة الحركة القومية الفلسطينية، التى تعتمد على الإرهاب الداخلى والخارجي. كان الإرهابيون الفلسطينيون قد أصبحوا مستقلين، رغم أنهم كانوا لا يزالون فى حاجة إلى دول راعية وإلى دعم مالي، وناوروا بين الدول العربية وحققوا فائدة من هذه المناورات. وخلال حرب سيناء (١٩٥٦) بدأت مسيرة أدت فى نهاية الأمر إلى إقامة منظمة التحرير الفلسطينية التى كانت بمثابة المنظمة الأم لجميع العناصر الإرهابية، واعتبرها الزعماء العرب والرأى العام العالمى وكثير من الإسرائيليين أنها الممثل الشرعى للشعب الفلسطيني.

تأسست منظمة "فتح" الإرهابية فى غزة عندما كانت خاضعة للحكم الإسرائيلي، وبعد انتهاء عملية "قادش" مباشرة (بين عامى ١٩٥٦ و١٩٥٧) وكان ياسر عرفات هو أشهر شخصية فى هذه المنظمة.

كان عرفات من مواليد القدس (يبدو أنه كان أحد رجلين رافقا عبد القادر الحسينى قائد عرب القدس أثناء زيارته للكاستل فى الثامن من أبريل ١٩٤٨، التى لقى مصرعه خلالها). وبعد حرب ١٩٤٨، درس عرفات الهندسة فى مصر، وكان أول رئيس لمنظمة الطلبة الفلسطينية (كان أبو جهاد وأبو إياد عضوين فى هذه المنظمة)، كم تدرب فى

أحدى الكليات العسكرية المصرية، وشارك فى حرب سيناء كضابط برتبة ملازم أول. بعد ذلك انتقل إلى الكويت وشكل هناك الطاقم الذى أسس منظمة "فتح" وفى عام ١٩٦٤، عقد فى زيوريخ اجتماعا لمجموعة من الفلسطينيين اتخذت قرارا بشن حرب إرهابية ضد إسرائيل، ثم سافر بعد ذلك إلى سوريا وانشأ فيها مقر المنظمة. وذات ليلة عبر نهر الأردن وصعد إلى قمة جبل فى منطقة نابلس وأطلق النار فى الهواء من طبنجته وأعلن عن "بدء الجهاد". وفى ١ يناير من عام ١٩٦٥ قام أعضاء "فتح" بتخريب خط لمياه الرئيسي، وصدر البيان العسكرى رقم ١ لهذه المنظمة. ومنذ ذلك الحين يحتفل أعضاء "فتح" بذكرى الأولى من يناير بشن عمليات إرهابية. ففى ١ يناير من عامى ١٩٧٠ و١٩٧١ تم قصف بيت شان وكريات شمونا.

فى ١٢ نوفمبر ١٩٦٦ شن رجال المظلات والمدرعات الإسرائيليون هجوما على قرية سموع فى جبل الخليل، وكانت سيارة عمليات يستقلها أفراد مظلات إسرائيليون بالقرب من عاراد قد اصطدمتا قبل يوم من هذا التاريخ، بأحد الألغام ولقى ثلاثة منهم مصرعهم، كانت هذه هى العملية التخريبية التاسعة فى ذلك العام، وانطلق منفذوها من جبل الخليل. وقد كانت قرية سموع بالضفة الغربية (التى كانت خاضعة للسيادة الأردنية آنذاك) هدفا للعملية الانتقامية لأن المخربين من أعضاء "فتح" انطلقوا منها لتنفيذ عمليتهم، رغم أن قاعدتهم كانت فى سوريا.

وقد هب الجيش الأردنى لمساعدة القرية التى تعرضت للهجوم، وحدث صدام بين مقاتلى الجيش الإسرائيلى والجيش الأردنى الذى أصيبت طائراته، وقد قال رئيس الوزراء الإسرائيلى ليفى أشكول: كنا نقصد الحماة (سوريا) فأصبنا العروس (الأردن). نتج عن ذلك أن حقق المخربون هدفين: توجيه ضربة لهدف إسرائيلى والتسبب فى توتر العلاقات بين إسرائيل والأردن كانت هناك أسباب كثيرة لنشوب حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧)، ومن بينها معركة قرية سموع.

٢ – توالد الحرب:

يسبق كل حروب إسرائيل إرهاب وعمليات مضادة للإرهاب وعمليات مضادة للعمليات المضادة للإرهاب. وكان الهدف من تشكيل وحدة "شاكيد" هو الحد من هذه الاحتكاكات، إلا أن مسئولى الأجهزة الأمنية والعسكرية لم يوفروا لها الإمكانيات الكافية، ولم يوسعوا نشاطها إلى كل أنحاء البلاد ولم يشكلوا وحدات مشابهة لها. كانت معظم العمليات الإرهابية فى الستينيات تنطلق من الضفة الغربية التى كانت ضمن الأراضى الأردنية آنذاك، وكانت العمليات الانتقامية التى يشنها الجيش الإسرائيلى موجهة ضد الأردن. وردا على العمليات الانتقامية كانت تجرى عمليات إرهابية أخرى، وردا عليها اتسعت العمليات الانتقامية، وتزايد عدد الداعين للحرب سواء فى إسرائيل أو فى الدول العربية.

كانت "المعركة من أجل المياه" على حدود سوريا تمثل بؤرة أخرى للاحتكاكات العنيفة. كانت الدول العربية قد بدأت قبل حرب الأيام الستة فى تنفيذ مخطط لتحويل مياه نهر الأردن إلى سوريا والى المملكة الأردنية، وكان الجيش الإسرائيلى يشن من حين لآخر هجمات ضد العمال ويدمر معداتهم. وقد تم إسقاط طائرات سورية خلال التراشق بنيران المدفعية والمعارك الجوية. وخلال حديث للصحافة فى عام ١٩٦٧ قال رئيس هيئة الأركان العامة يتسحاق رابين أن إسرائيل ستسقط النظام السورى العميل للسوفيت إذا لم يكف عن استفزازها، وقد اعتبر الاتحاد السوفيتى هذا التهديد بمثابة دليل على وجود مؤامرة أمريكية – إسرائيلية، وأبلغ الرئيس المصرى جمال عبد الناصر بهذا الاستنتاج. كان الجيش المصرى آنذاك مشغولا بالحرب فى اليمن، وكان عبد الناصر يعتقد أن إسرائيل لا تخطط لشن حرب، إلا انه لم يعلن عن ذلك. لقد حظى عبد الناصر بشعبية كبيرة فى مصر والعالم العربى بفضل تصريحاته التى كان يقول فيها إن إسرائيل الاستعمارية ونصيره الحرب قد تعتدى على الدول العربية ولذلك يتحتم على الدول العربية أن تكون مستعدة لإسرائيل بزعامته. ومن منطلق تصريحاته أرسل عبد الناصر قوات عسكرية ضخمة إلى صحراء سيناء – رغم أنه لم يكن يعتزم شن هجوم ضد إسرائيل أو دفعها إلى شن هجوم – ورد مراقبو الأمم المتحدة الذين كانوا يفصلون بين الجيشين الإسرائيلى والمصرى على الخطوة التى اتخذها عبد الناصر بمغادرة شبه جزيرة سيناء (بتعليمات من أوثانت الأمين العام للأمم المتحدة). تخوف الكثير من الإسرائيليين من احتمال تعرض الجيش الإسرائيلى للهزيمة فى الحرب الوشيكة والقضاء على دولة إسرائيل، أو على الأقل سقوط عشرات الآلاف من القتلى فى صفوفها من أجل تحقيق انتصار باهظ الثمن. وقد أدت الأنباء التى تتحدث عن هذه الحالة المعنوية فى إسرائيل إلى تزايد الرغبة لدى زعماء الدول العربية فى شن الحرب. لم تسارع الحكومة الإسرائيلية برئاسة ليفى أشكول إلى اتخاذ أى أجراء، وأصيب رئيس هيئة الأركان العامة يتسحاق رابين بالانهيار.

خلال الأسابيع الثلاثة التى سبقت حرب الأيام الستة (فترة الانتظار) تدفقت قوات عسكرية كبيرة، مصرية وسورية، نحو الحدود، واتخذت مواقع دفاعية وأغرت الجيش الإسرائيلى على مهاجمتها. كما خطط المصريون لدخول النقب وتدمير المفاعل الذرى فى ديمونا و"شطر" إسرائيل إلى قسمين.

٣ - الانتظار:

روى يشعياهو جافيش: علمت بالتعزيزات العسكرية المصرية فى سيناء يوم ١٥ مايو ١٩٦٧، الذى وافق يوم الاستقلال، عندما كنت أشاهد العرض العسكرى فى أستاد الجامعة بالقدس. وعلى الفور توجهت إلى بئر سبع وعقدت اجتماعا لأعضاء هيئة الأركان. ذكرنا أحدهم بعملية "روتم" فى عام ١٩٦٠، عندما حشد المصريون قوات ضخمة على طول الحدود وتأهبنا فى مواجهتهم بقوات غير كبيرة على طول الحدود، وبعد بضع شهور انسحب المصريون وانتهت الأزمة. كنا نعتقد أن هذا ما سوف يحدث هذه المرة.

كانت قوتنا الرئيسية هى وحدة شاكيد. طلبت من هيئة الأركان العامة الدفع فورا بكتيبة الدبابات رقم ٥٢ إلى النقب، وتعبئة لواءى احتياط وإرسال أحدهما إلى المنطقة المواجهة لقطاع غزة والآخر إلى المنطقة المواجهة لنيتسانا. عارض الكثيرون من أعضاء هيئة الأركان العامة اقتراحي، وقال رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أهارون ياريف أن المصريين متورطون فى اليمن ولذلك لن تكون هناك حرب. فى المقابل، أصدر رئيس هيئة الأركان العامة يتسحاق رابين أوامره بنقل الكتيبة ٥٢ إلى قيادة المنطقة الجنوبية، لم يتم تعبئة لواءى الاحتياط على الفور، ولكن تم التجهيز لتعبئتهما. لم تكن الحماية متوفرة للحدود الجنوبية، وكان معظمها خاليا، ولم تكن بها تحصينات أو عوائق، كنت أخشى أن نصحو فى الصباح لنجد الدبابات المصرية فى بئر سبع، وقد قال بعض أعضاء هيئة الأركان العامة إن المصريين سيصلون من قناة السويس إلى الحدود فى ثلاثة أيام، وقال البعض الآخر أن تكفيهم أربع وعشرون ساعة: سوف يسيرون فوق دروب الدبابات، فلماذا لا يصلون..؟

بعد ظهر يوم ١٦ مايو تلقينا موافقة بتعبئة لواء واحد، بقيادة يساكر شدمي، وبعد بضعة أيام استدعينا اللواء الذى يقوده إلحانان سيلع. كثف المصريون تشكيلاتهم الدفاعية على طول الحدود بوحدات مدرعات ومشاة ومدفعية انضمت إلى بعض الفرق، كان من الواضح أن هذه ليست مناورة، كما تحركت قوات كبيرة من الجيش المصرى فى اتجاه الحدود.

كانت هناك مناقشات فى هيئة أركان قيادة المنطقة حول ما إذا كان يجب الاستعداد لصد هجوم مصرى أو مهاجمة الجيش المصرى قبل وصوله إلى مواقعه، أو الانتظار حتى ينتشر معظمه فى سيناء ثم تدميره. استمرت هذه المناقشات إلى أن نشبت الحرب. خلال هذه الأسابيع الثلاثة شاب شعر رأسي.

بعد أن أغلق عبد الناصر مضايق شرم الشيخ أمام الملاحة الإسرائيلية فى ١٣ مايو، وبعد رحيل مراقبى الأمم المتحدة عن قطاع غزة وعن الحدود، تناقشنا بشأن ما إذا كان يجب إلحاق الهزيمة بالجيش المصرى عن طريق حرب شاملة أم فقط احتلال شرم الشيخ أو قطاع غزة كورقة مساومة للتفاوض ومطالبة المصريين بالانسحاب إلى ما وراء قناة السويس. كان أعضاء هيئة الأركان العامة يخشون الدخول فى مواجهة مع الجيش المصري. تمركزت ثمانية تشكيلات مصرية فى سيناء، بينما لم نستطع أن نحشد فى مواجهتهم سوى ثلاثة تشكيلات. وكان لدى المصريين ألف دبابة فى حين لم يكن لدينا إلا ثلاثمائة وخمسون فقط. كان أعضاء هيئة الأركان العامة يأملون أن تتدخل الدول الكبرى إذا احتللنا شرم الشيخ أو قطاع غزة، وتخرجنا من المستنقع.على حين كان الساسة يأملون أن تتدخل الدول الكبرى قبل وقوع أى عملية عسكرية.

كان أعضاء هيئة أركان قيادة المنطقة الجنوبية وقادة التشكيلات الثلاثة - يسرائيل طل، أفراهام يافيه وآريئيل شارون - يعتقدون أيضا انه لا مخرج من الأزمة سوى الحرب، وأنه يتحتم على الجيش الإسرائيلى أن يضرب الجيش المصرى بقوة.وقد اقترح رئيس هيئة الأركان العامة إعطاء فرصة للعملية السياسية، وبناء على ذلك لم ترد فى أمر الحرب الصادر عن هيئة الأركان العامة سوى المرحلة الأولى فقط: احتلال شرق سيناء، ثم نرى ما سيطرأ من تطورات. وفقا لما صدر عن هيئة الأركان العامة كان علينا أن نصل إلى خط رفح - العريش - جبل لبنى - نيتسانا. كنا نحن - أعضاء قيادة المنطقة الجنوبية - قد خططنا سلفا لاحتلال كل شبه جزيرة سيناء، وكنا واثقين من النجاح فى ذلك. وخلال النقاش مع الحكومة طلب قادة التشكيلات شن الحرب فورا، ولكنى قلت إن أى انتظار آخر سيتسبب فى أن نتلقى الضربة الأولى، وقد أدركت فيما بعد أننا كنا نمتلك ميزة كبيرة لأننا هاجمنا متأخرين بعض الشيء، فقد أصبح معظم الجيش المصرى فى سيناء واستطعنا هزيمته.

على أى حال، طلبنا آنذاك أن نكون البادئين بالهجوم وألا ننتظر حتى يكونوا هم أصحاب المبادرة. سألنا أنفسنا عما إذا كان المصريون مستعدين لصد الهجوم أم أنهم يخططون لشن هجوم. وقد قادنا انتشار القوة التى يقودها اللواء الشاذلى فى مواجهة متسبيه رامون، إلى الاستنتاج بأنهم يعتزمون الهجوم وعبور النقب، لأن من يضع قوات بمثل هذا الحجم فى ذلك القطاع من المؤكد انه يرمى إلى الهجوم. كما كان هناك أيضا احتمال بشن هجوم مصرى من مشارف رفح، وبالفعل فقد عثرنا فى الوثائق التى غنمناها على أدلة تعزز هذا التكهن.

فى ١ يونيو كان معظم الجيش المصرى منتشر فى مواجهتنا، واستنتجت انه لا مفر من الحرب. كانت خطتنا تتضمن أربع مراحل، التقدم بثلاثة تشكيلات على خط رفح - العريش (يسرائيل طل) وفى أبو عجيلة (آريئيل شارون) وفى القسيمة (أفراهام يافيه) وامتصاص الهجوم المصرى المدرع المضاد والتقدم نحو قناة السويس. وقد كانت هذه الخطة أوسع من أمر العلميات الذى تلقيناه من هيئة الأركان العامة. وعندما عرضت خطة الحرب على وزير الدفاع الجديد وعلى أعضاء هيئة الأركان العامة سألت رئيس الأركان: ماذا تريد مني، أن اعرض خطتكم المحدودة أم خطتنا الموسعة..؟ فرد بقوله: أعرض خطتك! لم يبد أحد أى ملاحظة، إلا أن وزير الدفاع موشيه ديان قال: لا تهاجم قطاع غزة ولا تصل إلى قناة السويس! وافقته على ذلك ولكن لم يكتف بذلك وقال مهددا: ستقدم للمحاكمة العسكرية إذا لم تنفذ الأوامر! قلت له أنى على استعداد للمثول أمام محاكمة عسكرية، ومنذ ذلك الحين لم يتطرق ديان إلى هذا الموضوع رغم أننا هاجمنا قطاع غزة فى اليوم الأول ووصلنا إلى قناة السويس. وكان رئيس الأركان العامة يتسحاق رابين قد صدق على هذين الإجراءين.

وفى الساعة الخامسة وخمس وأربعين دقيقة من يوم الاثنين الخامس من يونيو، وبينما كانت الطائرات الإسرائيلية تحلق من فوقنا فى اتجاه المطارات المصرية، أنزلنا شباك التمويه من الدبابات والمركبات نصف المجنزرة، وقمنا بتشغيل المحركات وتحركنا. لقد بدأت حرب الأيام الستة".

٤ - عمليات تسلل قبل الحرب:

روى إيلى ملميد: فى مساء يوم الاستقلال من عام ١٩٦٧ تم الإعلان عن حالة الاستعداد، فتوجهنا جنوبا إلى منطقة جبل تسنيفيم وتمركزنا على الحدود المصرية لاستقبال الفرقة الرابعة المدرعة المصرية بقيادة اللواء الشاذلي، فى حالة ما إذا حاولت الاختراق عن طريق ممر الكراية وعبور النقب وعزل إيلات".

قال عاموس يركون لفؤاد: لقد توصلت إلى استنتاج بأن هذا العمل ليس من اختصاصي، لست معتادا على هذه الأمور. تول أنت قيادة الوحدة ولن اعترض على شيء. سوف أسير فى مؤخرة الركب". لم يشارك عاموس يركونى فى مجموعة الأوامر الأخيرة. وفى وقت لاحق روى فؤاد عن ذلك قائلا: خشيت ألا تلحق شاكيد بالحرب، وقد توسلت لجافيش ولضباط العمليات ولكل من صادفته، وقلت إننا سننفذ كل ما يكفلوننا به، المهم أن نكون جزء من المخطط". كانت "شاكيد" هى أول وحدة تتجه للجنوب فى بداية الحرب. وقد اتخذت فصائلها النظامية وجنود الاحتياط مواقعهم على امتداد كل الحدود المصرية، باستثناء قطاع غزة، وكانوا يرسلون معلومات غزيرة عن تحركات القوات المصرية. وبعد تعيين ديان وزيرا للدفاع قال جافيش لفؤاد أن ديان يريد تعيينه مساعدا له، روى فؤاد: "كدت أبكى وقلت: لم التحق بوحدة شاكيد من أجل هذا، لست موافقا".

قبل اندلاع الحرب قام جنود الجيش الإسرائيلى بعمليات تسلل هادئة إلى سيناء وقطاع غزة، وجمعوا معلومات عن القوات المصرية، وقد أطلق على هذه العمليات اسم "عملية مداليون"، وخلالها عبر مقاتلو شاكيد" الحدود فى قطاع القسيمة. شارك فؤاد فى عمليتى تسلل ليلى تحت قيادة قائد اللواء ٧ شموئيل جورديش (جونين) وقال له ضابط عمليات قيادة المنطقة شالمو التون: "لا تقلق، سوف تنالون نصيبا عادلا فى الحرب". روى ياريف جرشونى عن عملية تسلل تمت تحت قيادة ايلى ملميد: "دخلنا إلى عمق ثمانية كيلومترات فى منطقة الكونتيلا، وجمعنا معلومات عن الدوريات المصرية وعن انتشار القوات على الخط الأمامي. شارك فى هذه العملية سبعة ضباط ورقباء قدامى. لم نصطدم بالعدو، وكانت هذه أيضا أحدى المعلومات عن مدى يقظة المصريين".

قبل فترة من الحرب انقسمت وحدة "شاكيد"، حيث انضمت قوة برئاسة ايلى ملميد إلى كتيبة استطلاع كان قد تم تشكيلها توا بقيادة آرييه تابر (عاميت) وتتبع تشكيل شارون الذى كان متمركزا فى بئروتايم (بالقرب من نيتسانا). فى حين تمركز معظم جنود الوحدة تحت قيادة فؤاد فى مواجهة الكونتيلا مع اللواء ٨ الذى يقوده ألبرت مندلر. روى أفينوعم جولان (جولدمان) احد مرؤوسى ملميد: "كنا نتخذ مواقعنا بالقرب من الطريق، ملحقين بقوات هائلة من الجيش الإسرائيلي، كان المناخ السائد خانقا ومثيرا للأعصاب، وكانت لدينا رغبة شديدة فى خوض القتال. لم تكن لدينا أى فكرة عن الحروب، وكنا نشعل النار أثناء الليل ونعيش حياتنا كالمعتاد".

روى يوسف عز الدين الذى كان ضمن هذه القوة: "قبل يومين من اندلاع الحرب قالوا لنا إننا سنقتحم - كقوة كوماندو - موقع لمدفعية المصرى فى أبو عجيلة وندمره. بعد ذلك قالوا لنا إننا سنتولى مهمة تأمين قيادة تشكيل أريك شارون ضد أى هجوم تشنه القوات الخاصة المعادية. وفى النهاية لم نفعل لا هذا ولا ذاك".

ظل معظم جنود سرية الاحتياط فى مشمار هانجيف، وبعد فترة شاركوا فى اشتباك مع الفدائيين، وفى وقت لاحق توجه مندلر وجزء من لوائه إلى الشمال وشاركوا فى احتلال مرتفعات الجولان، بينما ظلت كتيبة أخرى من هذا اللواء بقيادة نائب قائد اللواء عامى رديان، وكتيبة دبابات وهمية، فى مواجهة منطقة الكونتيلا برفقة مقاتلى "شاكيد".

لم يشارك مقاتلو "شاكيد" إلا قليلاً فى حرب الأيام الستة. كان هؤلاء المقاتلون مهيأون فقط للقيام بعمليات كوماندو خاصة، إلا أن الجيش الإسرائيلى لم ينفذ تقريباً عمليات من هذا النوع خلال الحرب. كما أن وحدة المظليين ووحدات خاصة أخرى لم تستخدم فى الحرب. وكانت هيئة الأركان العامة قد خططت للقيام بإغارات ليلية، ولكن بعد أن دمر سلاح الطيران الإسرائيلى الطائرات المصرية وهى رابضة على الأرض تم إلغاء هذه المهمة، ولأن الجيش المصرى انهار بسرعة فقد رأى قادة الجيش الإسرائيلى عدم تعريض الوحدات الخاصة للخطر بتكليفهم بالمهمة الأولى. وظل أفضل مقاتلى الجيش الإسرائيلى عاطلين خلال حرب الأيام الستة.

عندما نشبت الحرب قادت القوة التى يتولى قيادتها إيلى ملميد وحدات الناحال فى الطريق إلى موقع أم كتف. وبعد احتلال الموقع طارد ملميد ومقاتلوه - فى إطار الكتيبة التى يقودها تابر - دبابات ومدرعات مصرية داخل سيناء.وفى أحد قطاعات الطريق انضمت حاملتا جنود مدرعتان مصريتان إلى الطابور الإسرائيلي،سواء بطريق الخطأ أو بغرض التخفي، وتمت تصفيتهما على الفور. روى ملميد: "كنا نسير على الجانب الأيسر لقوات شارون، وكانت مهمتنا الأولى هى نصب كمين للمصريين المنسحبين من أم كتف. وقد نصب خمسون فرداً كميناً للمصريين عند سفح الجبل، على مسافة مائتى متر أو ثلاثمائة من طريق القسيمة - أم كتف، واختبأت الدبابات على جانب الطريق ومدافعها موجهة إليه. دمرنا كل قوة مصرية تدخل هذه المصيدة. كان هذا يبدو كأحد مشاهد الأفلام. وصل الكثير من المصريين وشاهدوا تصفية زملائهم، ورغم ذلك دخلوا المصيدة". كما قال أمنون شيلوني: "تسببت المركبات المحترقة والقتلى والجرحى المصريون فى إغلاق الطريق. لم نمسك بأسرى. كنا نسير بمركباتنا ونطلق النار يميناً ويساراً".

ذات يوم وصلت سيارات الجيب التابعة لوحدة "شاكيد" إلى منطقة كانت قد تعرضت لقصف المدفعية المصرية. قال قائد الفصيلة دانى أنكر لأمنون شيلوني: "أسرع ورد على النيران". كان بالمركبة نصف المجنزرة التى يستقلها شيلونى مدفع هاون عيار ٥٢ ملليمتر ويبلغ مداه نحو ثلاثمائة متر، فى حين كانت المدافع المصرية تبعد مسافة أربعة كيلومترات. لذلك قال له شيلوني: "لا يمكن إطلاق النار، ماذا تريد مني..؟". أصر أنكر على قراره وقال: "ابدأ فى إطلاق النار". وقد جذبت نيران الهاون انتباه المصريين فأطلقوا النار على المركبة نصف المجنزرة فاختبأ أفرادها داخل أحد الوهدان حتى وصلت إليهم مركبات نصف مجنزرة من وحدة آرييه تابر وساعدتهم على النجاة. بعد ذلك قامت الطائرات الإسرائيلية بتدمير المدافع المصرية، واستؤنف التحرك إلا أن الوقود نفد من المركبات والدبابات، فاستخدموا لبعض الوقت وقوداً حصلوا عليه من المركبات المصرية المصابة إلا أنهم توقفوا بعد ذلك فى منطقة بير تماده.

روى ملميد: "بعد الحرب تم تكليفنا بمهمة رهيبة تتمثل فى تصفية المصريين الذين كانوا يحومون فى المنطقة ويعرضون حياة الجنود الإسرائيليين للخطر. قال لى رجالي: لا نستطيع القيام بهذا، هذا ليس من سماتنا".

وروى بينى تلمي: "وجدنا جنوداً بالملابس الداخلية، كان مظهرهم يثير الشفقة، ولم نستطع تصفيتهم. كان يجلس بجوارى جندى يرتعد،وقد أطلق النار ولكن فى الهواء حتى لا يصيب أحداً".

طلب ملميد من شارون السماح لمقاتليه بالتوقف عن تطهير المنطقة. وفى قيادة أركان شارون قال له حاييم ديم: "لن ننتصر على المصريين إلا إذا أبدناهم جميعاً،لا يجب أن ننهى الحرب بتهريبهم إلى مصر". إلا أن رد شارون كان مختلفاً. روى بينى تلمي: "قال ملميد لشارون إن المقاتلين يرفضون القتل فرد قائلاً: للمرة الأولى فى حياتى أوافق على رفض أمر عسكري". تم إلحاق سرية ملميد باللواء ١٤ الذى يتولى قيادته موشيه مان، وكان يقوم بدوريات استطلاع على طول قناة السويس.

دخلت القوة التى يقودها فؤاد وعاموس يركونى إلى سيناء على رأس اللواء ٨. قال بوعز فيكلاني: "لم يكن هذا النشاط ذا شأن كبير، فقد قام سلاح الطيران بالمهمة قبل وصولنا. قمنا بدوريات استطلاعية ووقعت بعض الاشتباكات بيننا وبين قوات مشاة مصرية، إلا أنه لم تنشب معارك حقيقية، كل ما فعلناه هو التقدم بسرعة للأمام".

٥ - اشتباك فى الكونتيلا:

انضم باتسي، ضابط الاحتياط الشاب،إلى القوة الجنوبية التابعة لوحدة "شاكيد" بقيادة فؤاد،وكانت متمركزة فى تسنيفيم. قام باتسى بتركيب رشاش عيار ٣,٠ ملليمتر فوق سيارة العمليات وملأها بالذخيرة وقام بدوريات استطلاع فيما وراء الحدود "كالأحمق"، على حد تعبيره. روى باتسي: "كنت ألاحق المصريين، بمفردى أو برفقة سيارة عمليات أخرى. فى اليوم الثالث للحرب كلفنى فؤاد بإحدى المهام". أرسل فؤاد كلاً من باتسى وبوعز فيكلانى إلى جبل عوجن بمنطقة الكونتيلا لمراقبة الموقع المصرى الكبير والإبلاغ عما إذا كانت قوات اللواء ٨ قد احتلته أم أنه مازال تحت سيطرة المصريين. استقل باتسى ومقاتلوه سيارة العمليات واستقل فيكلانى ومقاتلوه سيارة جيب. ومن وادى جيرافى

راقبوا موقع الكونتيلا. روى باتسي: "قال لى المقاتلون الذين يستقلون سيارة العمليات: أولئك الذين يرتدون الملابس غير الداكنة مصريون. قلت لهم: هراء، إنهم أفراد احتياط إسرائيليون. وواصلت طريقي. عبروا الوادى ثم شاهدت مئات الجنود ينظرون إلى فى دهشة، وكنت لا أزال أجادل بيرد (يوفال دافير). كان يقول لي: هؤلاء مصريون، ولم أكن أوافقه على ذلك. وصلنا حتى مسافة ستين متراً منهم، عند مشارف حقل ألغام".

كان المصريون هم أول من أفاقوا على الحقيقة. وقد أطلقت النيران من عشرات الأسلحة الثقيلة والخفيفة صوب السيارتين الإسرائيليتين. قال باتسى لسائق سيارة العمليات: "تمهل فى سيرك، إذا قفزت السيارة سوف تنفصل البطارية ونتوقف". قال السائق: "ربما نطوقهم وننقض عليهم من الجانب..؟". إلا أن اقتراحه قوبل بالرفض وعادوا للوحدة. كان بالموقع آنذاك ألف جندى مصرى بقيادة اللواء حسن على (فيما بعد تولى رئاسة الحكومة المصرية).

فى اليوم التالى وصل إلى منطقة الكونتيلا طابور إسرائيلى من اللواء ٨، على رأسه فصيلة من "شاكيد" بقيادة موكى بتسر الذى روى الأحداث بقوله: "كان الكونتيلا هو أول موقع نشتبك معه خلال تقدمنا داخل سيناء. كانت الطائرات الإسرائيلية التى قصفت الموقع قد أطلقت النار علينا أيضاً. قمنا بحركة التفاف بسيارات الجيب وهاجمنا الموقع. كما انقضت فصائل أخرى على الموقع بعد أن سمعت أصوات إطلاق النار. لم يكن فى موقع الكونتيلا سوى عدد قليل من المصريين، فقد فر معظمهم خلال الليل. كانت هذه هى أول معركة نخوضها".

روى الرقيب أول أوريئيل كادوش: "كنت أنقل ذخيرة وإمدادات ومياه. وكان المصريون قد أفاقوا من المفاجأة الأولى وأطلقوا النار على القافلة. كنت أرافق عشر شاحنات وسيارة جيب، ولكنى وصلت إلى نخل بخمس سيارات فقط. كان كل من يقاتلنا يلقى مصرعه". واصلت قافلة كادوش طريقها على مدى ثلاثة أيام حتى وصلت إلى نقطة تجمع الكتيبة فى نخل، حيث اقتاد مقاتلو "شاكيد" أسرى مصريين من قوات المشاة بالإضافة إلى طاقم دبابة.

رداً على سؤال بشأن عدم تكليف وحدة "شاكيد" بدور فعال خلال حرب الأيام الستة، أجاب قائد قيادة المنطقة يشعياهو جافيش: "كان لدى ثلاثة تشكيلات، ولم يكن فى الخطة مجال للاستخدام الخاص لكتيبة مشاة".

نجا عاموس يركوني من الموت بأعجوبة. يروى عوديد نافى عن ذلك بقوله: " كنا نستقل السيارات على الطريق الجنوبي، وشاهدت جنوداً مصريين فأخذت أصيح: هناك أشخاص أمامنا. دخل عاموس إلى سيارتى وأمرنى بالتقدم للأمام ووراء أحد التلال طلب منى التوقف وقال لي: سوف نفتش المنطقة - أنا من اليسار وأنت من اليمين.وفجأة خرج مصريان من بين الشجيرات وصوبا سلاحيهما نحونا .صرخت محذراً عاموس فأطلق النار على الفور. لقى أحد المصريين مصرعه واستسلم الآخر".

٦ - تصفية أفراد من الكوماندو:

تم تكليف إحدى مجموعات "شاكيد"، بقيادة البدوى سمحا الهيب، بالتوجه إلى حدود قطاع غزة وإزالة الألغام والإمساك بالجنود المصريين والمخربين الفلسطينيين الذين فروا إلى الأراضى الإسرائيلية. روى الهيب: "فى ٨ يونيو خرجنا فى مهمة استطلاع بسيارة العمليات، وكنا مجموعة كاملة. وفى الساعة التاسعة صباحاً تعقبنا آثار خمسة من أفراد الكوماندو المصريين غربى كيبوتس دوروت. انفصلت الآثار إلى مجموعتين فطلبت تعزيزات. كانت هناك مغارة فى أحد الوديان، فى مكان غير بعيد عن كيبوتس روحما. عندما اقتربنا من المغارة انهالت علينا النيران من عدة أسلحة، معظمها أسلحة روسية، وخلال تبادل إطلاق النار أصيب الجندى يتسحاق (إيتسيك) مستبويم، فصرخ ينادى المسعف. أسرع إليه المسعف رافى كاتس فأصيب بعدة طلقات فى كتفه. ظلت يده معلقة ولكنه واصل الجري، ووصل إلى إيتسيك وأسعفه بيده السليمة، فى أرض مكشوفة تحت وابل من الطلقات. أصابت إحدى الطلقات رأس رافى فسقط قتيلاً، وأصابت طلقة أخرى إيتسيك. بعد ذلك وجدت جثتيهما وقد أمسك كل منهما بيد الآخر. تمكنا خلال تبادل إطلاق النار من قتل أحد عشر جندياً مصرياً. تم إرسال سيارة عمليات لإغلاق طريق الانسحاب أمام أفراد الكوماندو الذين مازالوا على قيد الحياة، واقتحمنا المغارة وقتلنا ثلاثة مصريين آخرين. كما تمكن المقاتلون الذين استقلوا سيارة العمليات من قتل ثلاثة من مقاتلى الكوماندو المصريين، وأصابوا تسعة وأسروا تسعة آخرين. حصلنا على غنائم تتمثل فى خمسين قطعة سلاح".

منح رئيس هيئة الأركان العامة يتسحاق رابين وساماً لرافائيل كاتس بعد موته، كما حصلت أسرته فى عام ١٩٧٠ على وسام الشجاعة "لأن العريف رافائيل كاتس أظهر بطولة خلال أداء مهمته القتالية وضحى بحياته".

٧ - عمليات تصفية بعد الحرب:

عد الحرب، جمع مقاتلو "شاكيد" الأسرى فى منطقتى نخل ومتلا. كما تم إرسال عشرين من أفراد "شاكيد" إلى العريش لرصد وتصفية كتيبة فدائيين فرت من قطاع غزة واختبأت فى منطقة الكثبان الرملية بين رفح وبحيرة البردويل. روى موكى بتسر: "بعد تطهير قرية نخل أرسلونا بالمركبات إلى مرتفعات الجولان. كنا مرهقين للغاية، ولكنها

الأوامر. وعندما وصلنا إلى بئر سبع تلقينا بلاغاً من قيادة المنطقة الجنوبية بإلغاء مهمتنا فى مرتفعات الجولان، وبتكليفنا بمهمة جديدة هى تصفية قوات كوماندو مصرية وفلسطينية تقوم بنشاط حول العريش".

استقل عاموس يركونى طائرة وحلق بها فوق منطقة الكثبان الرملية وشاهد هناك بعض الحفر. هبطت بالقرب من الحفر مروحيتان من طراز "سيكورسكي" وطائرتان خفيفتان، وأطلق المقاتلون الذين كانوا يستقلون المروحيتين النار على المصريين المختبئين داخلها. روى فؤاد: "تلقينا تعليمات بالإبقاء على حياة قائد الكتيبة المصرية فقط. إلا أننى شعرت بأن رجالى سيجدون صعوبة فى تنفيذ المهمة، لذلك غيرت التعليمات وطلبت منهم السماح بالهرب لكل مصرى لا يقاوم ولا يطلق النار. وعندما أبلغونى بأن هناك مجموعة تهرب لم أرسل من يلاحقونها. كل من وصل إلى الشاطئ نجا، وقام أفراد الناحال بتجميعهم".

قال باتسي: "قتلنا خمسين فلسطينياً كانوا مسلحين". كما قال آرييه شيفمان: "كنا نطلق النار على المسلحين الذين كانوا فى كثير من الأحوال يردون على النار. كانت هذه سلسلة اشتباكات".

قال يهودا ملميد: "عندما كنا نتلقى بلاغاً بوجود مصريين فى الرمال، كنا نهبط بالطائرة بالقرب منهم ونصفيهم. كان بعضهم يحمل سلاحاً، وربما كان البعض الآخر قد خبأوا سلاحهم فى الرمال عندما شاهدونا. قتلنا ما لا يقل عن مائتين وخمسين مخرباً خلال ثلاثة أيام".

وقال يركوني: "لم نمس الجنود المصريين الذين استسلموا بأى سوء، وقد أصدرت أوامرى بعدم المساس بهم. انتزعنا منهم أسلحتهم وفى حالة توفر المياه لدينا كنا نسقيهم، وفى حالة عدم توفره كنا نطلب منهم أن يتصرفوا بأنفسهم. ربما يكون الكثيرون منهم قد ماتوا عطشاً فى الطريق إلى القناة".

ويروى ياريف جرشوني: "كنا مضطرين لتصفيتهم حتى لا يكونوا طابور خامساً فى قطاع غزة. كانت الطائرات الخفيفة "فايبر" تكتشف أماكنهم و تبلغ المروحية. لقد انتابنا الغضب بسبب مقتل رانى ماركس الذى كان يسير بجوار شاحنة تحمل أسرى فأطلق أحدهم النار عليه من الخلف وأرداه قتيلاً. كنا نقتل دون أى وخز من ضمير. لم يكن يدر أى جدل حول هذا الموضوع إلا بعد انتهاء العملية".

كما روى عوديد نافي: "كان الهاربون يرتدون البيجاما. عندما كنا نرى شباباً أصحاء يرتدون البيجاما كنا ندرك أنهم جنود أو فدائيون. بعد سنوات قال لى أحد المصريين: كل جندى يتطوع فى جيش التحرير الفلسطينى كانت أمه تعطيه بيجاما لاستخدامها عند الحاجة وتقول له: عندما يأتى اليهود إلق الزى العسكرى والسلاح وارتد البيجاما".

٨ – وداع عاموس يركوني:

بعد أيام من انتهاء الحرب تم إرسال سرية من "شاكيد" إلى غزة، وسرية أخرى إلى قناة السويس، كما تم إرسال قوة إلى عرافا، ثم انتقلت فى وقت لاحق إلى غور الأردن. كما تم تسريح أفراد الاحتياط والتحق بعضهم بالجيش العامل. تم تكليف ياريف جرشونى بمهمة خاصة. ويقول عن ذلك: " وضع قادة الوحدة تحت تصرفى بعض الجنود وشاحنتين روسيتين كانتا ضمن الغنائم، وطلبوا منى دخول قطاع غزة وإحضار معدات من قاعدة الأمم المتحدة فى رفح، لاستخدامها فى نادى الوحدة.كانت على الطريق حواجز نصبتها الشرطة العسكرية لمنع نقل غنائم الحرب، وكنا نعرف أساليب أفراد الحواجز كما كنا على دراية بكل الطرق. كنا نتسلل ليلاً إلى قطاع غزة ونسلك طريقنا عبر حقول الألغام. وعندما أنهينا مهمتنا أصبح النادى يحتوى على آلتى بيانو وعدد كبير من المقاعد المذهبة المكسوة بالقطيفة. وكان النادى يبدو كإحدى دور البغاء فى الإسكندرية ".

غادر عاموس يركونى وحدة "شاكيد" بعد انتهاء الحرب بعد أن تولى قيادتها طوال ما يزيد على عشر سنوات (منها سبع سنوات تولى فيها قيادة "شاكيد" الصغيرة). ويروى عن ذلك بقوله: "بعد يومين من انتهاء الحرب قلت ليشعياهو جافيش: سيدي، لا أريد أن أكون قائداً. لقد أصبحت مصاباً ومن الصعب أن أكون قائداً ميدانياً. وقد عينونى حاكماً لسيناء، فعدت إلى الوحدة وقلت: أيها الأصدقاء سأغادر الوحدة صباح الغد. لقد توليت قيادتكم طوال الفترة السابقة، ومن الآن سيحل فؤاد محلي. تمت ترقيتى إلى رتبة المقدم وغادرت شاكيد".

قال رحبعام زئيفى (غاندي): "لقد وهب عاموس يركونى حياته للدولة، ولم يعرف بذلك سوى قلائل. الناس ترى أمامها رجلاً صغيراً يعرج فى مشيته ولا يعرفون أنه بطل، وأنه عربى يحمل رتبة مقدم". فيما بعد اشتهر عاموس يركونى وذاع صيته عندما نال جائزة يجآل ألون عن أدائه خدمة أمنية خاصة من أجل دولة إسرائيل.

وثائق

تقرير فينوجراد (الباب الثالث): بداية المعركة من ١٢ إلى ١٧ يوليو ٢٠٠٦

◆ تمهيد:

يتناول هذا الباب أحداث الحرب فى الفترة الحرجة الأولى، اعتباراً من حادث الاختطاف الذى وقع صباح يوم ١٢ يوليو وحتى خطاب رئيس الوزراء أمام الكنيست فى يوم ١٧ يوليو. يبدأ هذا الباب بالفصل الخامس الذى يتناول وصفاً تفصيلياً للأحداث فى تلك الفترة. من الناحية المبدئية سنركز فى هذا الفصل على المباحثات المصاحبة لصناعة القرار فى الفترة الأولى للحرب، مع عرض شديد الإيجاز للإجراءات العسكرية الأساسية التى تم اتخاذها. وستأتى التفاصيل الكاملة لتلك الإجراءات العسكرية طوال الحرب بما فى ذلك فى الفترة الأولى فى التقرير النهائى، الذى سنحلل فيه المعركة العسكرية من بدايتها إلى نهايتها. وقد توسعنا فى وصف الجانب المتعلق بالمباحثات والمشاورات لأننا نعتقد أن أحد مهامنا الأساسية هو رسم صورة صادقة للأحداث والقرارات التى شهدتها الحرب حتى يقوم النقاش العام لها على أساس سليم يتم بناءً عليها استخلاص الدروس المستفادة.

وسنذكر فى الفصل السادس تفاصيل المعايير التى نستند إليها فى تقييم المعطيات.

وفى الفصل السابع سنعرض النتائج القائمة على المعطيات المتعلقة بأحداث الهجوم الأول. واستباقاً للأمور نقول إننا نؤكد أن قرارات الحرب قد شابتها أخطاء فادحة، بل وخطيرة. وسوف نبحث العناصر والتطورات التى أدت لهذه الأخطاء والمسئولية الشخصية المترتبة عليها بالنسبة لبعض المسئولين فى القيادتين السياسية والعسكرية.

وسنورد فى الفصل الثامن توصيات تتعلق بالمؤسسات تتناول الأخطاء الخطيرة التى تكشفت فى بداية الحرب، والتى تتطلب إصلاحاً سريعاً وكاملاً.

كنا مترددين بالنسبة لقرار عزل الفترة الأولى للحرب وتركيز البحث على القيادات العليا خلال الحرب، نظراً لأنه من الصعوبة بمكان وصف الأحداث التى صاحبت بداية الحرب واتخاذ موقف منها دون الحديث عن الطريقة التى تطورت بها الأمور خلال الحرب وبعدها. ولابد أن يتضمن الوصف الشامل لهذه الفترة أيضاً مباحثات وقرارات وأحداث جرت على مستوى القيادات الأدنى والتأثير المتبادل بين هذه الأحداث والقرارات التى يجرى بحثها. ورغم هذه الصعوبات فإننا نعتقد أن من الصواب عزل القرارات المرتبطة ببداية الحرب والصادرة عن القيادات العليا، وذلك لأن قرار بدء عملية عسكرية- قد تتطور لتصبح حرباً- هو واحد من أكثر القرارات - التى يمكن أن تتخذها أى حكومة - مصيرية. وبعد اتخاذ مثل هذا القرار يكون جزء كبير من التقييم مترتب على أحداث ليست مرتبطة ارتباطاً كاملاً بالحكومة ولا بصناع القرار. ولذلك فإننا نولى أهمية من الدرجة الأولى للتعلم من الطريقة التى تم بها اتخاذ القرارات فى هذه الحالة تحسباً لموقف يتطلب اتخاذ قرارات مماثلة فى المستقبل.

لو كانت النتائج التى أسفرت عنها الحرب قد اختلفت عن ذلك، لكان من المنطقى أن يتحول الاهتمام إلى القرارات المرتبطة ببدايتها. وإذا أدى بحث هذا الموضوع لتحسين مستوى استعدادنا لاتخاذ قرارات مصيرية فى المستقبل، ربما نكون بذلك قد حققنا الفائدة المرجوة من هذه الأخطاء.

لابد أن نؤكد هنا أن التقرير السرى يتضمن المعطيات كلها، بينما فى التقرير المعلن لم نذكر تفاصيل عن بعض العناصر التى تعتبر سرية لا يجوز الكشف عنها. وقد حرصنا فى التقرير المعلن على أن نقدم صورة واضحة قدر الإمكان للعناصر المتاحة، واضعين فى الاعتبار أهمية حذف الفقرات التى قد تلحق ضرراً بالغاً بأمن الدولة أو بعلاقاتها الخارجية، والتى لم يكن من الممكن نشرها.

الفصل الخامس: سرد معلومات يوم الأربعاء ١٢ يوليو٢٠٠٦

◆ الاختطاف:

١ - بتاريخ ١٢ يوليو ٢٠٠٦ فى الساعة التاسعة صباحاً تعرضت دورية عسكرية إسرائيلية لهجوم فى الحدود الشمالية، وتم اختطاف اثنين من جنود الدورية (وهما إيهود جولدفيسر وإيهود ريجف)، كما لقى ثلاثة جنود مصرعهم وأصيب اثنان آخران. بعد ذلك بنحو ساعتين تم دفع قوة إنقاذ عسكرية إسرائيلية إلى الأراضى اللبنانية للتعامل مع الحادث. وتم تفجير شحنة ناسفة دمرت دبابة وقتلت طاقمها. وقتل جندى آخر من قوة الإنقاذ. ولقى ثمانية جنود مصرعهم فى هذا الحادث. ولم يسبق حادث الاختطاف أى إنذار مخابراتى رسمى محدد وصريح.

٢ - كما وصفنا في فصل سابق من هذا التقرير فقد تغيرت تدريجياً بمضى السنين بعد انسحاب الجيش الإسرائيلى مباديء استخدام القوة فى مجال الأمن العام العادى فى جنوب لبنان فى الفترة السابقة على حادث الاختطاف. وتم الحد من النشاط فى المنطقة المجاورة للجدار الحدودى إلى حد كبير. ولم تعد الدوريات التى تهدف لطمس آثار تحركات الجيش تقوم بعملها بشكل روتيني. وفى مرحلة معينة لم تكن هناك أى دوريات تجرى فى بعض أجزاء المنطقة الملاصقة للجدار الحدودي.

٣ - وصفت الأوامر- التى أصدرها العميد جل هيرش قائد فرقة الجليل بشأن حالة التأهب الأمنى المعتاد- خطر الاختطاف بأنه أكبر خطر فى منطقة عمل الفرقة. وأكدت خطة العمل بشدة على وجود "مناطق حمراء خطيرة" وهى المناطق التى وصفت بأن مستوى خطر التعرض لاختطاف أو لهجوم فيها مرتفع. وقد وصفت نقطة الاستطلاع ١٠٥ التى جرى فيها حادث الاختطاف بأنها من أكثر النقاط خطورة. وفى تقدير موقف أجراه قائد فرقة الجليل بعد اختطاف جلعاد شاليط قبل يوم ١٢ يوليو أعلن عن حالة تأهب تبنتها المنطقة الشمالية بالكامل. وفى الفترة من ٢٧ يونيو حتى ١٢ يوليو ٢٠٠٦ كانت هناك حالة تأهب على درجة عالية معلنة فى المنطقة بسبب توقع حادث اختطاف أو هجوم فى المدى القريب. وقد استوجبت هذه الحالة من قواتنا رفع درجة الاستعداد، ولكن فى الفترة بين الثانى والعاشر من يوليو تم خفض درجة الاستعداد إلى درجة أدنى تترتب على النشاط المعادي، على أن يكون النشاط المذكور مؤشراً بما يستوجب تغييراً فى طبيعة عمل قواتنا. وفى وقت لاحق اعتباراً من ١٠ يوليو ٢٠٠٦ (قبل يومين من وقوع حادث الاختطاف) تم خفض درجة التأهب إلى مستوى أعلى قليلاً من المستوى الروتيني.

٤ - فى الليلة السابقة على وقوع حادث الاختطاف تم رصد عدة محاولات للاقتراب من الجدار الحدودى عند النقطة ١٠٥ التى وقع بها الحادث، ورغم ذلك فقد صدرت الأوامر بالتغاضى عنها والعودة لروتين العمليات. وحكى قائد الدورية التى مرت فى المنطقة قبل حادث الاختطاف لقائد الدورية التالية إيهود جولدفيسر صباح يوم الاختطاف أن هذه الليلة "كانت ليلة مفزعة، ويبدو مما حدث فى تلك الليلة أن هناك حوالى عشرين من أعضاء حزب الله قد عبروا الحدود". ولم يتسبب النشاط الزائد والاقتراب من الجدار فى تلك الليلة إلى إثارة أى شك أو إلى التحذير من أى خطر وشيك.

٥ - فى الساعة التاسعة إلا ربع تقريباً انطلقت قوة الدورية بقيادة إيهود جولدفيسر لأداء مهمتها. وكان فى الدورية سبعة جنود، ولم يكن فيها قصاص أثر مقاتل كما كان ينبغي. "وتحركت الدورية الصباحية دون أن تتلقى تلقيناً أمنياً ودون القيام بتمارين ودون الوقوف فى الطابور على النحو الواجب، ولم تتلق التصريح اللازم من "الضابط المسئول عن إرسال الدوريات".

٦ - فى الساعة التاسعة تقريباً تعرضت مركبتا "الهامر" المشاركتان فى الدورية لهجوم متزامن من كمين فى منطقة البلاغ فى النقطة ١٠٥ . ووفقاً للمعلومات الميدانية يبدو أن الهجوم كان بهدف اختطاف جنود. وبما يتوازى مع تنفيذ عملية الاختطاف تتالى سقوط قذائف هاون على المواقع المجاورة فى منطقة "زرعيت". وفى الساعة التاسعة وسبعة وعشرين دقيقة، بعد خمسة وعشرين دقيقة من بداية الحادث أعلن قائد الكتيبة عن حالة طواريء- لمواجهة حادث اختطاف جندي- يتم فى إطارها تنفيذ عمليات فورية وإغلاق طرق الفرار أمام المخربين وعزل المنطقة التى وقعت فيها العملية.

٧ - فى الساعة التاسعة وثلاث وثلاثين دقيقة بدأت الكتيبة التصرف بموجب الأمر الذى يقضى بقصف مواقع حزب الله التى تشرف على خطوط قواتنا. وتلقى قائد الكتيبة رداً بالرفض على طلبه استخدام المدفعية، وكانت تقديرات اللواء تفيد بأن المدفعية لن تتمكن من القصف قبل الساعة السادسة مساءً. ولم يصل الجنود إلى بطارية المدفعية سوى بعد سبع ساعات من بداية الحادث.

٨ - فى الساعة التاسعة وتسع وثلاثين دقيقة انضمت إلى الكتيبة مروحيات هجومية. وفى الساعة التاسعة وخمسة وأربعين دقيقة أبلغت المروحيات بأنها وجدت سيارتى الهامر المصابتين محترقتين. وفى

الساعة العاشرة وثلاث دقائق أبلغت الكتيبة اللواء بأن هناك جنديين مفقودين من الدورية التى تعرضت للهجوم.

٩ - أثناء إدارة الحادث لم يصدر قائد الكتيبة أمراً بمطاردة المختطفين. ويرجع ذلك إلى أنه لم تكن لديه قوات متاحة للتنفيذ وإلى مرور فترة طويلة (حيث لم تصل أول قوة عسكرية إسرائيلية إلى موقع حادث الاختطاف سوى بعد مرور ٤٥ دقيقة على الاختطاف) وكذلك نتيجة للاعتقاد بأن طريق الفرار مليء بالألغام والشحنات الناسفة. ومن الناحية العملية فقد كان التحرك البرى الوحيد الذى جرى رداً على حادث الاختطاف هو الدفع بالقوة العسكرية إلى التبة التى أصيبت عندها الدبابة بعد ذلك. وقد كان هذا التحرك بمثابة رد فعل متأخر على حادث الاختطاف.

١٠ - قال العميد جل هيرش قائد فرقة الجليل فى شهادته إنه هو الذى اتخذ قرار إرسال الدبابة، حيث قال: "لقد اخترت الموضع الذى سندخل منه والذى سنصل إليه وتشاورت مع قائد اللواء... وقد كان هذا أمراً يعبر عن سياسة القيادة لأننى كنت أعرف أنه ينطوى على أخطار عديدة". وأضاف قائلاً: "لقد فعلت كل ما كان بإمكانى لإنقاذهم. وقد اتخذت قراراً متزناً من الناحية المهنية ومن الناحية القيمية على حد سواء من أجل إنقاذ أودى وإلداد..".

١١ - قال اللواء آدام فى شهادته أمام اللجنة: "كان التصرف الذى قام به اللواء يمثل إخفاقاً شديداً من وجهة نظري. غير أنى أعتقد أن القيادة قد فعلت كل ما كان فى استطاعتها فى ظل الظروف المتاحة. ورغم أنه لو كان الأمر يرجع إلينا لتصرفنا بشكل مختلف فى أمور عديدة إلا أننى لا أعتقد أن القيادة قد أخفقت". وقال رئيس الأركان فى شهادته: "كانت النقطة التى تحركت منها القيادة تمثل إخفاقاً واضحاً. وقد تحركت أنا الآخر من نفس النقطة. دعونا لا نربك أنفسنا. وأنا لن ألقى بالمسئولية على القيادة. فحادث الاختطاف يمثل فشلاً. وهذا الفشل هو فشل ميداني".

❖❖ ردود الفعل:

١ - تلقى رئيس الأركان ووزير الدفاع ورئيس الوزراء تقريراً عن الأحداث. وبدأت سلسلة من المشاورات على المستويات المختلفة. ونظرا للأهمية الشديدة التى نوليها لليوم الأول فسوف نورد وصفاً تفصيلياً للأحداث بهدف متابعة النمط الإجرائى لاتخاذ القرار.

٢ - تلقى رئيس الوزراء أول بلاغ عن الحادث أثناء لقاء مع والدى جلعاد شاليط (أسير حماس) لإطلاعهما على مستجدات الأمور. وفى الساعة العاشرة والثلث جرت مكالمة تليفونية بين رئيس الوزراء ورئيس الأركان، أبلغه فيها رئيس الأركان بالحادث وقال إنهم اتخذوا إجراءات للرد على الاختطاف، وأن القوات الجوية توشك على مهاجمة أهداف بناء على أوامر هيئة الأركان العامة المصدق عليها للتعامل مع هذه الحالات. كما تلقى رئيس الوزراء بلاغاً بالحادث من سكرتيره العسكري.

٣ - تلقى وزير الدفاع البلاغ أثناء مشاورات مع رئيس الأركان وعناصر أخرى منها رئيس جهاز الأمن العام (الشاباك). وقبيل نهاية الجلسة بقليل وردت تفاصيل أدق عن الحادث. وقام رئيس الأركان ونائبه ورئيس شعبة العمليات بتقديم استعراض شامل لوزير الدفاع بشأن الإجراءات التى تم اتخاذها. ثم توقفت الجلسة وانصرف جميع العسكريين للتعامل مع الحادث. وعاد وزير الدفاع إلى مكتبه وتلقى تقارير عما يجرى من شعبة العمليات. وفى وقت لاحق طلب الجيش (وتلقى) تصديقاً من وزير الدفاع- عن طريق سكرتيره العسكري- بمهاجمة أهداف كجزء من خطة لإغلاق طرق الفرار أمام مختطفى الجنود.

٤ - تحدث وزير الدفاع فى شهادته عن الإجراءات التى قام بها فور معرفته بحادث الاختطاف، وقال: "على الفور أصدرت تعليمات أثناء الجلسة سواء لنائب رئيس الأركان أو لقائد القوات الجوية أو لرئيس شعبة العمليات بالانصراف فوراً... لمحاولة السيطرة على الحادث. بعد ذلك ببضع دقائق عندما أدركنا أن الموضوع سيطول طلبت من رئيس الأركان أيضاً الانضمام إليهم... وبدء إدراة الأزمة. ..وطلبت من رئيس الأركان دراسة الموضوع... وعقد جلسة من أجل بحث ما سنفعله... وفى الساعة الواحدة إلا الربع استدعيت رئيس الأركان للقاء شخصى لأتلقى منه تقريراً عن الحادث، حيث أردت أن أعرف تقييمه وتحليله للموضوع، والاتجاه الذى نسير نحوه فى ظل الوضع الذى نشأ. وبالفعل فقد وصف رئيس الأركان الموقف، والشعور السيء بأننا نواجه سلسلة متتالية من الأحداث، وأن هذا ليس حادثاً منعزلاً ولكنه حادث ينضم إلى الأحداث التى جرت فى غزة وإلى حادث الاختطاف الذى جرى فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية).. وبالطبع فإن هذا الحادث ترك لدينا انطباعاً بأن هناك اتجاه للتصعيد... فلم يكن هذا مجرد حادث اختطاف عادي، ولكنه كان حادثاً جرى فيه إطلاق النار داخل الأراضى السيادية لدولة إسرائيل أثناء القيام بعملية اختطاف. وهو ما يعنى حدوث قفزة كبيرة فى اتجاه سير الأمور فى تلك المنطقة لم يكن من الممكن تجاهلها على أى وجه من الأوجه. وطلبت من رئيس الأركان أن يقدم لى بأقصى سرعة ممكنة تقريراً يوضح فيه ما هى البدائل المختلفة المطروحة للرد على

هذا الحادث. واتفقت مع رئيس الأركان على أن نقوم بتقدير موقف نشرك فيه كافة العناصر المعنية بما فيها رئيس الموساد ورئيس جهاز الأمن العام (الشاباك). وتم بالفعل عمل تقدير الموقف".

أول تقدير للموقف على المستوى العسكري:

١ - أثناء الجلسة تقدم قائد المنطقة الشمالية باستعراض سريع لما حدث وللرد الإسرائيلي، الذى تضمن تحميل لبنان المسئولية عن المختطفين. واقترح أن "نستغل هذه الفرصة لتغيير الوضع بعد الانتهاء من هذا الحادث". واستعرض قائد القوات الجوية نشاط سلاح الطيران منذ وقوع الحادث. وذكر أنهم قصفوا كافة الأهداف التى تتضمنها الخطة الثابتة الموضوعة لمواجهة مثل هذه الحوادث.

٢ - بعد بحث الإجراءات التى تم اتخاذها حتى الآن بدأ الحضور يعبرون عن رأيهم بشأن استمرار رد الفعل الإسرائيلي. وقد رأى بعض المشاركين أن العملية يجب أن تكون موجهة ضد لبنان وقالوا: "لقد هاجمتنا دولة لبنان، ولدينا ما نطالبها به..". وقالوا أيضاً إن حزب الله لابد أن يدفع ثمناً فادحاً". واقترح رئيس شعبة العمليات أن نقوم بوقفة للتفكير قبل أن نتصرف.

٣ - بالنسبة لرد الفعل المتوقع من حزب الله على لجوء الجيش الإسرائيلى لاستخدام القوة حذر رئيس المخابرات العسكرية منه بقوله: "لا يجب أن نشعر بالدهشة- لو نجحنا فى جعله يدفع الثمن- إذا جاء رده متجاوزاً الخط الذى اعتدنا عليه. فقد يصل إلى قصف حيفا بصواريخ فجر". كما تحدث البعض عن مسألة استدعاء قوات الاحتياط.

فى ختام الجلسة جاء فى قرارات رئيس الأركان ما يلي:

- النقطة الأساسية هى أننا يجب أن ننظر إلى هذا الحادث على أنه نقطة تحول فى الحوار الجارى بين دولة إسرائيل ودولة لبنان. ومعنى أنه نقطة تحول أننا لابد أن نلقي بالمسئولية كاملة على حكومة لبنان، وألا ندخر جهداً فى ضرب حزب الله فى أى موضع يمكننا ضربه فيه.

- ومع ذلك "فيحظر أن نجر سوريا إلى الحادث".

- بالنسبة للقوة النيرانية والفترة الزمنية التى ستكون متاحة لإسرائيل للرد كان رئيس الأركان يعتقد أن "دولة إسرائيل ستكون لديها مساحة للمناورة فيما يتعلق بتحديد العمق الذى ستصل إليه والقوة النيرانية والمدة التى سيستغرقها الرد".

- يجب أن نكون مستعدين لتلقى القصف بداية فى قطاع المواجهة ثم المدنيين ثم معسكرات الجيش بعد ذلك.

- وأصدر رئيس الأركان تعليمات لقائد المنطقة الشمالية بسحب قواتنا الموجودة فى لبنان حتى نعطى لأنفسنا الفرصة للقيام بحساب منظم، حتى لا نتوه بسبب اللف والدوران".

- وبالنسبة للقصف الجوى يجب الانتهاء من الجولة الأولى من قصف الأهداف، وبعدها سنجهز للضربة التالية التى ستكون طويلة".

- ليس لدينا حتى الآن أى التزام بوقت محدد لأننا لم نتحدث بعد مع القيادة السياسية، وسوف نفعل ذلك خلال الساعات القادمة".

- أصدر رئيس الأركان تعليمات لقائد القوات الجوية بإعداد قوة عمليات يمكنها تنفيذ مهام مهاجمة أهداف تتمثل فى بطاريات الصواريخ الأرض أرض وملاحقة منصات إطلاق الكاتيوشا.

◆ استعدادات القيادة السياسية:

١ - بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة جرت مكالمتان هاتفيتان بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع. كانت المكالمة الأولى بشأن البيان الذى سيصدر للصحافة. واتفق الاثنان على أن البيان لابد أن يكون مشتركاً. واقترح وزير الدفاع "إلقاء اللائمة عن التدهور العسكرى على لبنان فى المرحلة الأولى". كما تم الاتفاق على أن يقوم المستشاران العسكريان للاثنين بالتنسيق بينهما لإصدار بيان بشأن الحادث.

◆ المؤتمر الصحفى لرئيس الوزراء:

١ - فى الساعة الواحدة إلا عشر دقائق بعد انتهاء اجتماع رئيس الوزراء إيهود أولمرت مع رئيس الوزراء اليابانى عقد أولمرت مؤتمراً صحفياً أعلن فيه أن "أحداث الصباح لا تعد هجوماً إرهابياً، وإنما هى تصرف جاء من دولة ذات سيادة قامت بمهاجمة إسرائيل دون سبب ودون استفزازات من جانب إسرائيل... حيث تحاول الحكومة اللبنانية التى يعد حزب الله جزءاً منها زعزعة الاستقرار الإقليمي. إن دولة لبنان هى المسئولة ودولة لبنان هى التى ستتحمل نتائج تصرفاتها". وأجاب رئيس الوزراء على سؤال لأحد الصحفيين بقوله "إن الحكومة سوف تجتمع مساء اليوم للتصديق على مزيد من ردود الفعل التى سيقوم بها الجيش ضد لبنان... وأنا متأكد أن هذه الردود سيكون لها أصداء فى الأماكن الصحيحة وبالقوة المناسبة، نظراً للاستفزاز الشديد القادم من داخل الأراضى اللبنانية... لن نستسلم للابتزاز ولن نجرى مفاوضات مع عناصر إرهابية فيما يتعلق بحياة الجنود الإسرائيليين. هكذا كنا نفعل فى الماضى وهكذا سنفعل اليوم".

٢ - بعد المؤتمر الصحفى ذهب رئيس الوزراء ورجاله إلى مقر الحكومة فى تل أبيب. وقال لنا رئيس فريق العاملين مع رئيس الوزراء إنه كان من الواضح له

أننا فى هذه المرحلة "لابد أن نرد بقوة". وكان من الواضح لرئيس الوزراء ولرئيس فريق العاملين أن الرد لو كان قوياً فسيزيد من خطر الصواريخ "ولكن الخوف من نتائج عدم الرد كان أكبر".

❖ حديث وزير الدفاع مع رئيس الأركان:

١ – فى الساعة الواحدة إلا ربع دار حديث بين وزير الدفاع ورئيس الأركان فى وجود السكرتير العسكرى لوزير الدفاع. وفى هذا الحديث وصف رئيس الأركان تسلسل الأحداث وردود الفعل المحتملة على حادث الصباح، وأبلغ وزير الدفاع أن الجيش سوف ينتهى من إعداد قائمة الأهداف التى سيهاجمها قبل جلسة المساء وأنه سوف يوضح فى الجلسة ما هو المبدأ الذى يسيرون عليه. وسأل وزير الدفاع عن قدرة الجيش على إسكات إطلاق الصواريخ على حيفا والخضيرة، وقال إنه لا يجب جعل الهدف إعادة الجنود المختطفين. وقال رئيس الأركان رداً على سؤال وزير الدفاع بشأن الأهداف التى سيهاجمها الجيش "إننا مضطرون لتوجيه ضربات بأقصى قدر من القوة والإيلام. وسواء جاء الرد بصواريخ الكاتيوشا أم بصواريخ فجر فالمهم هو ألا نجر سوريا إلى اللعبة".

أضاف رئيس الأركان إننا سنسعى على امتداد خط المواجهة لإعادة الوضع إلى سابق عهده، وسوف ندخل بالجرافات لتسوية المنطقة. وسوف نضطر للقيام بعدة عمليات عدوانية للغاية حتى نتمكن من وضع قواعد جديدة للعبة". وعندما طرح السكرتير العسكرى لوزير الدفاع مسألة استدعاء الاحتياط رد رئيس الأركان قائلاً: "حسناً. لنرسل قيادة فرقة إلى القيادة الشمالية حتى يبدأوا فى شم رائحة الحرب". وفى نهاية الحديث طلب رئيس الأركان تصديقاً على قصف مطار بيروت على الأقل. وكان وزير الدفاع متردداً لأنه كان يخشى أن يؤدى ذلك لإطلاق الصواريخ على حيفا والخضيرة. ولكن رئيس الأركان قال إنه يشك فى أن يكون ذلك ممكناً. وطرح وزير الدفاع السؤال التالي: "لو كان التعامل مع مواقع الصواريخ "فجر" ممكناً، فإن هذا الأمر سيكون أكثر منطقية من قصف المطار".

٢ – وكان تقييم وزير الدفاع فى شهادته أمام اللجنة لحديثه مع رئيس الأركان على النحو التالي: "أثناء حديثى مع رئيس الأركان... كان الرأى السائد بالتأكيد هو أنه لا يمكن التعامل مع هذا الحادث على أنه حادث عادي، ولابد من تغيير السياسة. فسياسة الصبر والاحتواء لا يمكن أن تكون هى الرد على الحادث".

❖ منتدى رؤساء أجهزة الأمن:

١ – فى ساعات الظهيرة انضم رئيس الأركان لجلسة كان يعقدها منتدى رؤساء أجهزة الأمن. وتركزت المباحثات على مسألتين: أهداف التحرك العسكرى التى ستعرض على القيادة السياسية للتصديق عليها، والطريقة العملية لتحقيق هذه الأهداف.

بالنسبة لأهداف التحرك العسكرى كان المصطلح الذى تردد مراراً هو "تغيير وتشكيل الوضع". وكان الهدف من ذلك هو تحقيق الردع (سواء كان الردع بصفة عامة أو فيما يتعلق بمحاولات الاختطاف)، وتغيير قواعد اللعبة أو تغيير الواقع عند الحدود.

٢ – تم خلال الجلسة ذكر وسائل العمل وبعض المواقع التى يمكن مهاجمتها لتحقيق الأهداف، وكان هناك تردد بين مهاجمة أهداف البنية التحتية اللبنانية وبين مهاجمة أهداف تخص حزب الله. وكانت الآراء على النحو التالي:

– بالنسبة لضرب البنية التحتية اللبنانية كان من بين الحضور من عبروا عن اعتقادهم بضرورة توجيه ضربة للبنية التحتية اللبنانية كوسيلة للضغط على الحكومة اللبنانية. وكان هناك اختلاف على أهداف البنية التحتية التى لابد من مهاجمتها وتوقيت مهاجمتها.

– بالنسبة لاستخدام القوة تناول البعض فى كلمته إمكانية ألا يكون القصف الجوى كافياً وأن تكون هناك حاجة للقيام أيضاً بعملية برية واسعة النطاق. وقيل إن خطة "الغيث" سوف تطبق بعد أن تمضى عدة أيام من القتال دون أن ننجح فى تقليل معدل القصف الذى ستتعرض له نتانيا.. وإننا لابد أن نعرف أننا سوف نستخدم عدة فرق عسكرية.

– فى نهاية الجلسة قرر رئيس الأركان ما يلي:

أ – أنا أكثر ميلاً لأن يكون الهدف من العملية هو ما قرره رئيس المخابرات العسكرية، وهو استعادة إسرائيل لقدرتها على الردع.

ب – لابد من العمل الميدانى بشكل متواصل وبقوة شديدة وإبداء قدرة على الصمود... بالنسبة للبنان ستكون العملية موجهة إليها بشكل مباشر وبالنسبة لحزب الله سيتعرض للهجوم باستخدام قوة مفرطة تفتقر إلى التناسبية، ولابد من استبعاد سوريا من الحرب على ألا يتم استبعادها من الجهود السياسية.

ج – بالنسبة للأهداف التى ستتم مهاجمتها فأنا أؤيد تماماً مهاجمة كافة الأهداف التى طرحت.

د – بالنسبة لإمكانية العمل البرى واستدعاء الاحتياط قال رئيس الأركان: "نحن فى الجيش العامل نعرف كيف نتعايش مع هذه الأمور". ومنع رئيس الأركان قوات الجيش من اجتياز الحدود مع لبنان (الخط الأزرق) بأى صورة من الصور.

❖ تقدير للموقف فى مكتب وزير الدفاع:

١ – فى هذه الجلسة التى عقدت فى الثانية والنصف ظهراً تم بحث القضايا الأساسية التالية:

على من سيتركز الهجوم؛ حزب الله أم الحكومة اللبنانية أم سوريا، وما هى الأهداف التى يفضل مهاجمتها؛ منشآت البنية التحتية اللبنانية أم منظومة الصواريخ الأرض أرض لدى حزب الله.

❖ ضد من سيتركز الرد..؟

فى بداية الجلسة عرض رئيس شعبة العمليات توصياته. وقال "إن الهدف (الإستراتيجي) هو بناء معادلة ردع جديدة تفرز قواعد جديدة فيما يتعلق بمحاولات الاختطاف، حيث لابد من المطالبة بتحمل لبنان المسئولية السياسية وتوجيه ضربة لمنظمة حزب الله الإرهابية". وسوف يتحقق هذا الهدف من خلال "الهجوم المزدوج على أهداف من البنية التحتية اللبنانية وأهداف تخص حزب الله من أجل ردع حزب الله ودفع السلطات اللبنانية إلى تحمل المسئولية". كما اقترح رئيس شعبة العمليات ألا تكون المواجهة مع حزب الله وإنما مع الدولة اللبنانية، وخلق منطق بموجبه تطالب إسرائيل بأن يكون هناك طرف لبنانى مسئول. حيث كان من البديهى أننا لو دخلنا فى مواجهة مع حزب الله فسوف يرد حزب الله. ولكن إذا ضربنا البنية التحتية اللبنانية فسوف يضع هذا الأمر حزب الله فى ورطة". أما رئيس الأركان فأضاف "إن منطقنا هو منطق مزدوج نواجه به حزب الله والحكومة اللبنانية على حد سواء. سوف يكون كلامنا عن حكومة لبنان، ولكن تصرفاتنا ستكون موجهة للطرفين. لماذا للطرفين؟ لأنه... ليس من المقبول ألا نهاجم أهداف حزب الله".

اعترض رئيس الموساد على الخطة التى اقترحها الجيش. وعلى حد قوله فإننا ".. لابد أن نفعل شيئاً آخر طالما أن الفرصة مواتية.. لابد أن نفعل شيئاً مختلفاً... وفى رأيى فإنه مع جعل المسئول يدفع الثمن، لابد من الخروج من إطار ردود الفعل المعتادة. أعتقد أننا لابد أن نسعى للتغيير. وأعتقد أن ما يقترحه الجيش تم القيام به أكثر من مرة فى لبنان من قبل. نحن نعرف كيف تتطور الأمور ونعرف إلى أى مدى سنصل". وقال رئيس الموساد إننا لو تصرفنا على النحو الذى يريده الجيش "فستؤدى بنا هذه الإجراءات إلى الدخول فى مواجهة طويلة، ويكون احتمال تعرض أهداف فى الداخل الإسرائيلى للهجوم كبير جداً. ولذلك فلو كان هذا هو الثمن، لابد أن نفهم جيداً أن الأهداف التى سنهاجمها على النحو الذى تم طرحه، وفى إطار ظروف التصعيد الذى سيحدث، ستعود بنا إلى نفس النقطة بعد نحو أسبوع أو عشرة أيام، حيث سيظل الشمال معرضاً للتهديد، وسيهاجم حزب الله أهدافاً داخل إسرائيل. وفى تقديرى أنه حسب ما تم استعراضه هنا سيكون هذا هو ما سيحدث بالتحديد".

وقد عارض رئيس الأركان ورئيس المخابرات العسكرية رأى رئيس الموساد. واقترح اللواء (احتياط) عاموس جلعاد التركيز على مهاجمة أهداف حزب الله دون مساس بمنشآت البنية التحتية"... حيث أن الحكومة اللبنانية الحالية تعتبر تطوراً إيجابياً بعد رحيل السوريين، ولذلك فإننا لن نلقى الدعم الدولى الهام لنا بشدة... وأعتقد أن الصواريخ بعيدة المدى يمكنها بالفعل أن تسبب صدمة شديدة هنا. ولابد أن نهاجم هذه الصواريخ على أساس المقترحات السابقة. وفى النهاية سوف نضطر أيضاً للاستعداد للقيام بعملية برية حتى لو كانت لا تلقى شعبية".

وأنهى وزير الدفاع الجلسة بعرض موقفه فيما يتعلق بالنتائج المطلوب تحقيقها من العملية. وقال: "لابد أن ينتهى الحادث بحيث يشعر حزب الله بالأسف من ناحية لأنه هو الذى بدأ الحادث، وبحيث من ناحية أخرى لا يفكر فى المستقبل فى ارتكاب مثل هذا الحادث ثانية. هذا هو الهدف الرئيسي. نحن لا نسعى لتربية أو لتعليم هذا الطرف أو ذاك، وإنما نسعى لجعل حزب الله يشعر أنه مطحون وملاحق". وقد كان وزير الدفاع مدركاً لأن هذه العملية لن تؤدى لإعادة الجنود المختطفين. فالهدف هو: "محاولة خلق توازن يصيب اختلاله حزب الله بالرعب". وقال إنه يعتقد "أننا وجدنا انفسنا نواجه نتيجة ترتبت على حادث جعل الجيش الإسرائيلى ودولة إسرائيل يقومان بخطوات لم يستعد لها أحد منا".

❖ مهاجمة أهداف البنية التحتية اللبنانية:

١ - ظهر خلاف أيضاً فيما يتعلق بمهاجمة منشآت البنية التحتية اللبنانية. حيث أوصى العسكريون بمهاجمة البنية التحتية اللبنانية. وأكد رئيس الأركان على أهمية ضرب منشآت البنية التحتية. ورفض وزير الدفاع اقتراح ضرب منشآت الكهرباء.

❖ كيفية العمل ضد حزب الله (شبكة الصواريخ الأرض أرض):

٢ - ظهر خلاف أيضاً بشأن مدى صواب القيام بهجوم فورى على شبكة الصواريخ الأرض أرض الثقيلة لدى حزب الله. وأكد رئيس الأركان وقائد القوات الجوية أنه لا يجب مهاجمتها على الفور. بينما قال وزير الدفاع إن "مسألة الصواريخ بعيدة المدى هى مسألة إستراتيجية... وأعتقد أنه لو كان الاختيار بين ضرب البنية التحتية وبين ضرب الصواريخ فإن ضرب الصواريخ أهم. ويمكن أن نقوم بالعملين فى نفس الوقت".

❖ مسألة الجبهة الداخلية:

٣ - جرى أثناء الجلسة حديث بين وزير الدفاع ورئيس الأركان وقائد قيادة الجبهة الداخلية بشأن إمكانية إعلان حالة طوارىء خاصة فى الداخل. واتفق

الثلاثة على أنه لم تكن هناك حاجة للقيام بهذه الخطوة فى ذلك التوقيت. ولكن وزير الدفاع طلب سماع تفاصيل بشأن الإمكانات المتاحة فى حالة تعرض الجبهة الداخلية للهجوم (فى حيفا والخضيرة). وقال عاموس جلعاد إنه لابد من إعادة تقييم أهداف البنية التحتية التى ستتعرض للهجوم، نظراً لأن رد حزب الله سيكون بصواريخ الكاتيوشا العادية فى المقام الأول. وهذه الصواريخ عددها كبير ويبلغ مداها ٢٠ كيلومتراً والعمق الذى تصل إليه فى الجليل كبير. وهذا يعنى أن منطقة الجليل قد تظل خالية من السكان لفترة طويلة، ولابد من الاستعداد لحرب طويلة فى الوقت الذى لا يوجد فيه ملاجيء فى الجليل. سوف يرحل الناس عن هناك وقد يتسبب ذلك فى خسائر بالغة. وأقترح إعادة النظر فى هذا الموضوع".

٤ - بعد انتهاء الجلسة عقدت جلسة للجنة العمليات والطلعات الجوية. وصدق وزير الدفاع على مهاجمة أهداف حزب الله وإيقاف مطار بيروت عن العمل بشكل جزئى فقط، واستهداف شبكة الصواريخ الأرض أرض ومحطة تليفزيون المنار وعدة مبانى فى ضاحية بيروت، وضرب محطات توليد الكهرباء التى تخدم جنوب لبنان فقط.

٥ - كان تقييم وزير الدفاع لهذه الجلسة أثناء شهادته أمامنا على النحو التالي:

"كنت أضع نصب عينى هدفاً إستراتيجياً واحداً وهو تغيير معادلة الرد فى مواجهة تصرفات حزب الله، لأننا كنا بالفعل فى غمار سلسلة من الأحداث. ولا يجب أن ننسى أنهم ظلوا لأسابيع طويلة يقصفون قاعدة عسكرية فى ميرون. ومن الواضح أنه كلما مضى الوقت كلما تحسن مستوى أدائهم وزاد عدد عملياتهم. ومعنى هذا ببساطة أن دولة إسرائيل القوية ستجد نفسها فى مواجهة منظمة مسلحة تتجاهل تماماً وجود قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ الذى يجب تنفيذه، وتقوم بعمليات يتصاعد مستوى استفزازها لدولة إسرائيل وردها عليها من مرة لأخرى. كنت أعتقد أنه لابد من تحقيق هدفين رئيسيين مترابطين. تغيير المعادلة فى مواجهة حزب الله... والوصول إلى وضع لا يجرؤ فيه حزب الله.. على العودة إلى مهاجمة دولة إسرائيل ثانية والاعتداء على سيادتها".

❖ اتصال هاتفى آخر بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع

٦ - فى الساعة الثالثة إلا ربعاً اتصل وزير الدفاع برئيس الوزراء وتشاور معه بشأن الأهداف التى ستجرى مهاجمتها. ولم يعلق رئيس الوزراء بشكل تفصيلي، وأعرب عن رغبته فى أن يرى الأهداف قبل التصديق عليها.

❖ رئيس الأركان يحسم الأمر:

٣٦ - خلال الجلسة التى عقدت فى الساعة الرابعة وست دقائق بعد الظهر طلب رئيس الأركان من الحضور البدء فى التجهيز لعملية هجوم ضد شبكة صواريخ "فجر" بالكامل. وطرحت أثناء الجلسة مسألة استدعاء الاحتياط، وكرر قائد القوات البرية اقتراحه باستدعاء قوات احتياط تساعد فى الإعداد للهجوم وكذلك فى الاستعداد لمرحلة قد تقتضى المزيد من الاحتياج للتصدى للنيران أو حتى لحرب برية.

وكان الموضوع الثانى الذى تم بحثه هو إمكانية فرض حصار بحرى وجوى على لبنان.

٣٧ - وفيما يلى ملخص لما قرره رئيس الأركان:

أصدر رئيس الأركان تعليمات بزيادة مستوى الوعى ورفع درجة الاستعداد لمنع وقوع حادث اختطاف آخر. وأكد أهمية تغيير طريقة العمل فى الشمال عنها فى مجال الأمن العام، وأكد أننا فى الجبهة الشمالية لن نقوم الآن بعمليات برية سواء محدودة أو موسعة سوى بعد بحثها والتصديق عليها بشكل منظم.

بالنسبة لاستدعاء الاحتياط: "نحن نفكر ليس فى استدعاء فرقة عسكرية وإنما فى عمل الإعدادات المطلوبة لذلك بالكامل". "وليس لأحد سلطة استدعاء الاحتياط سوى لواء العمليات".

بالنسبة للمستقبل "لابد أن تستعد القيادة الشمالية لعملية أوسع نطاقاً. وهناك شيء واحد لابد أن يكون واضحاً. فى اللحظة التى يتقرر فيها أن الجبهة الشمالية تتجه للقيام بعملية برية سنعطيها أولوية... وإذا كنا سنقرر الدخول إلى لبنان فسيمر وقت طويل قبل اتخاذ هذا القرار، ولكن قد يجبرنا الواقع على أن نختصر المراحل الزمنية اكثر مما نعتقد أنه سيحدث الآن".

٣٨ - جدير بنا عرض وجهة نظر رئيس الأركان فيما يتعلق بالعملية البرية، حسبما ظهر من شهادته أمام اللجنة. قال رئيس الأركان: "كان من الواضح من وجهة نظرى أن هذه خطوة لن تحدث بشكل فوري... وأن القرار بشأنها سوف يتخذ داخل هيئة الأركان، وأننا سنضطر فى وقت من الأوقات لتغيير سياسة الاحتواء. وقد كانت المبادىء التى اعتبرتها أسلوب عمل هى المبادىء الواردة فى أمرين بعمليات لم يكونا مكتملين ولم يبدأ سريانهما بالكامل، وهما "كساحة الجليد" و"الغيث". وقد كان المنطق من ورائهما واضحاً ويفيد بأننا: سوف نخوض حرباً بالقصف النيراني. ولن يكون القصف جوياً فحسب. ولكنه سيكون مدفعياً أيضاً... وقد كان العنصر الثانى فى "كساحة الجليد" هو القيام بعمليات برية محدودة وباجتياحات. وكل ذلك فى محاولة للامتناع عن الدخول فى عملية برية كبيرة

على النحو الذى تتضمنه أوامر عملية "الغيث". وهذه هى الفكرة الأساسية. وعندما أقول عملية برية فى إطار مثل هذا النشاط فإننى أقصد عملية على امتداد خط الحدود.. وهذا هو أكثر شيء كان يعبر عن تغير الواقع الأمني.. وقد كان واضحاً منذ البداية أن المعركة لو امتدت وطالت فإن هناك فرصة- حتى لو قلت إنها محدودة- لأن نصل إلى حد القيام بعملية برية واسعة النطاق. وأقول إن الفرصة كانت محدودة لأننى كنت أعتقد أن القصف النيرانى والمناورة بقوات برية محدودة والاجتياحات- كل على حده- يمكن أن تؤدى لتحقيق الإنجازات التى كنت أسعى لتحقيقها، والتى كانت تعتبر إنجازات فى نظر المؤسسة العسكرية حتى لو كانت محدودة. نحن فى البداية لم نكن نسعى لتحقيق إنجازات كبيرة مثل تدمير وعزل وتفكيك حزب الله وما شابه ذلك، ولكننا وضعنا لأنفسنا إنجازات هى من وجهة نظرى أكثر تواضعاً ولكنها قابلة للتحقيق.

كنت أعتقد أن كل خطوة من الخطوات وكل مرحلة من المراحل من الممكن أن تؤدى وحدها إلى تحقيق إنجاز. وإذا لم تفعل ننتقل للمرحلة التالية.

أول شيء فعلناه.. ليس فى نفس اليوم وإنما فى اليوم التالي... هو إعلان حالة تأهب جزئية... قمنا بالدفع بقيادة فرقة إلى الأمام كخطوة تكتيكية، بعدها قمنا بالدفع بقيادة فرقة أخرى لنفس الهدف. وقد كانت هذه الفرق هى التى من المقرر أن تواصل الحرب.

كان الشيء الثانى هو إتاحة الفرصة لتنفيذ العمليات البرية، وقد نفذت أيضاً أو على الأقل الجزء الأول منها. كما تم تنفيذ كافة الغارات والاجتياحات المحدودة باستخدام القوات النظامية.. وكان استخدام القوات النظامية فى البداية راجعاً إلى إدراكي وإلى اعتقادي أن القوات النظامية لدينا أكثر تدريباً وأكثر استعداداً، نظراً لخبرتها الطويلة فى العمليات التى اكتسبتها من نشاطها الممتد منذ بضع سنين فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية المحتلة) وفى غزة. والآن أقول إن هذا كان أحد أخطائي- وربما يكون أول أخطائي- وأنا أعترف به. كان من الخطأ أنى لم أصدر توجيهات باستدعاء قوات الاحتياط على نطاق واسع، غير أن إصدار التوجيه كان يتطلب اثنين، فحتى لو أصدرت تعليمات كان لابد أن أحصل على تصديق عليها. غير أنى لا أريد أن ألقى بالمسئولية على أى عنصر خارج الجيش. وقد طلبت فى ذلك اليوم استدعاء فرقة واحدة وستجد هذا فى وثائق كثيرة حسبما أعتقد. ولست أذكر ما إذا كان هذا قد جرى فى ذلك المساء أم بعده. طلبت استدعاء فرقة وبدأنا فى نفس اليوم فى استدعاء ما يدخل فى سلطة الجيش استدعاؤه وهو قوات الدعم، ولا سيما قوات الدعم النيراني، كما استدعينا جنوداً للقوات الجوية وللمخابرات العسكرية... واستدعينا قوات مدفعية للقيادة الشمالية. وقد طلبت أن نستدعى فرقة وأن نستخدم منها بقدر الاحتياج فى غضون ذلك.

والآن أقول إننا كان لابد أن نستدعى أكثر وأن نطلب تصديقاً من القيادة السياسية لاستدعاء قوات أكثر. ورغم أنى أقول هذا إلا أننى لا أعتبر قوات الاحتياط مؤهلة لإلقائها فى خضم المعركة منذ البداية. والأكثر من هذا، أقول لك إن الفكرة الأساسية فى النظام هى الامتناع عن القيام بعمليات برية. ليس الامتناع بالمعنى المفهوم، وإنما أقصد محاولة الوصول إلى تحقيق الإنجازات دون الحاجة إلى القيام بعمليات برية واسعة النطاق فى لبنان. لأن من الخطورة بمكان القيام بعملية برية واسعة النطاق.. وسوف استعرض العيوب التى ينطوى عليها القيام بعملية برية واسعة النطاق- وهى كثيرة- ولا سيما لو كنت ستلجأ إليها فى وقت مبكر (١).

◆ ردود فعل من لبنان:

٣٩ - بعد الظهر عقد نصر الله مؤتمراً صحفياً خاصاً، وفى نفس الوقت نشرت الحكومة اللبنانية بياناً.

أكد نصر الله فى حديثه أن الجنود المختطفين لن يعودوا إلى إسرائيل سوى بعد مفاوضات وتبادل أسرى. ورفض الإدلاء بأى تفاصيل عن حالة المختطفين أو عن مطالب حزب الله. وأكد نصر الله أن حزب الله لا يسعى للتصعيد على الحدود مع إسرائيل وأنه لا يعارض فى تهدئة الأوضاع. ولكن لو كانت إسرائيل تسعى إلى التصعيد وتريد المواجهة فإن عليها الاستعداد لمفاجآت. وقال إن حزب الله مستعد للذهاب إلى أبعد مدى وإنه لا يخشى المواجهة مع إسرائيل.

٤٠ - وأعلنت الحكومة اللبنانية أنها لم تكن تعلم شيئاً عن نشاط حزب الله وأنها لا تتحمل المسئولية عن الأحداث التى جرت عند الحدود مع إسرائيل. وأدان وزير الإعلام اللبنانى الهجمات الإسرائيلية على لبنان ودعا مجلس الأمن للانعقاد لبحثها.

◆ محادثات رئيس الوزراء مع عناصر فى الإدارة الأمريكية

٤١ - أجرى رئيس الوزراء محادثات مع عناصر فى الإدارة الأمريكية وأبلغها خلالها بأن نيته تتجه إلى الرد العسكري، وأولى خطورة بالغة إلى تصريح رئيس الحكومة اللبنانية بأنه يدعم حزب الله.

◆مشاورات عسكرية مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع

٤٢ - فى السادسة مساءً جرت مشاورات عسكرية بمشاركة ممثلى المؤسسة العسكرية مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع.

وتصـدر المحـادثات سـؤال بشـأن الهـدف الأولى بالقصف وهل هو منشـآت البنية التحتيـة اللبنانية أم شبكة الصواريخ الأرض أرض لدى حزب الله، وذلك فى الوقت الذى أشار فيه المشاركون إلى الشعور بضرورة التحرك العسكرى فى نفس الليلة.

٤٣ - أيد رئيس الأركان ورئيس شعبة العمليات قصف البنية التحتية اللبنانية، بينما عارض فى ذلك رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس جهاز الأمن العام (الشاباك) ورئيس مجلس الأمن القومى ورئيس الشعبة العسكرية السياسية فى وزارة الدفاع(وجميعهم أعضاء فى منتدى رؤساء أجهزة الأمن)، وأيدوا مهاجمة شبكة الصواريخ الأرض أرض. وبالنسبة للفترة الزمنية التى ستستغرقها العملية أعرب وزير الدفاع ورئيس الأركان عن اعتقادهما أنها سوف تستمر بضعة أيام قد تصل إلى أسبوع وربما أكثر قليلاً: "هذه العملية فى البداية، وقد تتطور وتستغرق فترة تصل إلى شهور". وكانت أحاديث الحضور فى الجلسة تشير إلى تعجل التحرك لعمل شيء ما فى تلك الليلة. وكانت المسألة الأخرى التى طرحت فى تلك الجلسة هى طلب رئيس الأركان التصديق على البدء فى الإعداد لاستدعاء فرقة احتياط. وكان الرد: "قد نبحث هذا الطلب فى وقت لاحق أثناء الجلسة".

وطرح خلال الجلسة الهدف الذى وضعه رئيس الأركان فى وقت سابق، وهو استغلال الحادث لإعادة تشكيل العلاقات فى جنوب لبنان وجعل حزب الله يدفع ثمن أفعاله.

واستعرض رئيس شعبة العمليات تسلسل الأحداث فى الصباح ووصف شبكة صواريخ حزب الله. بعد ذلك تناول السيناريوهات المحتملة. وقال: "هناك درجة الاحتواء، فى حالة شعور الطرفين أنهما لا يريدان الوصول لدرجات أعلى... وهناك درجة الردع وهى الدرجة التى يوجه فيها أحد الطرفين ضربة أقوى، ويفضل الطرف الثانى مع ذلك الالتزام بسياسة الاحتواء. ومن الصعوبة بمكان أن نخمن ما هى الضربة التى لدى حزب الله استعداد لتحملها دون اللجوء إلى التصعيد للدرجة التالية. فإذا وصلنا إلى درجة التصعيد لابد أن يقوم كل طرف باستعراض أقصى ما لديه من قوة."

واستعرض رئيس العمليات الهجمات الجوية التى جرت منذ حادث الاختطاف، ومن بينها قصف الجسور وقصف قواعد حزب الله. ثم أتبع ذلك باستعراض خطة الجيش فيما يتعلق باستمرار الرد. وقال: "إن الهدف الإستراتيجى هو زيادة قدرتنا على الردع... وتشكيل العلاقات مع لبنان الدولة، ومطالبتها بتحمل المسئولية السياسية عما يجرى فى جنوب لبنان". وفيما يتعلق بالعمليات قال إن الخطة هى "توجيه ضربة متزامنة للبنية التحتية اللبنانية ولحزب الله للتأكيد على أن الثمن الذى سيدفعانه سيمثل خسارة". وطرح خطتين، الأولى هى "كساحة الجليد" وفى إطارها سيجرى قصف البنية التحتية اللبنانية وأهداف تابعة لحزب الله (وعلى حد قوله فقد بدأ تنفيذ هذه الخطة بالفعل). وكانت الخطة الثانية تقضى بالقيام بعملية برية تستخدم فيها عدة فرق عسكرية ويجرى الإعداد لها منذ اليوم الأول. بعد ذلك انتقل رئيس العمليات إلى وصف العمليات الجوية المخطط للقيام بها فى الليلة التالية؛ وكانت تقضى بضرب محطتين لتوليد الكهرباء وإلحاق ضرر جزئى يقدر بنسبة ٢٠-٣٠٪ من إنتاج الكهرباء فى لبنان، وضرب مركز عمليات حزب الله فى بيروت ومحطة تليفزيون المنار ومطار بيروت(٢) ومنصات إطلاق الصواريخ فجر.

ثم تحول النقاش إلى مهاجمة اهداف البنية التحتية اللبنانية. وقال رئيس الأركان إنه يفضل ضرب البنية التحتية على ضرب شبكة الصواريخ الأرض أرض.

اتخذ وزير الدفاع موقفاً مختلفاً، وأوضح السبب الذى يجعله يفضل ضرب شبكة صواريخ حزب الله ويرفض مهاجمة أهداف البنية التحتية اللبنانية: "...لأن هذا لن يلحق الضرر سوى بالسكان المدنيين، الذين لا يؤيدون حزب الله فى الأصل... (وفى مقابل ذلك) فإن أحداً لا يتوقع خطوة مهاجمة الصواريخ. وستكون هذه الخطوة ضربة مباشرة لهم. وبعد هذه الخطوة سوف يفهم نصر الله أيضاً أنه لا يمكنه العبث معنا".

اعترض رئيس الموساد مرة أخرى على الافتراض الأساسى للجيش قائلاً: "أعترف لكم بأنى لم انجح فى فهم ما هى أهداف الهجوم. لو كنا نريد أن نجعلهم يدفعون الثمن فلا بأس. أما لو كنا نريد تحقيق أهداف أخرى... فسوف يتطلب هذا مدة طويلة من العمل المتواصل فى لبنان إذا كان هدفنا الإستراتيجى هو تغيير المعادلة فى لبنان... فأعتقد أننا لابد أن نستوعب أننا مقبلون على حدث سيستغرق وقتاً طويلاً. ولا توجد وسيلة لإنهاء المسألة بالقصف الجوي". وكانت توصيته هى "عدم ضرب أهداف البنية التحتية لأننا بذلك ندفعهم بشدة (أى السكان المدنيين) لتأييد حزب الله". ولذلك اقترح "مهاجمة حزب الله بكل قوة، والقيام بعملية برية فى لبنان".

ورد رئيس الأركان بأنه يعارض القيام بعملية برية فى لبنان فى هذا التوقيت. وقال إن هذا الأمر فى نظره ليس مطروحاً على الإطلاق رغم أن القصف لن يحل المشكلة... وقال إنه لا يمكنه القول أيضاً بأن هذه المشكلة قابلة للحل عن طريق عملية برية... ومع ذلك،

واستعداداً لإمكانية تدهور الموقف، اقترح التصديق على البدء فى إجراءات استدعاء فرقة احتياط فى حالة الضرورة. وقال: "أريد فى هذا الاجتماع الحصول على الإذن باستدعاء قوات الاحتياط لو احتجنا إليها".

٤٤ - تحدث رئيس الأركان فى شهادته أمام اللجنة عن كلامه فى هذه الجلسة وقال:

عندما بدأنا التحرك فى اليوم الأول كان تقديرى بالنسبة لمدى احتياجنا للقيام بعملية برية أن هذا احتمال ضعيف. فهو احتمال وارد ولكنه ضعيف جداً. ولذلك ركزت على أن أشرح لهم فى البداية مفهوم الحرب من خلال القصف. أثناء التشاور مع بعضنا البعض- وقد فعلنا هذا كثيراً- كانت الفكرة المطروحة هى أننا سننفذ خطة "كساحة الجليد" أو خطة "الغيث" وهى الخطط المتفق عليها فى هيئة الأركان. فنحن لم نأت بأفكار جديدة، ولم يكن لدينا أى أفكار أخرى. وتبدأ خطة "كساحة الجليد" وخطة "الغيث" بقصف نيرانى وتنتهى فى الواقع بعملية برية واسعة النطاق، ولكنها تتضمن مراحل تتطور فيها. وبالفعل فقد عرضت الخطوة الأولى فى اجتماع الحكومة وقلت إننا قد نضطر للقيام بعملية برية، ولكننى لا أحبذ القيام بها فى هذا التوقيت- هذا لو كنت أذكر التعبير الذى قلته جيداً- وقلت إنى لا أريد الوصول إلى هذا الحد".

٤٥ - أكد عاموس جلعاد أيضاً أنه لابد من مهاجمة شبكة الصواريخ أولاً. وقال إنه يوصى بالامتناع عن مهاجمة محطات الكهرباء... وقال إنه لابد من توجيه ضربة قوية لحزب الله. وقال إن هذا الأمر قد يتطلب عملية برية أيضاً. وكان منطقه أن ضرب البنية التحتية سوف يسيء إلى شرعية التحرك الإسرائيلى فى لبنان، وسيؤدى لقصف الجبهة الداخلية، بينما لن تؤدى مهاجمة شبكة الصواريخ إلى قصف إسرائيل بالضرورة، وبالطبع لن تسيء إلى شرعية التحرك الإسرائيلي. وقد أيد رئيس مجلس الأمن القومى هذا الموقف.

أثناء الجلسة أكد وزير الدفاع مرة اخرى على موقفه الذى يرى "أن الشيء الوحيد الذى سيجعل حزب الله يدرك أنه تعرض لضرر بالغ هو مهاجمة شبكة صواريخه".

٤٦ - أنهى رئيس الوزراء الجلسة على النحو التالي:

- إن المجتمع الدولى يدرك أن دولة إسرائيل سوف توجه ضربة، وهو يعتقد أن السنيورة يمثل الأمل للبنان ولذلك سيعارض فى توجيه ضربة جوهرية للبنان.

- بالنسبة للساحة الداخلية "يكاد يكون من المؤكد أن العملية التى نحن مقدمون عليها سوف تستوجب من دولة إسرائيل مواجهة واقع ربما لم تعتد عليه على مثل هذا النطاق منذ قيامها يتمثل فى تعرض الجبهة الداخلية للقصف... ليس فى استطاعتنا الحديث عن قصف على نطاق مئات الصواريخ التى يمكنها الوصول إلى العمق الإسرائيلى وافتراض أن تأثيرها سيكون مماثلاً لتأثير صواريخ القسام التى يطلقها المخربون فى الجنوب".

- كنا طوال الوقت نتحث عن إمكانية وقوع عملية اختطاف كهذه. وقد وقعت وأدت لموقف لابد فيه أن نتحرك. ونحن نعلم أن امتناعنا عن التصرف سيكون له ثمن فادح. والسؤال المطروح هو أى الأثمان المطروحة أكبر".

- لست أدرى كيف سيتعرض حزب الله لضرر بالغ وكيف سنغير المعادلة لو قمنا بقصف محطات الكهرباء فى لبنان، وهو ما قد يؤدى لمزيد من دعم المدنيين فى لبنان لحزب الله... وهذا الأمر سيثير المجتمع الدولى ضدنا... لذلك لابد أن نركز على مهاجمة أهداف تخص حزب الله فى المقام الأول، مع إدراك أننا سنواجه موقفاً يستغرق منا عدة أيام.

◆ جلسة الحكومة:

٤٧ - عقدت جلسة الحكومة فى الساعة الثامنة مساءً فى تل أبيب.

استعرض رئيس العمليات التطورات التى جرت فى لبنان منذ حادث الاختطاف الذى وقع فى أكتوبر ٢٠٠٠ . واستعرض حجم وقدرات شبكة الصواريخ التى يملكها حزب الله، وتقديرات حزب الله لرد الفعل الإسرائيلى ورده المتوقع عليه. وقال إنه يعتقد أن حزب الله سوف يرد بالقصف بالصواريخ بالقدر الذى يعتقد أنه مناسب للضرر الذى ألحقناه به.

ووافق رئيس الموساد على أن رد حزب الله سيكون مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمدى الضرر الذى سيعتقد أننا ألحقناه به. وإذا اعتقدوا أن الضرر شديد أو أن المصالح الحيوية للبنان أو لحزب الله سوف تتعرض للضرر لابد أن نفترض أن حزب الله سيرد بقصف الداخل الإسرائيلي.

وأكد رئيس الأركان أن هناك تطور لابد من منع حدوثه بأى طريقة. لأننا لو سمحنا بأن تتكون لديهم فكرة خادعة تفيد بأننا نخشى الصواريخ التى ستطلق على الداخل الإسرائيلي، فسيؤدى هذا الأمر إلى تكرار حوادث الاختطاف مرة بعد أخرى إلى أن يحققوا التوازن الكمى الضرورى فى نظرهم، الذى يؤدى لتلبية مطالبهم.

رداً على سؤال لوزيرة الخارجية بشأن مفهوم النصر قال رئيس الأركان إنه من الناحية الفعلية لا يوجد هنا نصر. أو أن النصر لن يتحقق بالضربة القاضية. وقال إنه يعتقد أن ما يجب عمله هو الرد بالقدر الكافى من القوة الذى يجعل العناصر الدولية تنبرى للتدخل فى الموضوع فى الموضع المناسب لنا حتى

نتمكن من إيقاع ضغط على العناصر المناسبة. وقال إنه لا يعتقد أن هناك أي عملية عسكرية يمكن أن تؤدى لإعادة المختطفين من لبنان... وقال إن أحد الأشياء التي يسعى لتحقيقها لدولة إسرائيل هو منع وقوع حادث الاختطاف التالي، أو تقليل فرصة وقوعه. ولن يتحقق هذا عن طريق الامتناع عن التصرف أو عن طريق الضمانات الدولية من جانب الأوربيين أو أى طرف آخر.

بالنسبة للخطوط العامة للعملية اقترح رئيس الأركان أن تجرى العملية على مستويين ضد دولة لبنان وضد حزب الله، وألا يكون هناك من هو محصن من الهجوم، لأن هذا هو ما سيحقق لنا الردع. ورغم أن اللبنانيين يتمتعون بتعاطف غير عادى على المستوى الدولى فلن يكون فى استطاعتهم الاستفادة بهذا التعاطف لاحتواء أو ردع أو منع الهجوم الإسرائيلي... وقال إنه يدرك أن العملية ستؤدى لإطلاق صواريخ حزب الله على إسرائيل. وقال إننا لا يجب أن ننسى أن هناك دولة (لبنان)، وهى دولة لديها بنية أساسية جيدة واقتصاد جيد ولديها الرغبة فى الانتماء إلى دول العالم المتحضر. وهذان هما الاتجاهان (مهاجمة لبنان الدولة ومهاجمة حزب الله).

وأكد وزير الدفاع أن إسرائيل لابد أن ترد على حادث الاختطاف. وقال إنه يعتقد أن حزب الله لو أراد الآن وقف هذا الحادث (بإطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين) والتوصل إلى وقف لإطلاق النار، فسيكون فى هذا فشل ذريع لنا". وبالنسبة للاختيار بين مهاجمة أهداف حزب الله أو مهاجمة البنية التحتية اللبنانية أيد وزير الدفاع قصف كليهما. وقال: "أعتقد أن حزب الله لابد أن يدفع ثمناً فادحاً. ويجب أن يكون الثمن كبيراً بحيث يدرك حزب الله أن هذا الحادث غير قابل للتكرار... ولكن لا يجب أن نعفى لبنان من مسئوليتها. ولابد أن تجرى العمليات بحيث توضح أيضاً مسئولية دولة لبنان".

٤٨ - سُئل وزير الدفاع أثناء شهادته أمام اللجنة عن تقديراته بشأن المعركة وأهدافها والمدة التى اعتقد أنها ستستغرقها. وفيما يلى رده: "كان تقديرى أن المعركة سوف تستمر لفترة تتراوح بين عشرة أيام وأسبوعين. وكنت أعتقد أن المجتمع الدولى لن يسمح باستمرارها اكثر من ذلك، وذلك رغم اعتقادى أنه كلما طالت الفترة التى سنتيحها لقواتنا للعمل كلما تمكنت من إضعاف حزب الله أكثر، حتى نصل به إلى نقطة أبعد بكثير من التى كان يقف عندها فى البداية... فاستمرار العملية لعشرة أيام سيعيده إلى الوراء كثيراً. وكنا ندرك أنه لن يكون من الممكن تصفية تلك المنظمة الإرهابية... وبالتالى فقد كان هدفنا إضعافها وتحقيق ميزان ردع مختلف فى مواجهتها، وتغيير الأوضاع، بحيث يصبح هناك طرف مسئول عن المنطقة ويمكن أن نتعامل معه. لأن الشيء الرئيسى الذى كان لابد أن نفعله حقاً هو تغيير الموقف فيما يتعلق بالمسئولية عن جنوب لبنان... كنت متقبلاً تماماً للمحتوى الإستراتيجى للحرب حسبما قررته الحكومة... وكان يكاد يكون مطابقاً للهدف الإستراتيجى الذى بلوره الجيش وعرضه على وأصبح أساساً للقرار الذى اتخذته الحكومة. ويمكننى القول بأن هناك موضوع واحد كان تقييمه دائماً شائكاً وهو مشكلة المختطفين. كانت المشكلة هى كيف نوضح للقوات المقاتلة ولدولة إسرائيل كلها وكذلك للعدو أننا نولى أهمية شديدة لقضية الجنود المختطفين ونعتبرها إحدى النقاط التى جعلتنا نشن الحرب، وأننا نعتبر حل مشكلة المختطفين جزءاً من شروطنا لإنهاء الحرب. وكنا من جهة أخرى ندرك أنه لا توجد سوى فرصة محدودة لإعادة المختطفين إلى أرض الوطن مع انتهاء الحرب فى يوم وقف إطلاق النار. وذلك لأن حزب الله يعتبر المختطفين ورقة المساومة الأهم بالنسبة له، وسيستمر فى الاحتفاظ بها قدر الإمكان. ولذلك فعندما تحدثت بشكل علنى عن هذا الموضوع كنت أريد أن أبعث برسالة حازمة وقاطعة، ولكن تقديرى كان أننا نسعى لخلق ظروف تسمح بعودة المختطفين. وقد كان هذا هو اعتقادنا فى نهاية الأمر. وكان الهدف الثانى بالطبع هو تحقيق معادلة التعامل مع الدولة اللبنانية وإعادة المسئولية إليها عن المنطقة الجنوبية.

٤٩ - بعد هذه الافتتاحية بدأت المشاورات الوزارية. وسوف نورد فيما يلى بعض ما جاء فيها.

طرح الوزير يتسحاق هرتسوج أسئلة بشأن الآليات التى تعتزم الدولة الاعتماد عليها. وأراد التحذير من القيام بعملية تؤدى لوحدة اللبنانيين ضدنا وتقوى شوكة حزب الله. وطلب الوزير هرتسوج إعداد الجبهة الداخلية بشكل جيد. وتساءل عما إذا كانت هناك خطة لمواجهة الصواريخ بحيث لا تصيب الداخل بالشلل.

٥٠ - فى حديثه أمام اللجنة تحدث الوزير هرتسوج أيضاً عن أسلوب اتخاذ القرار داخل الحكومة، وقال:

لابد أن تفهموا كيف يتبلور فى رأيى إجراء عقد جلسة الحكومة. فهناك مشكلة معينة فى هذا الشأن، وأقصد فى الأداء المتعلق بهذا الإجراء. وأعنى هنا أن الإجراء الحاسم فى رأيى هو بلا شك الإعداد السابق على جلسة الحكومة، والذى لا يتم إشراكنا فيه على الإطلاق. وأعنى بهذا أنى لا أفهم على الإطلاق كيف جرى هذا الإعداد وما الذى حدث فيه مرحلة بعد اخرى، وكيف كان مستوى المباحثات. لا أحد يخبرنا بشيء عن هذا. وأثناء الجلسة نحن نتحدث ونتخذ

قرارات ونستمع لاستعراضات للمواقف، غير أن كل شيء يكاد يكون جاهزاً مسبقاً، ولا يجرى هنا حوار تمهيدى أو إعداد تحالفات تمهيدية مع أو ضد القرار. ولو راجعت ما يحدث جيداً لوجدت خطأ فى المباحثات العامة. وهذا الخطأ أصبح راسخاً لأنه موجود من قديم الأزل. وفى إطاره يقوم العسكريون باستعراض ما لديهم ويعلق الوزراء عليه. والآن ما يحدث هو أن بعض الوزراء يستغرق وقتاً طويلاً فى الحديث. ولا يتمكن الجميع من الحديث دائماً. وفى أثناء الجلسة تجد قصاصات ورق وتجد هرولة وتجد اتصالات هاتفية بزعماء العالم. ولا يكاد المرء يشعر بأن هناك من ينصت تماماً لما يقال من ملاحظات فى غرفة الاجتماعات. والمشكلة هى هل فى ظل هذه الفوضى يوجد من يستمع حتى للملاحظات غير العادية. هناك من يكتب قصاصات وهناك من يدلى بملاحظات كأننا فى جلسة للبرلمان. وهناك نوع من التعجل الشديد والاستعجال فى كل شيء لأن من يريد تمرير القرار يعرف فى النهاية ما الذى يريده. فهو يفرض القرار الذى يتماشى مع فكره وطبيعته وشخصيته لأنه هو زعيم الشعب وهذا أمر طبيعي".

٥١ - استعرض نائب رئيس الوزراء شمعون بيريس السياق العريض للعملية وأكد أن الآليات التى يمكن الاستعانة بها لإحداث التغيير ضعيفة جداً. وأشار إلى أن النظام العالمى ضعيف، وأن الضغط العسكرى الإسرائيلى على لبنان لا يمكن أن يسفر عن أى نتيجة نظراً لضعف الحكومة اللبنانية. وأعرب الوزير بيريس عن تشككه فى جدوى القصف عن بعد، نظراً لأنه من المنطقى افتراض أن حزب الله قد استعد لهذا القصف واختبأ. وأشار إلى أن الرد المقترح يبدو روتينياً ومتوقعاً وقصير النظر. وقال إنه يعتقد أن الاتجاه الأكثر تأثيراً هو إيقاع ضغوط فرنسية أمريكية على حكومة لبنان، لأنها ترتبط بالدولتين وبالتمويل الذى تتلقاه منهما. كما أشار إلى أن مثل هذه الخطوة المقترحة لن تؤدى إلى إطلاق سراح الأسرى. وأنهى حديثه بأننا لابد أن نرد بالفعل ولكننا لابد أن نفعل ذلك بشكل خلاق وليس من خلال المبالغة فى تقدير قوتنا. وأثناء حديثه توجه السيد بيريس بالخطاب إلى رئيس الأركان قائلاً: "لابد أن نفكر فى خطوتين إلى الأمام وليس خطوة واحدة. لنقل إننا فعلنا هذا وإنهم ردوا، فماذا سنفعل بعد ذلك؟"

ورد رئيس الأركان عليه قائلاً: لقد فكرت فى خطوتين إلى الأمام، بل وفكرت فى أربع خطوات. ولكن كل هذه الخطوات تبدو لى كأنها نفس الخطوة مضروبة فى أربعة... لا يوجد هنا من يمكنه تصور أربع خطوات للأمام. ولو كان لدينا من لديه القدرة على ذلك فليعرض تصوره وسوف أجادله فيه".

وذكر الوزير إيلى يشاى أنه يعترف بتعقيد الوضع ولكنه يؤيد أن يكون الرد قوياً. وطلب التفكير فى تحميل المسئولية لسوريا أيضاً. كما أكد أنه لابد أن يكون التحرك من خلال القصف الجوى فقط حتى لا تتعرض حياة الجنود للخطر.

٥٢ - فى شهادته أمام اللجنة أوضح الوزير يشاى موقفه قائلاً:

من الواضح أننا جميعاً كنا نعتقد أن الجبهة الداخلية قوية ومتماسكة وتقدم لنا القوة والدعم. ولكنها قد تفعل ذلك لمدة يوم أو يومين أو لمدة أسبوع أو أسبوعين، ولكن هذا الأمر لا يمكن أن يستمر إلى الأبد. ولذلك كنت أعتقد أننا لابد أن نفعل ما قلته. وحينئذ سوف يتحرك العالم كله وعلى رأسه الأوروبيون والسعوديون. وبالمناسبة فإن الدول العربية أيضاً كانت تود أن تنهى ذلك الموضوع هناك بسرعة لأنهم لا يحبون هذا الارتباط بين إيران وحزب الله وسوريا... إسمعوا. أنا لست وزير الخارجية، ولست مسئولاً عن السياسة الخارجية.. وأنا احترم آراء الآخرين. لم يكن هناك من يقبل رأيى سوى أقلية تقتصر علينا أنا ورامون الذى كان يعتقد نفس الشيء".

كنت أعتقد وأعلنت فى حينه أننى أعتقد أننا لابد أن نوجه ضربة قوية للبنية التحتية.. حتى فى القرى التى يطلق منها صواريخ على إسرائيل... وقلت لهم إننى لا أعرف ما إذا كان من الممكن تحقيق نصر فى الحرب ضد جماعة مسلحة. ولكننى لا أريد شيئاً سوى أن يعلموا أنهم لو كانوا فقدوا صوابهم فلابد أن نجعلهم يعتقدون أننا مجانين. لأننا لو كنا سننساق لدخول المستنقع اللبناني، ولو كنا سنعود إليه، لابد أن نعرف قدراتنا ومزايانا وعيوبنا، وأحصيت العيوب، ومنها أن لديهم انتحاريين، وليس لديهم أى مشاكل فى هذا، بينما لدينا كل جندى له قيمة، وكل شعرة من رأس جندى تساوى الدنيا وما فيها، ولذلك فلابد من التعامل مع الموضوع بطريقة مختلفة. وقلت لهم تعالوا نحاول تحديد الثمن. وأظن أن هذا كان فى اجتماع مجلس الوزراء... بالنسبة للرد القوي.. كنت منذ البداية معارضاً للدخول بقوة برية، منذ اليوم الأول، منذ اللحظة التى كانت فيها أغلبية مؤيدة للعملية داخل الحكومة. وأعتقد أنهم لو أجروا استطلاع رأى لوجدوا أغلبية غير مسبوقة تؤيد هذا الرأى ولها الحق فى ذلك. ليس من الممكن أن تتركهم طوال ست سنوات يتزودون بالسلاح ويختطفون جندياً بعد الآخر إلى أن فقدنا القدرة على الردع. وسمعنا تقارير من أجهزة المخابرات؛ من المخابرات العسكرية ومن الشاباك. ووجدنا أنفسنا نواجه مشكلة بالغة مع هذا المجنون نصر الله. ولم يكن من المقبول أن نتغاضى عما حدث

ونقول لن نفعل شيئاً. فبعد ذلك بشهر أو اثنين سوف يختطف جندياً آخر. ليس فى استطاعتنا التسليم بفقدان قدرتنا على الردع. ولذلك كنت أعتقد أننا لابد أن نقوم بعملية هجومية قوية، هدفها تدمير حزب الله ونصر الله وتقليل الأسلحة المتاحة لهما بقدر الإمكان. ووضعهما فى وضع حرج. ورغم أن حزب الله يعمل فى لبنان وهناك فصل بينه وبين السنيورة، فقد قلت فى كل مكان- وهذا الكلام مسجل فى محاضر الجلسات- إننا لا يجب أن نميز بينه وبين السنيورة. هذا غير وارد. ففى اللحظة التى سنميز فيها بين الطرفين سيواصل حزب الله مهاجمتنا. ولكننا لو فعلناها مرة (وهاجمناهما معاً) فسوف يجن العالم. لا يهمنى أن يأتى العالم للتصدى لنا. ولكننا بهذه الطريقة سنحافظ على قدرتنا على الردع.

أما الوزير حاييم رامون فقد اعتبر حادث الاختطاف بمثابة إعلان حرب. وكان رأيه أنه لا يوجد محل لردود تتسم بالاعتدال. وكان الاختيار فى نظره بين الامتناع عن الرد وبين الرد بقوة مفرطة. وقد اوصى بالخيار الثاني.

وأكد الوزير آفى ديختر أنه لن يكون من الصواب الرد على حادث الاختطاف بطريقة أقوى من اللازم. فرغم أن هذا الحادث محرج إلا أنه لا يجب إعطاؤه اهمية أكثر من اللازم. واقترح الوزير تحديد أهداف معقولة للعملية مثل إنهاء وجود حزب الله بجوار خط الحدود. كما أشار إلى ضرورة البحث عن حل فعال لمشكلة صواريخ القسام التى لم نجد لها الحل المناسب لفترة طويلة.

وأكد الوزير جدعون عيزرا ضرورة التحرك السريع نظراً لوجود شعور بأننا ضعفاء. وأكد أن الشيء المؤثر فى لبنان هو مهاجمة البنية التحتية لأن مسلحى حزب الله قد اختبأوا بالفعل. كما أشار إلى انه لا يجب العمل بطريقة تستوجب بقاء قواتنا فى لبنان.

وأشار الوزير أوفير بينس إلى ضرورة الرد نظراً لضعف قدرتنا على الردع، ولكنه حذر من التصعيد. وتساءل فى موضع لاحق عن السبب فى عدم الإفادة من التحقيق فى تجارب الماضي، وذلك على ضوء وقوع حادث اختطاف فى جنوب لبنان بعد فترة محدودة من وقوع حادث اختطاف فى كرم أبو سالم فى غزة.

الهوامش وتعليقات المترجم:

١ - قال رئيس الأركان فى شهادته أمام اللجنة ما يلي: "لقد قلت هذا الكلام فى اليوم الأول. لم أقل إنه لن تكون هناك عملية برية وإنما قلت فى جلسة الحكومة فى اليوم الأول إننى لا أوصى بالقيام بعملية برية الآن. وأقول لك إن ما قلته أياً كان لا يعبر عن شيء سوى عن الجو السائد. وقد كان الجو العام خارج هيئة الأركان ضد القيام بعملية برية. وقد صدرت تصريحات علنية بهذا المعنى لوسائل الإعلام. وقد صدر تصريح مباشر عن وزير الدفاع قال فيه :إن دولة إسرائيل لن تقوم بعملية برية واسعة النطاق فى لبنان. ولست أدرى ما إذا كان هناك من صرح بذلك غيره. ولكن ليس هذا هو موضوعنا، فموضوعنا هو الجيش. كان ما قيل داخل الجيش فى اليومين أو الأيام الثلاثة الأولى هو أن العملية البرية لا تلقى تأييداً الآن. ولكن هناك تأييد للاستعداد لعملية برية. وقد قلت لك إنى أخطأت فيما يتعلق برفع درجة الاستعداد، لأن استعدادنا لم يكن على نطاق أوسع وفى وقت أسرع. ولأن استعدادنا كان جزئياً.

٢ - يتضمن هذا الجزء من التقرير اعترافاً واضحاً بأن العمليات الإسرائيلية كانت موجهة عن قصد لإلحاق الضرر بالمدنيين من خلال ضرب منشآت البنية التحتية، وهو ما يعد جريمة حرب بموجب القانون الدولى شاركت فيها القيادة العسكرية التى طرحت الخطة ونفذتها والقيادة السياسية التى صدقت عليها.

شهادات

مذكرات قائد أمريكى لا يحب إسرائيل: "عليك الطائرات، ودع لنا الكونجرس"

بقلم: أمير أورين - هاآرتس ٢٠٠٧/٩/٢٢

فى أحد أيام الخريف من أكتوبر ٢٠٠٣، اجتمع ثلاثة رجال مسنين فى إحدى قاعات الكونجرس بواشنطن، وقرأوا أمام كاميرات التليفزيون نتائج لجنة التحقيق التى يرأسونها - والتى كانت لجنة تحقيق خاصة، وليست لجنة رسمية أو قضائية. كان الثلاثة هم المدعى العام العسكرى السابق للأسطول الأمريكي، والسفير الأمريكى السابق لدى السعودية، وثالثهم وأهمهم الأدميرال توماس مورير الرئيس السابق لهيئة الأركان المشتركة فى البنتاجون.

تقصت لجنة مورير الحقائق فى مهاجمة المقاتلات وسفن البحرية الإسرائيلية لسفينة التجسس الأمريكية "ليبرتي" فى يونيو ١٩٦٧ . الإسرائيليون الذين بحثوا المسألة، ومعهم بعض الأمريكيون، لم يكن لديهم شك فى أن الهجوم وقع بطريق الخطأ نتيجة خطأ فى التحديد وبسبب حالة الفوضى التى سادت أثناء حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧). ومع ذلك، فإن الناجين من السفينة والمتعاطفين معهم - ومن بينهم مورير - لم يعد لديهم شك أيضاً فى أن ما حدث كان مخطط إجرامى لإغراق السفينة والقضاء على أفراد طاقمها - قتل ٣٤ فرداً وأصيب العشرات.. ووفقا لهذا التفسير، كان الرئيس ليندون جونسون ووزير دفاعه روبرت مكنمارا شريكين فى هذه المؤامرة.

تبلور رأى مورير هذا قبل فترة طويلة من انضمامه إلى لجنة التحقيق، التى اعتمدت نظرية المؤامرة. دوماً ما كان مورير يتحدث ضد إسرائيل، ولاسيما دورها فى قضية السفينة "ليبرتي" ونفوذها فى واشنطن.

وفى فبراير ٢٠٠٤، بعد أسابيع معدودة من ذلك اليوم فى الكونجرس، وقبل أربعة أيام فقط من عيد ميلاده الـ٩٢، رحل مورير عن عالمنا. وبعد وفاته، تم الإفراج عن أجزاء من المذكرات التى كان يمليها مورير فى عقدى السبعينيات والثمانينيات على صحفى من المعهد الأمريكى البحرى فى أنابوليس. ولكن الآن فقط، وبعد أن أتاح المعهد للجمهور الإطلاع على المذاكرات كاملة، يتبين مدى خطورة المشكلة التى واجهتها إسرائيل فى البنتاجون خلال حرب عيد الغفران (أكتوبر ١٩٧٣)، بينما كان مورير يشغل المنصب الأكبر فى الجيش الأمريكى كرئيس لهيئة الأركان المشتركة.

يميل الإسرائيليون إلى التعامل مع المؤسسة الأمريكية وكأنها قطعة قماش واحدة.. ولكن فى أكتوبر ١٩٧٣، كان لدى إسرائيل عدد قليل من الأصدقاء فى العاصمة الأمريكية، وعدد أكبر قليلا فى السلطة التشريعية، وأقل فى السلطة التنفيذية. وكلما طالت أيام الحرب، أصبح مصير إسرائيل معتمدا بصورة متزايدة على إمدادات الأسلحة والذخائر عبر "الجسر الجوي" بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

كان الرئيس ريتشارد نيكسون غارقاً فى فضيحة ووترجيت، بينما اعترف نائب الرئيس، سبيرو أجنيو، بتهم الفساد واستقال من منصبه، أما وزير الدفاع، جيمس شليزنجر، ومدير وكالة المخابرات المركزية، ويليام كولبي، فقد كانت علاقتهما مع إسرائيل شديدة الفتور. أما مورير، ممثل الجيش فى مجلس الحرب، فقد لعب دورا هاما.

سيقول أتباع مورير - المولود سنة ١٩١٢ - إنه كان محافظاً، جنتلمان من الجنوب من المدرسة القديمة شعر بالاشتياق إلى تراث البلدة التى شهدت مولده فى ألاباما واشتاق أكثر إلى العلاقات القديمة بين الأعراق وبين الجنسين. أما المراقبين الذين لا يعرفونه جيدا، فسيضطرون إلى وصفه بالعنصرى المعادى للسامية ومتعصباً شوفينياً. يقول مورير فى تفسير معارضته لخدمة النساء فى الجيش: "المرأة تعطى الحياة، والرجل يأخذ الحياة". كما أن التمييز الإيجابى لصالح السود، سواء داخل المجتمع أو فى الجيش، أغضبه. وقال أيضا إن المهاجرين من كوبا إلى ميامى لن يرفضوا العمل فى أى نوع من الأعمال، وأنهم سيكونون

أكثر تطلعا ونشاطا من السود "كما أنهم سيستحمون مرة كل أسبوع على الأقل".

أحد الأصنام التى يقدسها مورير كان وزير البحرية، وبعد ذلك وزير الدفاع فى إدارة ترومان، جيمس فورستال، الذى عارض فى ١٩٤٨ قيام دولة إسرائيل. يعتقد مورير أنه لم يسبق للإدارات الأمريكية أن أوضحت للدول العربية - "التى نفرت من الشيوعية نظراً لتعارضها مع الدين الإسلامي" - سبب تأييدها لإقامة دولة إسرائيل.

كان مورير أقل إعجابا بوزير الدفاع الثانى فى إدارة جونسون، كلارك كليفورد، المتعاطف تماما مع إسرائيل.

مورير، الطيار المقاتل فى سلاح البحرية، كان متواجدا فى قاعدة بيرل هاربر فى نفس اليوم الذى تعرضت فيه القاعدة للهجوم الياباني. وفى أحد المعارك الجوية قبالة السواحل الأسترالية، أثناء الحرب العالمية الثانية، أصيب خزان الطائرة التى كان يقودها بطلقة من رشاش طائرة يابانية، فتسرب الوقود من الطائرة واشتعلت فيها النيران. لقد كان مورير ضحية لسياسة التوفير الحمقاء: اليابانيين، والألمان، وحتى البريطانيين كانت لديهم بالفعل خزانات وقود مصفحة، وبثمن الطائرة التى أسقطت، كان يمكن تحصين مائة طائرة أمريكية أخرى.

بعد ذلك بسنوات، عندما أدلى بشهادته فى الكونجرس، دافع مورير عن سياسة التزود بوسائل قتالية مكلفة، وسأل أعضاء مجلس الشيوخ الذى لديهم أبناء طيارين ما إذا كان توفير وسيلة حماية إضافية لأبنائهم يعد إهدارا للمال فعلا. وأضاف: "التوفير شيء عظيم إلى أن تصبح فى قلب البحر وتتعرض لإطلاق نار. حينها تتغير رؤيتك للأشياء تماما".

مر مورير بتجارب قاسية ومؤلمة.. قفزه من طائرته فى قلب البحر، والتقاطه جريحا بواسطة سفينة أسترالية، وغرق السفينة التى كان على متنها وقت الهجوم الياباني، ثم قذفه فى قارب نجاة نسوا أن يضعوا فيه ماءً وبوصلة. تضامنه مع ضحايا السفينة "ليبرتي" تضامن عاطفى أكثر من كونه تضامن مع رفاق من نفس السلاح. وينطبق نفس الشيء على تفهمه لمعاناة جنود الجيش المصرى الثالث، الذى حاصرتهم القوات الإسرائيلية فى أواخر حرب عيد الغفران (أكتوبر ١٩٧٣).

بعد ساعة واحدة من الحرب، فى الساعة ٥٠ :٨ من صباح السادس من أكتوبر بتوقيت نيويورك، أجرى وزير الخارجية هنرى كيسنجر - الذى كان موجودا فى نيويورك لحضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة - اتصالا هاتفيا مع الجنرال فى سلاح الجو برنت سكوكروفت، حيث أمره كيسنجر: "ارفعوا حالة الاستعداد فى الأسطول إلى الدرجة القصوى، بحيث نستطيع تحريكه إذا أردنا. اعرف لى الوقت اللازم للانتهاء من ذلك. وأبلغ وزارة الدفاع أن تتكتم مسألة التحركات العسكرية. اعرف من مورير ما هى القوى المتاحة للحركة فى جميع أنحاء الأطلنطى ومدى سرعة فعل ذلك". أجاب سكوكروفت قائلا: "اثنتين من حاملات الطائرات لن تكونا قادرة على استدعاء قواتهما، لأننا فى عطلة نهاية الأسبوع." تماما كما حدث فى بيرل هاربر، ولكن هذه المرة كان الإسرائيليون هم ضحايا المفاجأة.

رفض مورير اتهام المخابرات الأمريكية بالمسئولية عن عدم تحذير إسرائيل من الهجوم المصري-السوري. تفوقت المخابرات فى الكشف عن قدراتها، ومع ذلك فإن التنبؤ بنوايا رؤساء الدول يتطلب "قراءة العقل". يقول مورير: "الإسرائيليون لم يعتقدوا أن المصريين سيعملون ضدهم. لنفترض أن الولايات المتحدة، أو الاستخبارات الأمريكية أو البنتاجون حذروا الإسرائيليين من أنهم على وشك التعرض لهجوم، وأنهم بناء على هذه المعلومات قرروا الهجوم أولا، فى أعقاب مشورتنا. كان ذلك سيجعل موقفنا وكأنه نصيحة - من ناحية غير مباشرة على الأقل - بأن يفعلوا شيئا حيال ذلك. لو قام الإسرائيليون حينها بضربة وقائية، لحملوّنا مسئولية الحرب، لأن الجميع كان سيقول: أنتم الذين دفعتم باتجاه الحرب. أنتم الذين بدأتم الحرب. العرب كانوا يؤمنون بهذا، وهو ما كان يعزز موقف المصريين، والروس والسوريين. لم يكن دورنا أن ننصح الإسرائيليين إذا كانوا على وشك التعرض لهجوم".

ووفقا لمورير، كان هناك هدفان أساسيان لإدارة نيكسون - كيسنجر فى الحرب: "عدم السماح للعرب بإلقاء إسرائيل فى البحر، وعدم السماح لإسرائيل بإذلال العرب. لذا، أردنا التوصل إلى وقف لإطلاق النار حتى يمكننا أن نبدأ الحديث". ويضيف مورير قائلا: "فى اليوم الأول أو الثانى من الحرب، وضع الرئيس سياسة تعويض الخسائر التى مُنى بها الجيش الإسرائيلى - الذى أخطأ فى تقدير فترة استمرار الحرب، وبالتالى أخطأ فى تحديد كمية الذخائر المطلوبة. بات من الواضح أن طائرات شركة العال لا يمكن أن تفى بمتطلبات نقل العتاد بالسرعة المطلوبة لتعويض ما تم تدميره. كما لم توافق أى شركة طيران أخرى على تأجير طائرات نقل لهم".

"ناقشوا فى البنتاجون تفعيل القانون الذى يسمح بتعبئة الطائرات التجارية فى أوقات الطوارئ، ولكننا رأينا أن هذا لن يحل المشكلة.. قلت لشليزنجر: يبدو من طريقة سير الأمور أننا سنضطر إلى تزويدهم بالعتاد عن طريق خدمة النقل الجوى العسكري. دعنا

نكف عن التنقل بين البدائل، ولنمسك بالثور من ذيله ونقول، حسنا نحن بصدد استخدام خدمة النقل الجوى العسكري. وبالطبع ما كانوا يحاولون القيام به فى الساحة السياسية هو تجنب الظهور بمظهر المشاركة المباشرة فى الحرب".

ولكن حتى قرار استخدام الطائرات العسكرية الأمريكية لم يحل المشكلة. يقول مورير: "الأوروبيون رفضوا السماح لنا بالهبوط فى مطاراتهم. كان لابد أن نتوقف للتزود بالوقود. من الممكن بالطبع قطع المسافة مباشرة من أمريكا إلى تل أبيب دون توقف، ولكن هذا كان يتطلب وجود مجموعة من الطائرات المسئولة عن تزويد الطائرات بالوقود جوا على طول الطريق، وهو ما كان يتطلب تكاليف باهظة لم يكن من الممكن تحملها".

ورغم أن نيكسون قد قرر فى التاسع من أكتوبر مساعدة إسرائيل، إلا أنهم فى البنتاجون تأخروا لمدة ثلاثة أيام، إلى أن هاتف مورير قائد النقل الجوى وقال له: "إذا لم ننفذ الأمر، سنفقد مناصبنا". بدأت عملية النقل الجوى الضخمة، والتى كانت عبارة عن ١٤٥ رحلة لطائرات النقل العملاقة (سي- ٥ جالاكسي) تحمل كل منها حوالى ١٠٠ طن، بما فى ذلك الدبابات ومدافع ذاتية الحركة ومروحيات، و٤٢٢ رحلة لطائرات (سي- ١٤١ ستارلايفتر) يقول مورير: "تمت العملية على أكمل وجه. لقد تحدثت فى ذلك مع جولدا مائير، التى أعربت عن دهشتها، وأخذت بعض أحفادها لمشاهدة الطائرات وهى تهبط. الذخيرة التى كانت تهبط فى تل أبيب فى منتصف الليل، كانت تنفذ فى اليوم التالي. لقد كانوا قريبين جدا من حقيقة إلقائهم فى البحر".

عندما فرض العرب الحظر النفطي، ارتدعت الموانئ الأوروبية من شحن العتاد الحربى على سفن إلى إسرائيل. وهذا ما حدث على سبيل المثال فى ألمانيا، حسبما يقول مورير، حيث طلب الأمريكيون منهم نقل دباباتهم إلى إسرائيل. ويضيف مورير قائلا: "دعونا نعترف بالحقيقة. الألمان لم يكونوا متحمسين على الإطلاق لإسرائيل. بينهما تاريخ طويل هناك".

البلد الذى أنقذ إسرائيل أخيرا، يقول مورير، هى البرتغال. إذن الهبوط فى الجزر الإقليمية التى تحت سيطرتها، جاء بعد ضغوط شديدة من نيكسون على لشبونة، بعد أيام قليلة من مقاطعة كيسنجر بشكل استعراضى لسفير البرتغال لدى الأمم المتحدة "لأن البرتغال كانت لا تزال دولة استعمارية". وفى رأيه، "فإن البرتغال أنقذت إسرائيل"، وكذلك إسبانيا إبان حكم الجنرال فرانكو - والتى كانت ممقوتة عالميا - حيث سمحت لطائرات التزويد بالوقود الأمريكى بالإقلاع من قواعدها، على عكس التصريحات الرسمية الصادرة عن مدريد.

مصدر الشر، حسب مورير، كان الكونجرس الأمريكي: اليونانيون يوجهون السياسة الأمريكية تجاه تركيا (يقصد من داخل الكونجرس فى إشارة غير مباشرة إلى دور اللوبى اليهودى داخل الكونجرس لخدمة مصالح إسرائيل)، والسود يوجهون السياسة الأمريكية تجاه أفريقيا، واليهود يوجهون السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط.. ويقول مورير فى مذكراته أيضا: "أريد أن أشدد على أننى لست معادى للسامية بأى شكل، ولكن من ناحية أخرى، ما من شك فى أن اللوبى اليهودى يتحكم فى السياسة الخارجية فى الشرق الأوسط. لقد رأيت ذلك يحدث مرات عديدة".

الدليل الأول على ادعاء مورير، كان لقاء مع "الملحق العسكرى الإسرائيلى فى واشنطن إبان حرب عيد الغفران، موردخاى (موطي) جور، الذى أصبح فى وقت لاحق رئيسا للأركان. فى يوم الخميس ١١ أكتوبر، قام جور بسلسلة لقاءات محبطة للغاية مع قادة أركان القوات البحرية، والجوية والبرية فى الجيش الأمريكي". وفى لقاء مع السيناتور هنرى جاكسون، أحد أكبر أصدقاء إسرائيل، اشتكى جور قائلا: "مطالبنا بأسلحة لم تحظ حتى الآن بالرد السريع". بحث جاكسون الموضوع ووعد بالتحدث مع شليزنجر. يقول جور نفسه فى مذكراته الشخصية: "متشجعا بعض الشيء، ذهبت إلى مكتب الأدميرال مورير. كان استقباله باردا جدا. فى كل مرة تحدثت فيها عن طلباتنا، حملق بعينيه فى السقف، كما لو كانت الحرب تدور هناك".

لم ينقل جور فى مذكراته أى كلمة مما قالها له مورير، لكن مورير تأثر جدا - ليس بالإيجاب - مما قاله اللواء الإسرائيلي. يقول مورير فى مذكراته: "زارنى جور وطلب منى أن ننقل إليهم على وجه السرعة سرب قتالى مسلح بصواريخ مضادة للدبابات. فى صفوف الجيش الأمريكى بأكمله، لم يكن لدينا سوى سرب واحد كهذا، كنا قد انتهينا من تجهيزه قبل أسابيع معدودة. قلت له: إذا عرضت تسليم هذا السرب إلى إسرائيل، فإن الكونجرس سُيلقى بى إلى الجحيم. رد جور قائلا: عليك بمسألة الطائرات، ودع لى مسألة الكونجرس، وهذا ما فعله حقاً". هذه الجملة الصغيرة التى قالها جور بالإنجليزية حُفرت فى عقل مورير، وخلدت كراهيته لإسرائيل. يقول مورير: "كان تقسيم العمل على النحو التالي: البنتاجون يهتم بمسألة العتاد، وإسرائيل تهتم بالكونجرس، لأن اللوبى اليهودى قوى بما يكفى لإخضاع حتى رؤساء الولايات المتحدة".

الدليل الثانى على ادعاء مورير بوجود مؤامرة إسرائيلية كان المصير القاسى الذى لاقاه الجنرال جورج براون، قائد سلاح الجو الأمريكى وخليفة مورير

فى رئاسة هيئة الأركان المشتركة. حيث كان براون قد دعى إلى إلقاء كلمة فى جامعة ديوك بولاية نورث كارولينا. يقول موريرا: "كان من المفترض أن تكون هذه الكلمة داخلية وألا يقتبس أحد منها، ولكن يبدو أنه كان هناك شخص ما سجل الكلمة وعلى الفور أعطى الشريط إلى صحيفة واشنطن بوست، التى احتفظت بالشريط لمدة ستة أو ثمانية أسابيع، حتى ظهر عرفات على منصة الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهو يلف حول وسطه مسدسين. وعلى الفور، نشرت الصحيفة ما قاله الجنرال براون وهو أن اليهود يسيطرون على التليفزيون وعلى كل البنوك فى أنحاء الولايات المتحدة، ولذا فإن نفوذهم يفوق بكثير نسبتهم بين السكان".

يقول موريرا مدافعا عن براون: "وقع براون فى خطأ واحد فقط. وهى أنه استخدم كلمة 'جميع'، عندما قال إنهم يسيطرون على كل البنوك. وهو ما دفع المنتقدين إلى البحث عن أى بنك صغير فى تكساس، أو فى أى مكان، لا يمتلكه اليهود. كان يجب أن يقول: معظم البنوك الكبيرة. ولكنهم هاجموه بدعوى عدم توخيه الدقة.

"بعد ذلك بقليل، قال براون إن إسرائيل عبئا على الولايات المتحدة. حسنا، إن إسرائيل عبئا على الولايات المتحدة إذا نظرتم إلى الأموال التى قدمناها لهم على مر السنين. أولادنا أيضا سيتعين عليهم الدفع. لا أعتقد أن الحديث عن العبء يستوجب النقد، حيث أنك تتوقع - عندما يكون لديك طفل - أن يكون هذا الطفل عبئا عليك حتى يُتم دراسته ويصبح مستقلا. استجاب البيت الأبيض لطلب استدعاء الجنرال براون لتوبيخه. لقد أهين على الملأ. لا يمكنك أن تقول لى أن هذا ليس صحيحا. من الحقائق الثابتة أن اللوبى الإسرائيلى يمارس ضغوطا هائلة على الكونجرس".

قبيل انتهاء الحرب، اهتم موريرا بالمواجهة مع السوفييت، الذين هددوا بإرسال قواتهم لإجبار الجيش الإسرائيلى برفع الحصار عن الجيش الثالث المصري. يقول موريرا: "لو دُمر الجيش الثالث المصري، كانت ستصبح هذه المرة الرابعة التى تدمر فيها قوات مجهزة بالعتاد السوفيتي. شعر السوفييت بقلق شديد إزاء ذلك، ليس فقط بسبب الجانب الاقتصادى لانهيار صناعتهم العسكرية، وإنما أيضا لانهيار صورتهم أمام الرأى العام، داخليا وخارجيا".

لم يكن موريرا بحاجة إلى الاستخبارات لمعرفة ما يحدث للجنود المصريين الستين ألف المحاصرين، دون مياه وتحت درجات حرارة تزيد عن ٤٥ درجة، ويقول: "أنت تجلس هناك فى تلك الصحراء اللعينة، دون ماء، لمدة يوم أو يومين، وهكذا تنتهى حياتك. أستطيع أن أقول من تجربتى الشخصية - باعتبارى عشت بعض الفترات دون طعام أو مياه - أن نقص الغذاء أمر غير مريح، ولكن نقص المياه يعد تعذيباً".

الرفض الأمريكى بالسماح لإسرائيل بمواصلة حصار الجيش الثالث، أملا فى إنهاء الحرب بإنجاز، نبع من "الهدف الثاني، وهو عدم إذلال العرب"، فضلا عن القلق من أن الحظر النفطى سوف يتفاقم وأنه ستكون هناك مواجهات مع السوفييت.

أثمر الضغط الأمريكى على إسرائيل، ولكن قبل ذلك، مرت على موريرا، وكيسنجر، وكولبى وشليزنجر - نيكسون لم يكن تقريبا مشاركا فى المشاورات - ساعات عصيبة كلها توتر. موريرا كان يتخوف من تراكم العلامات التى تشير إلى تدخل عسكرى سوفيتي: الفرق السوفيتية المحمولة جوا وُضعت فى حالة تأهب قصوى، الجسر البحرى لسوريا أوقف وبدأت السفن فى نقل دبابات سوفيتية.

فى ضوء الفارق الزمنى - منتصف الليل فى واشنطن يتزامن مع الفجر فى موسكو - خشى موريرا من أن تبدأ العملية السوفيتية فى الساعات الأولى من الصباح، من أجل استغلال ضوء النهار. كانت هناك حاجة إلى قرار فوري، ولم يكن هناك وقت للتشاور مع الدول الأوروبية الأعضاء فى حلف شمال الأطلنطى (الناتو). وعندما أعلن الأمريكيون حالة الاستعداد القصوى، لردع السوفييت، غضبت الدول الحليفة للولايات المتحدة لعدم التشاور معها فى هذا القرار. وقد قال موريرا فى مذكراته: "تعلمون أن هؤلاء الأوغاد لا يستيقظون من نومهم قبل العاشرة صباحاً"، ولكنه أوعز لكاتب مذكراته بحذف كلمة أوغاد، وأن يكتب بدلا منها "هؤلاء السادة..".

◆ افتتاحيات الصحف ◆



لا سلام مع البؤر الاستيطانية

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/٨/٢٧

من الصعب أن نجد فروقاً بين الأخبار التى نشرت نهاية الأسبوع الماضى حول "اتفاق البؤر الاستيطانية"، الآخذ فى التبلور، بين وزير الدفاع "إيهود باراك" وممثلى المستعمرين، وبين الأخبار حول "اتفاق البؤر الاستيطانية" الذى أنجزه رئيس الحكومة ووزير الدفاع "إيهود باراك" مع مجلس مستعمرات الضفة وغزة عام ١٩٩٩ (أى وقت أن كان باراك رئيساً للحكومة ووزيراً للدفاع)، باستثناء توقيت النشر. فمرة أخرى يتم الحديث عن مفاوضات بشأن عدد البؤر الاستيطانية التى سيقوم المستعمرون بإخلائها طواعية، فى مقابل منح الدولة الشرعية لبؤر استيطانية أخرى.

إذا كان لنا أن نستخلص عبرة من "اتفاق البؤر الاستيطانية" عام ١٩٩٩ لأجل الجولة القادمة، فإن البؤر الاستيطانية المستهدف منحها الشرعية ستحظى بترخيص، وسيخلى المستعمرون بعض الصهاريج الصدئة، وستبقى معظم البؤر الاستيطانية فى مكانها. وفى ظل هذا الوضع لن يخجل مكتب وزير الدفاع من أن يقول إن "باراك يدرس الموضوع ولم يبلور موقفه بعد".

لا ينبع الحافز للاتصالات بين الطرفين (يقصد بين باراك وممثلى المستعمرين) من رغبة الحكومة فى فرض القانون فى مناطق الضفة الغربية، وتجنيب جيش الدفاع الإسرائيلى ضرورة تخصيص قوات للدفاع عن مغتصبى الأراضى وتوفير نفقات تقدر بعشرات الملايين من "الشواكل" فى السنة للخزانة العامة. لا ينبع الحافز أيضاً من تعهد الحكومة السابقة، فى إطار خريطة الطريق، بإخلاء جميع البؤر الاستيطانية التى أقيمت منذ مارس ٢٠٠١، كما أنه لا علاقة أيضاً لذلك بتقرير البؤر الاستيطانية الذى قدمته المحامية "تاليا ساسون" إلى حكومة "شارون" منذ عامين ونصف العام.. إنما نبع الحافز أساساً من الخوف من لجوء "حركة السلام الآن" إلى تقديم التماس لمحكمة العدل العليا - كما حدث بشأن بؤرة عموناه غير القانونية العام الماضي، حيث قامت الحكومة بهدم تسع منازل فى فبراير ٢٠٠٦ - وهو ما حدث بالفعل هذه المرة، حيث وجد باراك نفسه، حسب صحيفة "ماقور ريشون" (صحيفة دينية)، فى حاجة للرد على الدعوى التى رفعتها حركة السلام الآن، والتى تطالب فيها الدولة بإخلاء البؤرة الاستيطانية "ميجرون" - أكبر مستعمرة غير شرعية فى المناطق (الفلسطينية)، خاصة أن مجلس مستعمرات الضفة وغزة تفضل وتكرَّم "بالموافقة" على نقل البؤرة الاستيطانية من مكانها، وذلك بعد أن اتضح أنه ليس ثمة إمكانية من الناحية القضائية لتسوية وضع المستعمرة لأنها أقيمت كلها على أرض مملوكة لفلسطينيين.

فى الدول التى تحافظ على القانون، لا يتم الانتظار إلى أن تفرض المنظمات غير الحكومية وهيئة القضاء على السلطات أن تطبق القانون، وأن تنفذ الاتفاقيات الدولية. وناهيك حتى عن المشكلة القضائية، فإن توسيع المستعمرات بوجه عام والبؤر الاستيطانية بوجه خاص يتناقض بشكل لا لبس فيه مع تصريحات رئيس الحكومة عن السلام. فأى مغزى يمكن أن يكون للمفاوضات مع الفلسطينيين حول اتفاق مبادئ لإنهاء الاحتلال، فى الوقت الذى تجرى فيه الحكومة مفاوضات فى ذات الوقت مع المستعمرين حول منح الشرعية لبؤر استيطانية فى قلب الضفة الغربية..؟!.

لقد عاد زعيم حزب العمل، "إيهود باراك"، وصرح بأنه تعلم درساً من أخطائه خلال فترة ولايته السابقة كرئيس حكومة ووزير دفاع. ولكن تعامله المتسامح مع منتهكى القانون من الإسرائيليين فى المناطق (الفلسطينية) يدل على أنه مُصر على تكرار هذا الخطأ الفادح. على أية حال، المسئولية العامة لعدم تنفيذ قرار إخلاء البؤر الاستيطانية تقع فى النهاية على عاتق رئيس الحكومة، "إيهود أولمرت"، وعلى الحكومة بأسرها.. ومن ثم، فإن كل يوم تبقى فيه البؤر الاستيطانية على حالها، لهو يوم آخر يخون فيه كل مسئول منصبه.

٢

رئيس واقعي في قصر الإليزيه

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/٨/٣٠

عبَّر أول ظهور دبلوماسي للرئيس الفرنسي الجديد، "نيكولا ساركوزي"، في خطابه أمام السفراء الأجانب في "باريس" يوم الاثنين عن التغيير الذي كان متوقعاً في السياسة الخارجية الفرنسية في نهاية حكم "جاك شيراك"، الذي استمر إثني عشر عاماً، حيث أظهر "ساركوزي" في خطابه، أنه يسعى إلى النأي بنفسه عن سابقه، والنأي بفرنسا عن قوى عظمى أخرى وعلى رأسها الولايات المتحدة.. ولكن الأمر الأهم في كلام "ساركوزي" فيما يخص إسرائيل هو جزمه بأن البرنامج النووي الإيراني هو المشكلة الرئيسية المدرجة اليوم على جدول الأعمال الدولي، فقد قال إن "إيران المتسلحة بسلاح نووي غير مقبولة"، ودعا إلى "إحراز تسوية سياسية وبسرعة تحول دون وقوع كارثة وجود قنبلة نووية إيرانية، أو كارثة ضرب إيران".

وقد تطابق تقدير "ساركوزي" للوضع مع موقف رئيس الحكومة "إيهود أولمرت"، ورفاقه في القيادة الإسرائيلية، الذين يدلون بتصريحات بروح مماثلة ويعرضون القنبلة الإيرانية بوصفها مشكلة دولية تستوجب حلاً دبلوماسياً عاجلاً.

بدا من كلام "ساركوزي" أنه يعترف بخطورة التهديد الإيراني ومستعد للوقوف في وجهه ولا يحاول إلقاء المشكلة على إسرائيل، وذلك في إشارة ضمنية للتصريح البائس لسابقه "شيراك" في نهاية ولايته، والذي قال أن القنبلة النووية الإيرانية "لن تكون خطرة جداً"، وأنه "إذا استخدمتها إيران ضد إسرائيل، فإنها ستمحى على الفور".. وهذا التصريح لشيراك قد أثار في إسرائيل مخاوف من حدوث تآكل في موقف فرنسا بشأن التسليم بوجود سلاح نووي في إيران، إلا أن هذه المخاوف هدأت بعض الشيء، حينما أوضح "ساركوزي" أن موقفه مغاير، بل وذهب بعيداً في حديثه عن إمكانية توجيه ضربة عسكرية لإيران إذا فشلت المفاوضات.. ولكن بعقلية موضوعية لا ينبغي تفسير كلامه على أنه تأييد لعملية عسكرية ضد إيران، وإنما على أنه تعبير عن حدة الأزمة وكتحذير علني لطهران، بأنه من الأفضل لها التوصل إلى حل سياسي.

لقد أثار انتخاب "ساركوزي" تطلعات في القدس نحو تغيير في السياسة الخارجية الفرنسية، سيتمثل في التقارب من واشنطن وفي تخفيف التوتر في علاقات إسرائيل والاتحاد الأوروبي. أعرب "ساركوزي" عن الالتزام بأمن إسرائيل، وأطلق حتى على قطاع غزة لقب "حماسستان"، ودعا إلى حل النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني والأزمات في لبنان، العراق وإيران "من أجل تجنب مواجهة بين الإسلام والغرب". كما عرض على سوريا "جزرة" الحوار إذا ما كفت عن تقويض الاستقرار في لبنان. وبذا، أبدى واقعية سياسية أكثر ملاءمة لإسرائيل من الموقف العقيدي لحكومات أخرى في أوروبا، وإن كان من المبكر أن نعرف كيف سيتبدل موقفه في صياغة العلاقات مع إسرائيل.

على أية حال، لا ينبغي أن نتوقع أن تحيد فرنسا عن معارضتها التقليدية للاحتلال، ولما تقوم به إسرائيل في المناطق (الفلسطينية)، وإن كان من المرجح ألا تقف على رأس منتقديها كما في الماضي.

٣

مساس جوهرى بالمثليين

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/٩/٥

بعد أن منعت الأحزاب "الحريدية" بنجاح كل محاولة للسماح بالزواج المدني، اتضح أن قدرتها على فرض تشريع تمييزي، وليس فقط منع تشريع تقدمي، لم تضعف. إن نية الحكومة فى إعادة سن قانون المواريث بالصيغة القديمة، التى تعترف فقط بالزوجين اللذين هما "رجل وامرأة"، وتتجاهل وجود أزواج من جنس واحد - وذلك بالمخالفة لتوصيات لجنة خبراء برئاسة القاضى "يعقوف تيركل"، وتجاهل أحكام قضائية تقدمية تتعلق بحقوق المثليين - إن هذه النية عمل لا ينبغى للكنيست أن يمد له يد العون.

وعلى الرغم من أن المستشار القانونى للحكومة يتعهد بأن شيئاً لن يتغير فى موقف الدولة تجاه الأزواج من جنس واحد، حتى إذا مر القانون التمييزي، فإنه لا يمكن الارتكان إلى مثل هذا التعهد، نظراً لأنه غير ملزم للمحاكم. وعلى الرغم من أن وزير العدل يفكر فى إضافة تفسير للقانون يخففه، فإنه لن يكون لهذا التفسير أى وزن قضائي، إذا ما ارتأى أحد القضاة أنه يتعارض بشكل صريح مع نص القانون.

يضر قانون المواريث الجديد بشكل جوهرى بحقوق الأزواج من نفس الجنس، وسيميزهم (للأسوأ) بالمقارنة بسائر السكان. ففى حين أن حقوق كل زوجين، متزوجين، أو معروف لدى الجمهور أنهما زوجان، محفوظة فى قانون المواريث، فإن حقوق الزوجين من نفس الجنس ستكون منوطة بالوصية وحسب. وفى ظل الواقع الذى لا يكتب فيه معظم الأشخاص وصية، فإن هذا تمييز فعلى (للأسوأ) لقطاع كامل. من الصعب أن نصدق بأن وزير العدل الذى تعود أصوله السياسية إلى حزب "شينوي" يمد يد العون لمثل هذا التشريع، مهما تكن تفسيراته.

فى عام ٢٠٠٤، وفى لحظة من لحظات التجلى بالمحكمة المركزية بالناصرة، قضى القاضيان "نيسيم ممان" و"جبريئلاه ليفي" بأغلبية، بأن المصطلح "رجل وامرأة"، الوارد فى قانون المواريث، يشتمل أيضاً على الأزواج من نفس الجنس. كانت الحالة المعروضة عليهما هى حالة أحد المثليين الذى عاش طوال ٤٠ عاماً مع زوج فى شقة اشتراها من شركة "عميدار". ومع وفاته، وفى ظل عدم وجود وصية أو ورثة آخرين، اعتزمت الدولة طرد الزوج من الشقة وتسليمها إلى الوصى العام. حكم قضاة الأغلبية فى الناصرة، بأن الزوج هو الوارث القانوني. استند حكم القضاة إلى أن الأمر يتعلق بقانون قديم، فى حين طرأت تغييرات بعيدة المدى، منذ تم سنه عام ١٩٦٥، على توصيف التعبير "زوج"، وهى تغييرات لم يأخذها المشرع فى اعتباره.

هذه الحجة لن يكون ممكناً ترديدها بعد أن يعيد الكنيست سن القانون بصيغته القديمة. من شأن الكلام المخفف الذى يردده المستشار القانونى للحكومة ووزير العدل أن يعمى أعين أعضاء الكنيست وأن يحول بينهم وبين الوقوف على مدى خطورة التشريع. يريد وزير العدل تمرير كود القوانين المدنى الذى من المفترض أن يكون قانون المواريث جزءاً منه، لكن الحل الوسط، الذى هو على استعداد للقيام به مع "شاس"، هو حل وسط يعيد الحقوق المكتسبة للمثليين عشرات السنوات إلى الوراء.

ينبغى إعادة كتابة قانون المواريث بروح توصيات اللجنة وينبغى استبدال التعبير "رجل وامرأة" بالتعبير "زوج".

٤

مَنْ الذى استحدث التهرب من الخدمة العسكرية..؟

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/٩/٩

لم تتغير بيانات التجنيد بجيش الدفاع الإسرائيلى بقدر كبير منذ سنوات، وتقع مسئولية أن نصف السكان تقريباً لا يتجندون، ليس على المرشحين للتجنيد، وإنما على الدولة التى تتراخى فى تجنيدهم. لقد نجح ساسة من جميع الأحزاب، من خلال حيل سياسية، طوال عمر سنوات الدولة، فى إعفاء "الحريديم" من التجنيد بشكل تام، متقبلين، بخنوع، زعمهم بأنه قد أنيط "بالحريديم" على وجه التحديد الدور التاريخى المتمثل فى إعادة ترميم اليهودية بعد المحرقة النازية، سواء من خلال التدريس المكثف للتوراة أو عبر إنجاب أطفال (تعد معدلات الإنجاب بين المتدينين هى الأعلى فى إسرائيل)، حتى أصبح العدد النسبى "للحريديم" بين السكان فى ازدياد طوال الوقت، وهو ما يفسر الزيادة فى نسبة الذين لا يتجندون بجيش الدفاع الإسرائيلي.. لذا، فإن مطاردة الفنانين المتهربين من الخدمة العسكرية ليست فى محلها.

لقد كان جيش الدفاع الإسرائيلى منذ الأزل انتقائياً فى التجنيد. ومن ثم، فمن المريح له أن يلقى بالتهمة على أولئك الذين رفضهم هو، بدلاً من أن يقول الحقيقة البسيطة، والتى مفادها أن من استحدث التهرب من الخدمة العسكرية هو الجيش ذاته. لا يمكن إعادة الزمن إلى الوراء إلى أيام النزاهة التى كانت فيها ثقة المواطن فى النوايا الطيبة للحكام كبيرة، حيث كان الاستعداد للتضحية بالحياة يتطابق مع مقدار الثقة.

فى الدولة غير القويمة التى نشأت هنا بعد احتلال امتد ٤٠ عاماً (يقصد المستعمرات التى نشأت بعد حرب ١٩٦٧)، فإن الرافضين الأيديولوجيين للخدمة العسكرية من اليساريين ليسوا على استعداد للدفاع بأجسادهم عن مستعمرات تبرأت حكومات إسرائيلية أيضاً منها، أما الرافضون اليمينيون فإنهم لا يريدون المشاركة فى تصفية المستعمرات، نظراً لأنهم تربوا على الإيمان بأهميتها. ولكن فى النهاية، هؤلاء وأولئك هم حفنة فقط، لا ينبغى أن يضر رفضهم بقوة جيش الدفاع الإسرائيلى.

أما الأمر الأكثر مدعاة للقلق والأوسع انتشاراً فهو الرفض المبهم للتجند من قبل العديد من الشباب الذين يشعرون بوجود فجوة بينهم وبين الدولة. هؤلاء يمتنعون أيضاً عن التصويت فى الانتخابات، وعن المساهمة فى أى نشاط عام آخر. لا يمكن إعادة ثقتهم فى الدولة بالتهديدات والعقوبات، وإنما بالسلوك الأكثر أخلاقية ومسئولية من جانب القيادة السياسية.. لذا، لم يكن فشل جيش الدفاع الإسرائيلى فى حرب لبنان الثانية نابعاً من النقص فى القوة البشرية المقاتلة، ولا أيضاً من غياب الدافع، إنما من إخفاق قيادى على المستوى العسكرى والسياسي.

لا مناص من الاستخلاص بأن حملة العلاقات العامة ضد التهرب من الخدمة العسكرية ليست إلا محاولة لإلقاء المسئولية على الجمهور بدلاً من زعمائه.. إذا كان جيش الدفاع الإسرائيلى يعد فى هذه الأيام بالفعل خطة لمحاربة التهرب من الخدمة العسكرية، وإذا كان أحد قد خطر بباله فعلاً أن يحرم المواطنين، الذين لم يتجندوا بالجيش، من الحصول على رخصة قيادة، أو العمل فى المجال الطبي، أو الغناء والعزف فى المناسبات الرسمية، ليضر بذلك بمصدر رزقهم، فإن الأمر يدل على حماقة مثيرة للقلق لدى القيادة العسكرية، من شأنها حتى أن تنحدر إلى تشريع مرفوض فى الكنيست.

ينبغى على الدولة أن تبذل قصارى جهدها فى تجنيد كل من هو مناسب للخدمة العسكرية، وأن تشجع الخدمة المدنية لكل من هو غير مناسب، وأن تكف عن الحملة الموسمية لمطاردة المتهربين، والتى لا معنى لها.

٥

نظرة واعية فى رأس السنة (العبرية)

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١٢

لا يوجد هدوء أمنى وليس من المتوقع أن يكون، ورغم ذلك تراءت للمواطن الإسرائيلي، الأسبوع الماضي، كل عناصر الخطر والأمل المحدقين به.. ورغم أن المهرجانات المليئة بالمواطنين فى أنحاء البلاد تدل على رغبة فى الحياة حياة طبيعية والهروب من الواقع، إلا أن فيها أيضاً قدراً لا بأس به من قهر الواقع والتضليل.

يبدى جيش الدفاع الإسرائيلى شواهد من العودة إلى نفسه وإلى قوة الردع المعهودة عنه، دون الانزلاق إلى عجرفة وثقة ذاتية مبالغ فيها. وإذا استمرت القيادة السياسية والعسكرية فى ضبطها للنفس ولم تتردد تصريحات متعجرفة، فسيكون من الممكن ربما الإعلان عن بداية عصر من الحصافة والحذر. إن تغيير المسئولين فى مكتبى رئاسة الأركان ووزير الدفاع هو ربما الإنجاز العسكرى الرئيسى للعام المنصرم، والمحادثات مع "محمود عباس" هى الإنجاز السياسي.

ثمة شك فى أنه كان سيتم استخلاص أى درس، لولا لجنة "فينوجراد"، سواء بسبب الاستخلاصات التى لم تنشر بعد أو بسبب تلك التى نشرت فى التقرير الجزئي. لقد تم رفض مظاهرات أفراد خدمة الاحتياط باشمئزاز، واستمر "إيهود أولمرت" فى عناده على أنه قد تحقق نصرٌ فى لبنان، وقذف بـ"دان حالوتس" و"عَمير بيرتس" إلى الخارج، فيما هما يشعران بالإهانة، وكأنهما قد أصابهما ظلم.

تحدث تقرير "فينوجراد" عن إخفاق وعن ضرورة استخلاص دروس منه، وتم توبيخ "أولمرت" بسبب افتقاده للتبصر وبسبب التخطيط السطحي والمعيب. هو لم ينجح فى أن يشرح للجمهور: لماذا عيَّن وزير دفاع غير مناسب بشكل جلى وخرج لحرب معه..؟ تم استخلاص الدرس ليس فقط فى مكتب رئيس الحكومة، وإنما أيضاً فى الأحزاب ولدى الجمهور، الذى رأى فى تعيين "بيرتس"، كوزير لم يأت من داخل الهيئة الأمنية، إمكانية لعصر مدنى جديد.

إلا أن العالم غارق جداً فى حروب دينية وإرهاب، وفى تطوير سلاح غير تقليدى فى الخفاء، و"بن لادن" يواصل بث شرائط مسجلة، رغم أن عشرات الآلاف من الجنود ينقبون عنه، بينما الوسائل المتقدمة فى التجسس وجمع المعلومات عاجزة عن منع المساس بالمدنيين واستخدامهم كميدان تجارب وكوقود للمدافع فى حروب لا أحد يدرك غايتها وكنهها.. كل واحد يُوصِّف محور الشر الخاص به، وأخياره وأشراره بشكل مختلف، لكن لا أحد يشك فى حقيقة أن الأمر يتعلق بعالم يتحول إلى عالم خطر من لحظة إلى أخرى. وعندما يصبح ممكناً أن يحصل شخص يتناول الطعام، فى مطعم "سوشي" (للأكلات اليابانية) بلندن، على سم نووى يقتله فى غضون بضعة أيام مع المعاناة من آلام، فإنه لا يمكن التوقف عن الدفاع عن الذات من الخطر.

يتشكل فى الشرق الأوسط معسكر من الدول المعتدلة، ربما يكون ضعيفاً، وربما يكون مؤقتاً، ولكن على إسرائيل أن تفعل كل ما فى وسعها من أجل ضم الدولة الفلسطينية إلى هذا المعسكر. فطالما أن "حماس" ترفض خيار الاعتراف بإسرائيل وتفضل البلاغة التى تقودها إيران، التى تتحدث عن تصفية الدولة الصهيونية، وطالما أن سوريا موجودة فى الجانب الإيرانى من المعادلة باختيارها وليست مكرهة، فإن على إسرائيل أن تتشبث بـ"عباس" بشكل قوى، وأن تبرهن على أنها مستعدة للتنازل لمن يقبل بوجودها ولديه استعداد للتعاون معها.

لذا، نقول إن المحادثات مع "عباس" هى الآن الضوء فى نهاية نفق معتم وخطر، ونموذج لما يمكن أن يكون عليه الشرق الأوسط ذات مرة فى عصر من التعقل.

٦

ما بين الانتشار والقنبلة

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١٦

صدّق مسئولون رفيعو المستوى فى وزارة الخارجية الأمريكية، نهاية هذا الأسبوع، على بعض من التفاصيل التى نشرت فى الصحافة بشأن العلاقة النووية بين كوريا الشمالية وسوريا. فقد تناول كل من وزيرة الخارجية، "كونداليزا رايس"، ونائب مساعد وزيرة الخارجية بالوكالة لشؤون سياسة الحد من انتشار التسلح النووي، "آندرو سيمل"، وبقدر ما أيضاً مساعد وزيرة الخارجية لشئون شرق آسيا، "كريستوفر هيل"، عبر مقابلات صحفية - جميعاً تناولوا التخوف من أن كوريا الشمالية تحاول تصدير معرفة أو مواد نووية لدول أجنبية.. وقد استشهدت "رايس"، فى هذا الصدد، بالرئيس "بوش"، الذى أعرب عن القلق من وجود "السلاح الأخطر" فى حوزة "الأشخاص الأخطر".

يأتى كبح انتشار السلاح النووى على رأس جدول أولويات "بوش"، إلى جانب أهداف أخرى إقليمية. صحيح أن الأمر كان كذلك بالنسبة للإدارات السابقة، إلا أن الخوف فى واشنطن، من تسرب قدرة نووية إلى دول مارقة، وإلى منظمات إرهابية، لا تتردد فى تنفيذ تفجير نووى داخل مدينة أمريكية، قد تزايد فى السنوات الست الأخيرة منذ تفجيرات ١١ سبتمبر.

من البديهى أن التطلع إلى إحباط مثل هذا التفجير فى قلب الوطن، يقض مضاجع "بوش" ورؤساء أجهزته الاستخبارية والأمنية، ولكن ليس هم وحسب الذين يكافحون من أجل وقف الانتشار النووي، فالانتشار النووى وباء يُعدى كل من يلمسه، سواء كانوا جيراناً أو كانوا ممن يريدون اكتساب مناعة ضد التهديد الكامن منه. وقد يئست الولايات المتحدة من إمكانية إقناع الهند وباكستان - اللتين لم توقعا على معاهدة منع الانتشار النووى - بنزع سلاحهما النووي، طالما أن النزاع بينهما حول كشمير مازال دائراً. فى مقابل ذلك، حققت الولايات المتحدة نجاحاً فى حصر قائمة الشراكة فى النادى النووى المعلن على الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن. وتخلت أربع دول - أوكرانيا وكازاخستان وجنوب أفريقيا وليبيا - عن قدراتها النووية، انطلاقاً من إدراك بأن فائدتها بالنسبة لها أقل من ثمنها.

توجد الآن على جدول الأعمال العالمى المسألة النووية الإيرانية، حيث تشتبه الولايات المتحدة فى أن نظام آية الله "خامنئي" والرئيس "أحمدى نجاد"، ينتوى الحصول على رؤوس حربية نووية للصواريخ أرض/أرض من سلسلة "شهاب" للآماد المختلفة - المتوسط الذى يصل إلى إسرائيل، وبعيد المدى الذى يصل إلى العواصم الأوروبية، والعابر للقارات الذى يهدد "واشنطن" ونيويورك. وإذا أصبح فى حوزة إيران قنبلة، فإنها يمكن أن تكون دولة إقليمية عظمى وأكثر حتى من ذلك، وسيصبح الخليج الفارسى برمته، وبمخزوناته النفطية، تحت رحمتها. وبقدر أقل، يكمن الخطر فى تزود كل دولة عربية أو إسلامية أخرى بسلاح نووي، خصوصاً إذا كانت معادية لإسرائيل.

وبالنظر إلى ما نُشر مؤخراً، فإنه إذا أصبح لسوريا سلاح نووي، فإنها تستطيع توفير مظلة لنفسها ولحزب الله، وإذا ارتقت الحكم فيها عناصر إسلامية متعصبة، فإنه من شأنهم هم أيضاً استخدام مثل هذا السلاح فى تفجير انتحارى لم ير العالم مثله حتى الآن.. لذا، نقول إن الجهد الأمريكى لوقف الانتشار النووي، سواء فى إيران أو فى علاقات كوريا الشمالية مع سوريا، يستحق الدعم، لأن البديل سيكون خطراً فعلياً قد يصل إلى حد تبادل ضربات نووية.



هناك من يتم تفتيشهم، وهناك من يتم تفتيشهم أكثر

افتتاحية هاآرتس ٢٠/٩/٢٠٠٧

يعرف كل مسافر عبر مطار بن جوريون المشهد: مسافرون عربٌ من مواطنى الدولة يتم تنحيتهم بشكل أوتوماتيكى جانباً لتفتيش أمني، بعضه مهين، ويستغرق ساعات فى بعض الأحيان.. وعلى ذلك، قررت "لجنة الدفاع عن الحريات"، المنبثقة عن لجنة المتابعة العليا لعرب إسرائيل، أول أمس، الشروع فى نضال، قد يصل إلى درجة مقاطعة السفر على رحلات شركة "العال"، التى يكون التفتيش فيها مشدداً بوجه خاص. هذا نضال مبرر ويجب أن نأمل، ألا تكتفى "العال"، المعروفة بحساسيتها تجاه المقاطعة من جانب جمهور من المسافرين - "الحريديم" على سبيل المثال - بإلقاء المسئولية على سلطة المطارات، وأن تعمل على تغيير وجه الأمور. لقد صدق المتحدثون العرب الذين قالوا إن "العال" فى نظرهم هى المسئولة تجاه زبائنها.

لا أحد يختلف على أن التفتيش الأمنى أمر حيوى لضمان سلامة الرحلات الجوية والمسافرين، ولكن ثمة طرقاً لتنفيذه بدون الطعن فى سمعة جمهور كامل، وكأن كل عربى هو مشتبه به إلى أن يثبت العكس. المشاهد فى المطارات الإسرائيلية، فى الرحلات الخارجية والداخلية، هى مشاهد لا تطاق فى بعض الأحيان، إذ يحظى مواطنون لا ترقى إليهم أدنى شبهة، باستثناء هويتهم القومية، بمعاملة مهينة، وفى بعض الأحيان يضطرون حتى إلى عدم اللحاق برحلتهم، حيث يتم عزل محاضرين جامعيين، وأطباء، ومحامين بل ومجرد مواطنين أبرياء، عن سائر المسافرين، بسبب كونهم عرباً، حيث يجتازون سلسلة من الإهانات. وعندما نطلب من عرب إسرائيل الولاء للدولة، فإن على الدولة أن تتذكر أسلوب تعاملها حيالهم، والذى تعد معاملتهم فى المطارات جزءاً منها.

لا يوجد سبب لتمييز عرب إسرائيل (للأسوأ) فى المطارات، كما فى كل مكان آخر. لا يستحق جمهور يبلغ قوامه نحو مليون فرد، لم تشترك الغالبية العظمى منه قط فى عملية إرهابية ضد الدولة، أن يكون مشتبهاً به سلفاً.. ولذا، فمن شأن مقاطعة منظمة من جانب المسافرين العرب، وهو إجراء تحاشوه حتى الآن، أن يكون سلاحهم الأخير نحو استعادة كرامتهم.

رد فعل المتحدث باسم "العال"، والذى يزعم بأن "كل المسافرين على رحلات الشركة يجتازون عمليات التفتيش"، هو رد ساذج. ففى الشركة يعرفون جيداً أن ثمة طرقاً مختلفة لاجتياز التفتيش، وأن كل مسافر عربى يحظى بمعاملة مختلفة عن المسافر اليهودي.

إذا اجتمع عرب إسرائيل على مقاطعة "العال"، فربما يدرك المسئولون فى الشركة، بعد فقدان سوق واسع من الزبائن، أنه لا يمكن الاستمرار فى الإجراءات الموجودة بدون دفع ثمن موجع لذلك. الأمر له مغزى أكبر من مجرد إدارة تشغيل الشركة، حيث يتعلق الأمر بوجه قبيح وزائد من التعامل مع عرب الدولة.

تتحمل "العال"، التى ما تزال تتشدق بلقب "شركة الطيران الوطنية" على الرغم من خصخصتها، طبقاً لذلك، مسئولية خاصة. ينبغى على الشركة التى تعلن عن نفسها من خلال الشعار "الإحساس بالوطن وأنت فى العالم" أن توفر شعوراً مماثلاً لكل مسافريها، يهوداً وعرب.

كل المسئولين عن تأمين الرحلات الجوية من وإلى إسرائيل - "العال"، وسلطة المطارات، وعناصر الأمن - مطالبون ببذل جهد عاجل من أجل إيجاد وسيلة مُثلى للتوفيق بين ضرورات الأمن والحفاظ على حقوق المواطن لعموم المسافرين. المشكلة أن مثل هذه الوسيلة متوافرة، لكنها للأسف البالغ غير مطبقة.



حرب الآباء ضد الأمهات

افتتاحية هآرتس ٢٠٠٧/٩/٢٤

حتى قبل أن تنجح النساء في تحقيق مساواة في الأجور، وقبل أن يتم العمل بالزواج المدني في إسرائيل، الذي لا يرتبط فيه الطلاق بإرادة الرجل فقط، وحتى قبل أن تتحقق مساواة حقيقية بين النساء والرجال في مجال ما، جلست لجنة خبراء وقررت التوصية بإلغاء "شريعة السن الغضة"، التي تحصل المرأة بمقتضاها بشكل أوتوماتيكي على حضانة الأبناء حتى سن السادسة في حالة الطلاق، إلا إذا كانت هناك أسباب خاصة لدى المحكمة لتقرر أمراً آخر.

يجب الافتراض، بأن نية الخبراء كانت حسنة ونبعت من الرغبة في تعزيز المساواة، إلا أن الأمر يتعلق لسوء الحظ بوضع العجلة أمام الحصان. القصص عن الآباء الذين يطبخون ويُحفّضون (يضعون الحفّاضات) ويلعبون في التراب مع أطفالهم بشكل ثابت، وليس فقط كحالة خاصة، قصص مؤثرة، لكنها ما تزال في حكم النوادر. الحجة القائلة، بأنه قد تم في أوروبا والولايات المتحدة إلغاء القانون الذي ينص على تسليم الطفل الغض أوتوماتيكياً إلى الأم، ربما تناسب الدول التي لا يُطلّق فيها الرجل المرأة، والتي يكون فيها الحصول على الطلاق موضوعاً بسيطاً وعادلاً.. أما في إسرائيل، فسيتحول النقاش القانوني حول حضانة الطفل إلى وسيلة ضغط جديدة على النساء الراغبات في الطلاق. الموقف القائل بأن الطفل حتى سن السادسة ينبغي أن يتربى مع أمه هو الممارسة المقبولة في العالم، حتى عندما لا يكون الأمر منصوصاً عليه في القانون. من الممكن القول، بأن هذا يحط بقدر معين من وضع الرجل المطلق، لكن انحطاط النساء ملموس في مجالات كثيرة من مجالات الحياة.

لقد تحددت صيغة القانون الذي ينص على حضانة السن الغضة قبل ٤٠ عاماً، ومن الممكن القول بأنها قد تقادمت. ولكن لسوء الحظ، لم يتغير أيضاً وضع اللامساواة بين الجنسين كثيراً خلال تلك السنوات. يكفي أن نرى بعض الرجال يحققون حقهم في الحصول على إجازة ولادة (١٥٠ يوماً في السنة)، ويتغيبون عن العمل عندما يمرض الطفل، ويعدون الواجبات المدرسية مع أطفالهم أو يصطحبونهم إلى رفاقهم، أو يذهبون إلى اجتماعات أولياء الأمور وإلى الأقسام، من أجل أن ندرك أن التوصية بتغيير القانون المتعلق بالحضانة قد سبقت أوانها.

يقول المحامي، "بني دون يحيى"، المتخصص في قضايا الأسرة، إن معظم الرجال المطلقين لا يريدون على الإطلاق تربية الطفل الغض، وإنما يزعمون فقط بأنهم يريدون تربيته من أجل تحقيق إنجازات في المداولات القضائية ومضايقة المرأة المطلقة. هناك بالطبع فئة قليلة تريد الحضانة لأسباب صادقة، وربما هم ينتمون حقاً إلى سلالة الآباء الجدد التي يتطلع المجتمع إلى وجودها. بشكل عام، يُطلب من موظفي الخدمة الاجتماعية تقديم تقرير مفصل إلى المحكمة فيما يتعلق بصالح الطفل، وهم يكتشفون بشكل غير مفاجئ، أن المرأة هي ولية الأمر الرئيسية في البيت، وأن صالح الطفل الغض في أن يتربى في معيتها.

لا يمكن بدء المساواة من النهاية. في مجتمع مثالي، يتشارك فيه الرجال والنساء بالتساوي في عبء البيت، والإعاشة والتعليم، يمكن إلغاء أيضاً التسليم الأوتوماتيكي للأطفال الصغار لحضانة الأم. حتى ذلك الوقت، من المحبذ ترك هذه الميزة الصغيرة للمرأة الإسرائيلية.

٩

عما قريب سيُتخذ قرار

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/٩/٢٧

سواء حصل رئيس الحكومة على تخفيض مؤثر عندما اشترى البيت القابع في شارع "كرميا" من عدمه، وسواء تم تقديم تخفيض ما كرشوة لقاء تسريع الحصول على تصاريح بناء في بلدية القدس، من عدمه، وسواء تبلور التحقيق إلى اتهام من عدمه - فإن من الصعب تقبل الفترة الطويلة بين القرار والآخر من جانب هيئات التحقيق والمدعين والمراقبين بفتور.

يثير قرار المستشار القانوني للحكومة بالأمر ببدء تحقيق جنائي في قضية البيت عدم رضاء حتى في الشرطة نظراً للوقت الذي فات. فلو أن الشبهات حُوِّلت إلى الشرطة للتحقيق فيها فور الكشف عنها، لكان الإجراء أكثر منطقية، على الرغم من أنه لا توجد ضمانة لأن يكون سريعاً. إنما تحقيق العدالة بهذا المعدل ليس من العدالة في شيء.

القضايا المتعلقة برئيس الحكومة ليست معقدة. إذا كان "إيهود أولمرت" قد أجرى تعيينات سياسية ممنوعة بحكم منصبه كوزير للتجارة والصناعة، وإذا كان قد جامل مستثمراً ما لأنه أتى إليه عن طريق صديقه المحامي "أوري ميسر"، فإنه قد مر وقت طويل منذ ذلك الوقت لبلورة قرار بأي شكل من الأشكال. أيضاً في قضية بيع بنك "ليئومي"، وهي الأكثر تعقيداً من حيث الشكل بسبب وجود المتورطين فيها خارج البلاد، فإن ثمة تعهداً كل أسبوع بأن المدعي العام، "عيران شنيدر"، سيتخذ عما قريب قراراً، حتى إن التأهب لقراره بات يشغل عناوين الصحف منذ شهور.

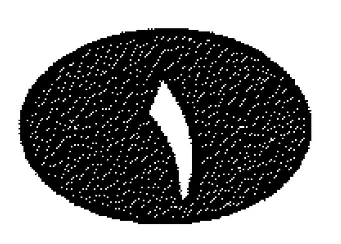
لم يشغل "إيهود أولمرت" منصبه ولا حتى للحظة واحدة بدون أن يكون في حكم مشتبه به في قضية ما، ولكن ليس هو أول رئيس حكومة تسير ولايته وهي تحت التحقيق. إذا كان هذا يثبت، أن حكم الشخصية الرفيعة كحكم كل مواطن - فإن هذا دليل على أن المواطن العادي أيضاً يعاني من تأخير لا يطاق في الحكم. ولكن إذا كانت في الحالة العادية تتردد الحجة القائلة بأن هناك عجزاً في أفراد التحقيق، وفي الادعاء وفي السلك القضائي، فإنه لا يمكن قول ذلك فيما يتعلق برئيس الحكومة، الذي تتجند الهيئة كلها للتحقيق في قضاياه.

إن الوقت الذي يمر لا يعرقل فقط تحقيق العدالة وإنقاذ الحكم، وإنما يجعل أيضاً من رئيس الحكومة شخصا يُنظر بريبة إلى كل قرار له على الصعيد السياسي أو الإداري وعلى أنه موبوء بمصالح أجنبية. وسواء قرر "أولمرت" القيام بهجوم فيما وراء الحدود أو بتقسيم القدس، فإنه سيكون هناك دائماً من يربط ذلك بالرغبة في التغطية على وضعه القانوني.

الاستخلاص الوحيد هو أن مسئولية ثقيلة لإدارة رشيدة للدولة تقع على كاهل سلطات فرض القانون، وعليها أن تعترف بأن الوقت هو عنصر مهم في عملها. ربما حان الوقت لاختيار رجل من خارج الهيئة لمنصب النائب العام، يقوم بإدخال إجراءات عمل جديدة ومنعشة في النيابة العامة.

◆ ترجمات عبرية ◆





إسرائيل - سوريا

ينبغى الاستعداد لاتخاذ قرار من الآن ■

يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٩/٦
بقلم: د. رونى برت (❖)

فى حالة اندلاع حرب ضد سوريا، سيتعين على إسرائيل أن تقرر ما إذا كان يجب أن تركز جهودها لمواجهة منظومة الصواريخ السورية التى تهدد الجبهة الداخلية، أم تركز جهودها لمواجهة الجيش السوري..؟.

ينبغى على الحكومة، وليس الجيش، أن تتخذ هذا القرار، لأن مهمة الجيش ليست فى اتخاذ قرار كهذا، وإنما وضع خطط الطوارئ وبرامج التسليح والتدريب. وهذا معناه إجبار الجيش الإسرائيلى على الاستعداد لهذين الخيارين.

والواقع أن هناك ثلاثة أسباب تستدعى ترجيح الخيار الأول (يقصد مواجهة منظومة الصواريخ السورية التى تهدد الجبهة الداخلية): الأول، أن دور الجيش هو الدفاع عن مواطنى الدولة، خاصة أن المئات منهم قد يقتلون أو يتعرضون لخطر حقيقى على ضوء عدد الصواريخ السورية ومداها. الثاني، أن نظرية الانتصار أو الهزيمة ستتحدد وفقاً لوضع الجبهة الداخلية الإسرائيلية. الثالث، أن منظومة الصواريخ التى قام الأسد الأب ببنائها، والتى قام الأسد الابن بتوسيعها، تعد القوة الضاربة للجيش السورى ويأمل الأسد أن يستطيع بواسطتها أن يحقق توازناً استراتيجياً فى مواجهة تفوق القوات البرية والجوية للجيش الإسرائيلي. لذلك، ينبغى أن تكون هذه القوة الاستراتيجية (الصواريخ السورية) الهدف الأساسى الذى يجب العمل ضده عن طريق منظومة صواريخ حيتس، وعن طريق قيام سلاح الطيران بمهاجمة أهداف محددة، وكذلك اختراق المروحيات الإسرائيلية عمق الأجواء السورية.

أما بالنسبة لاختيار البديل الثانى (مواجهة الجيش السوري) فسيكون لسبب مختلف، ألا وهو أنه لا يوجد سبيل لتدمير جميع الصواريخ، وبالتأكيد ليس المقصود هنا الصواريخ التى تهدد الجزء الشمالى من إسرائيل. ونظراً لأنه غالباً ما سيتبقى لسوريا قوة نسبية، لذلك فإن السبيل إلى وقف إطلاق النار هو حسم الحرب بالطريقة الكلاسيكية (احتلال الأرض وتدمير الجيش).. بهذه الطريقة وحدها ستتوقف سوريا عن إطلاق النار. إذن، ينبغى أن تتركز الجهود حول القيام بمناورة برية واختراق منظومة الدفاع السورية وضرب دمشق. ويعتبر احتلال الأرض علامة ملموسة وحقيقية على الانتصار، لذا يتعين على رئيس الأركان أن يتخذ القرارات التى من شأنها أن تنهى الحرب القادمة بشكل حاسم.

لا يتعلق الأمر بترجيح خيار على آخر، بل باتخاذ قرار بشأن نوع الجهد الأساسى الذى يجب أن يبذل.. ونظراً لأنه فى هذه الحرب لا يوجد خطر التعرض للهزيمة أو خطر على وجود الدولة، فإن الخيار الأول، ألا وهو الحفاظ على حياة المدنيين، هو الخيار الأفضل.. وعلى الرغم من ميل الجيش الإسرائيلى إلى العودة إلى النظام الأخلاقى، وفى الوقت نفسه رغبته فى إجراء مناورة حاسمة، ليس من الواضح ما إذا كان من الممكن بشكل عام "هزيمة" سوريا عن طريق احتلالها وتدميرها. فالجيش السورى مدرب على معارك الانسحاب والبقاء، وتتطلب منظومة الدفاع القوية الموجودة على حدود دمشق معركة اختراق طاحنة ستسفر عن الكثير من الضحايا، فى الوقت الذى ستكون فيه الجبهة الداخلية مازالت تتعرض للضرب. وحتى يمكن التعامل بشكل أكثر نجاعة مع منظومة الصواريخ قصيرة المدى، وإبعاد خطر

القوات البرية السورية، وتعميق الوعى بأن هناك إنجازاً، سيكون من الأفضل التقدم جهة الشرق لمسافة عشرة كيلومترات، واحتلال جبل الشيخ السوري.

ليس مطلوباً الآن بالضرورة اتخاذ قرار يجزم بصحة أى من الخيارين المطروحين، لكن المهم أن تستعد إسرائيل بدراسة الموضوع الآن وبعمق، حتى تكون قادرة، عندما يحين الوقت المناسب، على اتخاذ القرار الحاسم فى هذه القضية المعقدة والحساسة.

(*) كاتب المقال رئيس مكتب الولايات المتحدة فى معهد أبحاث الأمن القومي.

إيران للأسد: "سنساعد طالما تطلب الأمر"

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/٧
بقلم: يوآف شتيرن

"سوريا تدرس الطريقة التى سترد بها على الاختراق الجوى الإسرائيلى لسمائها".. هكذا صرح أمس وزير الإعلام السورى "محسن بلال".. وفى حديث لشبكة الجزيرة قال بلال: "سوريا تحتفظ لنفسها بالحق فى اختيار نوعية وطريقة وأسلوب الرد على الهجوم الإسرائيلي.. والقيادة السورية تدرس بشكل جاد كيفية الرد".

وفى مؤتمر صحفى عقده أمس نائب الرئيس السوري، فاروق الشرع، بالاشتراك مع رئيس الوزراء الإيطالي، رومانو برودي، قال الشرع رداً على سؤال مراسلة أخبار القناة الثانية بالتليفزيون الإسرائيلي، رينا متسليح، بشأن الرد السوري، إن الهدف من الهجوم الإسرائيلى هو إحداث حالة من التوتر وتبرير الحرب المستقبلية.

هذا، وقد أفادت وكالة الأنباء الإيرانية "إيرنا" بأن السفير الإيرانى لدى دمشق، محمد حسن أختري، اتصل أمس هاتفياً بعناصر أمنية سورية، وقال لها إن بلاده مستعدة لتوفير "كل أنواع المساعدة" التى تحتاجها سوريا.

ولم يخرج الرد السورى أمس عما كان مألوفاً خلال السنوات الأخيرة فى أعقاب غارات سلاح الجو الإسرائيلى فى سماء الدولة، وكذلك فى أعقاب الهجوم الإسرائيلى على معسكر تدريبات "عين الصاحب" قرب دمشق فى عام ٢٠٠٣، حيث كان الرد دعائياً، وتضمن مقابلات صحفية منحها وزير الإعلام لشبكة "الجزيرة" ومقابلات أخرى لمحللين سوريين يتعاونون مع شبكات تلفزيونية أخري.. والكثيرين منهم ألمحوا إلى أن سوريا لن ترد عسكرياً.

وقال المحلل السياسى السوري، د. فايز السايج، لقناة المنار التليفزيونية، إنه إذا تكرر الهجوم، ستقرر سوريا كيفية الرد حسب الظروف: "لا يمكن أن تنساق سوريا إلى معركة كهذه يُفرّض عليها فيها الزمان والمكان". وأضاف السايج أن إسرائيل تعرف جيداً أن "سوريا اليوم تختلف عن سوريا الأمس"، وتحديداً بعد حرب لبنان الثانية، محذراً زعماء إسرائيل ومطالباً إياهم بإعادة التفكير مرة أخرى فى الخطوات التى يتخذونها فى ضوء ما حدث خلال هذه الحرب.

هذا، ولم تعقب الدول العربية أمس على ما حدث فى سوريا. فمعظم هذه الدول تعيش هذا القدر أو ذاك من التوتر مع سوريا، وهذا هو أحد الأسباب التى تجعلها تتأخر فى تعقيبها. بالإضافة إلى أن الدول العربية تنتظر الحصول على معلومات جديدة ووافية حول ماهية الأحداث الجارية فى سوريا. أما روسيا، فمن جانبها نددت بالاعتداء الإسرائيلي. ففى بيان لوزارة الخارجية الروسية، جاء أن "اختراق المجال الجوي" لدولة ذات سيادة هو أمر غير مقبول يتعارض والقانون الدولي. وجاء فى البيان أيضاً أن إسرائيل مطالبة بالامتناع عن القيام بأنشطة مماثلة فى المستقبل، خاصة بسبب الاحتقان الشديد فى المنطقة.

كانت سوريا قد أعلنت عن الاعتداء الإسرائيلى على أراضيها أمس فى الساعة ١٤:٤٠، عن طريق بث بيان عبر وكالة الأنباء السورية الرسمية "سانا"، وكذلك عبر التليفزيون السوري. وجاء فى البيان أن سلاح الجو الإسرائيلى اخترق سماء سوريا من ناحية البحر المتوسط، وأغار على شمال الدولة، بعد منتصف الليل بقليل.

وقد جاء أن نيران المضادات الجوية التى أطلقت على الطائرات المشاركة فى الغارة أجبرتها على مغادرة أراضى الدولة، قبل "إلقاء القذائف" على الأراضى السورية. ولم يذكر البيان بالتفصيل كم طائرة شاركت فى اختراق سماء سوريا، كما لم يتم إيضاح ما إذا كانت الطائرات قد قصفت أم أنها ألقت فقط معداتها لتخفيف حمولتها فى الطريق إلى الخروج من سماء سوريا.

وقد أرجع بعض المحللين السوريين سبب التأخير فى الإعلان عن المعلومات إلى أن القيادة السورية -

السياسية والعسكرية - كان يتعين عليها دراسة اعتبارات كثيرة ومعقدة تتعلق بالتصريحات الإعلامية والرد الواجب على الدولة. وقال أمس رئيس مركز الأبحاث الاستراتيجية في دمشق، د. عماد فوزى شعيبي، أن القيادة كان يجب عليها دراسة عدة اعتبارات قبل اختيار الأسلوب السليم. وأضاف أن ما فعلته إسرائيل يعد بمثابة اختبار لقوة سوريا العسكرية وقدراتها: "إسرائيل تستخدم القوة لاختبار مدى قوة سوريا.. لقد فعلت ذلك أيضاً في الماضي".

كما طرح محللون عسكريون في وسائل الإعلام العربية احتمالات أخرى بشأن الهدف من الطلعات الجوية. ويرى بعضهم أن إسرائيل تسعى إلى إيجاد مسارات طيران في قلب سوريا لا يرصدها الرادار السوري. وربما تكون إسرائيل قد استهدفت القيام بالغارة الجوية قرب الحدود التركية، لكي تبعث برسالة إلى أنقرة ودمشق بأنها لا تريد إحراز تقدم في المسيرة السلمية (على اعتبار أن تركيا سبق أن عرضت وساطة بين إسرائيل وسوريا).

بيريس يدير مفاوضات سرية مع سوريا

بقلم: عومر كرمون
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/٩/٧

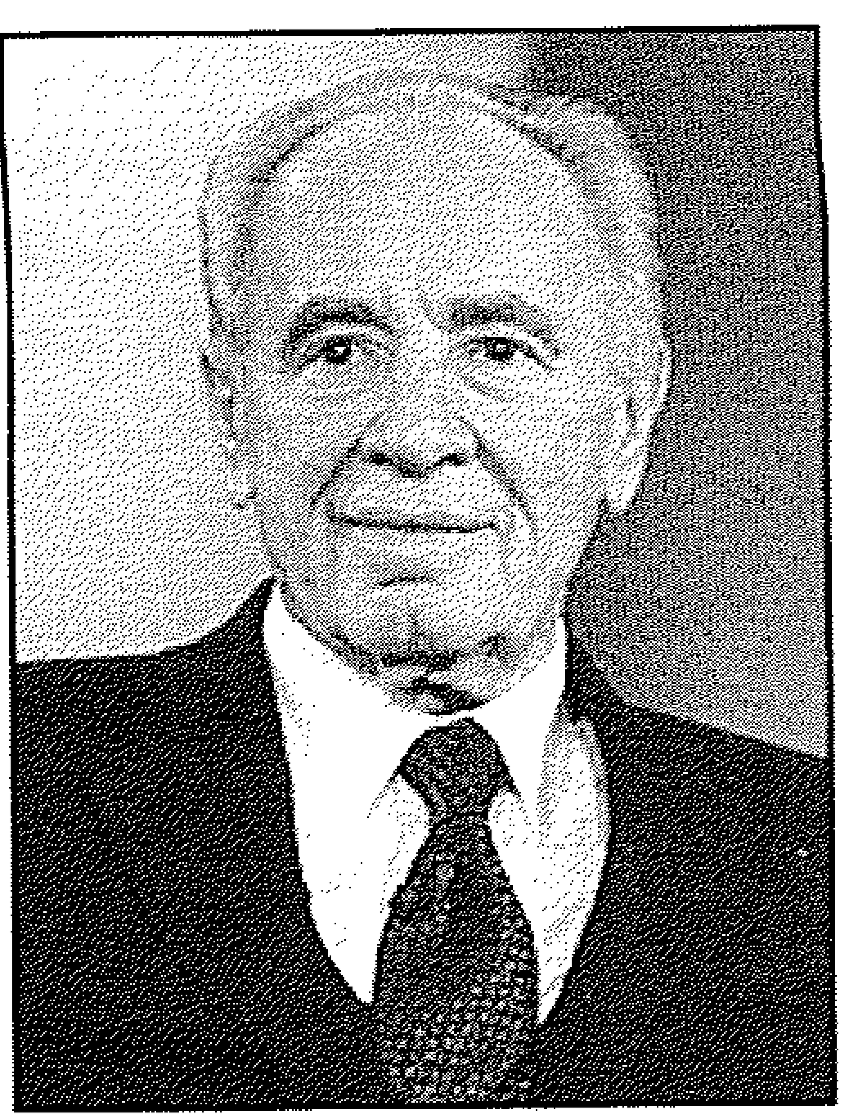
نقلت صحيفة "هيرالد تريبيون" البريطانية عن محللين سوريين قولهم إن الطلعة التى نفذتها المقاتلات الإسرائيلية شمالي شرق سوريا كان هدفها إفشال المباحثات السرية التى يديرها الرئيس الإسرائيلى "شمعون بيريس" فى روما مع نائب الرئيس السورى "فاروق الشرع" ورئيس الوزراء اللبنانى "فؤاد السنيورة".

ويشيرون فى سوريا إلى أن الطائرات الإسرائيلية كانت تحلق على ارتفاع منخفض وكسرت حاجز الصوت، وهو ما يؤكد، حسب قولهم، إن هذه العملية لم تكن لأغراض استخباراتية أو هجومية، وإنما لمجرد الاستفزاز والتحرش بهدف إهانة دمشق واستعراض مدى قدرة إسرائيل على اختراق منظومات الدفاع الجوى السورية بسهولة.

على الجانب الآخر، ينفى المسئولون فى القدس هذه الأنباء، ويقولون "لا علم لنا بوجود مثل هذه المحادثات السرية".

❖ المبادرتين الأوروبية والعربية:

تشير التقديرات إلى أن الرئيس الإسرائيلى يحاول



دفع المبادرتين، الأوروبية والعربية، لدعوة سوريا ولبنان لحضور مؤتمر السلام الدولي، الذى تعتزم الولايات المتحدة عقده فى الخريف المقبل. فى حين يرفض الأمريكيون مشاركة سوريا فى المؤتمر قبل أن تستجيب للمطالب الأمريكية فيما يتعلق بالمسألة العراقية.

كما طالب وزراء الخارجية العرب فى ختام اجتماعهم بالقاهرة، يوم الأربعاء الماضى (٢٠٠٧/٩/٥)، بدعوة سوريا ولبنان لحضور مؤتمر السلام الدولي. وقد وجه مستشار النمسا دعوة مشابهة خلال زيارته للقدس يوم الثلاثاء الماضي.

❖ "استفزاز إسرائيلي":

فى ختام لقائه بنظيره الإيطالي، قال وزير الخارجية السوري، فاروق الشرع، إن "تسلل المقاتلات الإسرائيلية يعد استفزازا إسرائيليا يثبت زيف الادعاءات الإسرائيلية بأنها تريد تهدئة الوضع.. إن إسرائيل راغبة فى تصعيد الوضع من أجل عرقلة عملية السلام".

نتنياهو هنأ أولمرت على العملية فى سوريا

معاريف ٢٠٠٧/٩/١٩
بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

خالف رئيس الليكود، بنيامين نتنياهو، سياسة الصمت الرسمية الإسرائيلية تجاه الأنباء حول اختراق طائرات سلاح الجو الإسرائيلى للأجواء السورية.. ففى تصريح أدلى به، مساء أمس، للقناة الأولى الإسرائيلية، قال نتنياهو إنه عندما يقوم رئيس حكومة بأمور مهمة وضرورية لدولة إسرائيل، فإننى أقدم له الدعم المطلوب. وقد أضاف نتنياهو: "كنت مطلعاً على هذه العملية منذ الوهلة الأولى ولازال من السابق لأوانه مناقشة هذه المسألة. لم يحن الوقت بعد لتقديم التهاني.. ولكنى هنأت أولمرت بشكل شخصي".

جاءت تصريحات نتنياهو بعد الأسابيع الأخيرة التى حرصت خلالها القيادة الإسرائيلية على عدم التطرق مباشرة لما حدث فى سوريا قبل نحو أسبوعين.

من جانبه، وقبل ثلاثة أيام، تطرق أولمرت لأول مرة للشأن السوري، وطلب إنهاء حالة التوتر التى نشأت فى الأشهر الأخيرة، بين إسرائيل وسوريا، عن طريق إرسال رسالة سلام للزعيم السوري.

وخلال لقاء مع ممثلى الصحافة الناطقة بالروسية فى إسرائيل، قبل ثلاثة أيام، قال أولمرت: "إننى أحترم



الزعيم السوري، وأود أن أجرى معه مفاوضات سلام بلا شروط مسبقة".. ومع ذلك، رفض طلب الصحفيين بالتطرق مباشرة إلى العملية التى تنسب للجيش الإسرائيلى فى شمال سوريا.

لم تقنع تصريحات أولمرت القيادة السورية، حيث سارعوا بالرد.. ففى مقال افتتاحى بصحيفة "تشرين" السورية الحكومية وصفوا بالأمس أولمرت كمن يحاول أن يبدو كحمامة سلام، بينما هو فى الحقيقة "ذئب حرب".

كما كتب عصام داري، رئيس تحرير صحيفة "تشرين"، يقول: "إسرائيل ترفض التطرق لتفاصيل العملية غير المشروعة التى نفذتها طائراتها الحربية منتهكة المجال الجوى السوري، ورغم ذلك، تتحدث - على لسان رئيس حكومتها إيهود أولمرت - عن سلام مع سوريا بلا شروط مسبقة".

ويرى دارى أن تصريحات رئيس حكومة إسرائيل المتسامحة تجاه دمشق ليست إلا مجرد تغطية (على العملية السابقة). وكتب يقول: "هكذا يرتدى أولمرت لباس حمامة السلام، لكنه نسى أن يخلع مخالب وأنياب ذئب الحرب".

حول العملية الإسرائيلية في سوريا

بقلم: د. حانان رايخ (*)
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/٩/١٩

في الأسبوع الماضي، بينما كان شعب إسرائيل منشغل بالاستعدادات الأخيرة لاستقبال السنة العبرية الجديدة، قصفت الطائرات المقاتلة الإسرائيلية أهداف مجهولة في سوريا. وفي حين رفض المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي التعليق على هذه الأنباء، أعلن الجيش السوري أن قواته أطلقت النيران على طائرات تابعة للجيش الإسرائيلي قصفت أهدافاً في بلاده على حد زعمه. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الرد السياسي السوري كان منضبطاً، فرغم أن دمشق أرسلت خطاب احتجاج للأمين العام للأمم المتحدة، إلا أنها لم تطالب بعقد جلسة لمجلس الأمن.

وفي ظل غياب المعلومات الكاملة عن هذه العملية، أسبابها ونتائجها، فلا غرابة في انتشار شائعات كثيرة فوراً في وسائل الإعلام. وقد ذكرت مراسلة "سي. إن. إن"، كريستيان أمنبور، أن طائرات الجيش الإسرائيلي هاجمت قافلة أسلحة كانت في طريقها من إيران لحزب الله، تم نقلها عبر الأراضي السورية. كما زعمت أن قوات برية إسرائيلية شاركت في الهجوم.

في المقابل، أفادت صحيفة "واشنطن بوست" أن الهدف من القصف كان منشآت اشتبهت إسرائيل في أنها تحتوي على مواد نووية سلمتها كوريا الشمالية لسوريا.

وقد ذكرت مصادر في حلف شمال الأطلسي (الناتو) أن غارات طائرات سلاح الجو الإسرائيلي كانت تهدف لإرسال رسالة تحذير لسوريا، وليس للتسبب في ضرر كبير أو إشعال نار الحرب، وكانت بمثابة إعلان للسوريين بأن إسرائيل على علم بجهود سوريا لتطوير منظومة صواريخ محطتها النهائية ستكون حزب الله. وحسب ما أوردته تلك المصادر، فإن الطائرات أطلقت أربعة صواريخ على المنطقة التي ترجح إسرائيل أنها تضم منشآت لتطوير وصنع الصواريخ. في تلك المنشآت يوجد خبراء إيرانيون وكوريون شماليون. وأضافت المصادر أنه ربما كانت إسرائيل ترغب في دراسة مدى فاعلية منظومة الدفاع الجوي الروسية التي سلمتها روسيا لسوريا مؤخراً.

كما ذكرت صحيفة الكويت أن عناصر استخباراتية تركية ساعدت الجيش الإسرائيلي في الهجوم على الأراضي السورية، دون إبلاغ الحكومة التركية. كما زعمت الصحيفة أن طائرات مقاتلة إسرائيلية اخترقت الأجواء التركية بعلم الجيش التركي، وذلك من أجل نقل رسالة للحكومة الإسلامية التركية، برئاسة رجب طيب أردوغان، مفادها أن إسرائيل بالتعاون مع الجيش التركي، معقل العلمانية في البلاد، لا ينظرون بتهاون للتسامح التركي حيال نقل أسلحة من إيران إلى سوريا ولبنان عبر تركيا.

وقد أكدت وزارة الخارجية الأمريكية أن دمشق أقامت علاقات سرية مع موردين من أجل الحصول على مواد نووية. وفي إطار تلك العلاقات، زار دمشق وفد من كوريا الشمالية. ربما تكون العلاقة بين سوريا وكوريا الشمالية جزءاً من شبكة أقامها العالم النووي الباكستاني عبد القدير خان. وتجدر الإشارة إلى أن كوريا الشمالية هي الدولة غير الإسلامية الوحيدة التي أدانت إسرائيل.

ومن جانبها، قالت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس أن الولايات المتحدة تشعر بالقلق إزاء انتشار أسلحة الدمار الشامل، وأضافت أنه "ينبغي انتهاج سياسة تحول دون امتلاك الأشخاص الأكثر خطراً في العالم لأخطر سلاح، وهذا ما نفعله الآن".

تجدر الإشارة إلى أن العلاقات الإسرائيلية السورية تشهد توتراً منذ اليوم الأول لإقامة دولة إسرائيل. ففي مايو ١٩٤٨، هاجم الجيش السوري أراضي دولة إسرائيل واحتل مناطق تسيمح، ومتسادا، وشاعر هجولان (بوابة الجولان)، لكن تم صد هذا الهجوم بعد مرور شهرين. كانت سوريا هي الدولة العربية الأخيرة التي وقعت مع إسرائيل على اتفاق وقف إطلاق نار في يوليو ١٩٤٩ . وكانت الفترة بين حرب الاستقلال (حرب ٤٨) وحرب الأيام الستة (حرب ٦٧) مليئة بحوادث إطلاق نار خطيرة، بما في ذلك قصف بلدات على امتداد الحدود المشتركة، وإطلاق النار على سفن الصيد في بحيرة طبريا. ونتيجة لذلك، احتلت إسرائيل في حرب الأيام الستة (حرب ٦٧) هضبة الجولان.

وفي حرب عيد الغفران (حرب أكتوبر ١٩٧٣)، هاجم الجيش السوري هضبة الجولان ونجح في السيطرة على أجزاء منها لعدة أيام، غير أن قوات الجيش الإسرائيلي احتلت تلك المناطق قبل انتهاء الحرب، كما سيطرت على مناطق في العمق السوري. في مايو ١٩٧٤، تم توقيع اتفاقية فصل القوات بين إسرائيل وسوريا وتم نشر قوات الأمم المتحدة بين الجيشين. وفي ديسمبر ١٩٨١، أقر الكنيست قانون هضبة الجولان الذي ضم الهضبة لإسرائيل.

في سبتمبر ١٩٩٤، أعلن رئيس الحكومة الإسرائيلي الراحل "إسحاق رابين" أن إسرائيل ستكون على استعداد للانسحاب من هضبة الجولان مقابل اتفاقية سلام سورية - إسرائيلية. ولكن المفاوضات بين الجانبين دخلت في نفق مسدود بعد الخلاف بين الجانبين (الإسرائيلي - السوري) فيما يتعلق بالوضع النهائي للحدود، والترتيبات الأمنية التي سيتم اتخاذها بعد الانسحاب الإسرائيلي.

كما أجرى رئيسا الحكومة الإسرائيليين اللذين خلفا رابين، بنيامين نتنياهو وإيهود باراك، اتصالات علنية وسرية مع السوريين، لكنهما لم ينجحا في إنهاء مسألة الحدود والسيطرة على مياه بحيرة طبريا.

(*) كاتب المقال أستاذ كبير في قسم العلوم السياسية في أكاديمية عيمق يزراعئيل، وباحث في مركز دراسات الثقافة اليهودية بجامعة موناش في ملبورن - أستراليا.



الشأن الفلسطيني

خمسة أطفال فى أسبوع

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/٨/٣١

قُتل ثلاثة أطفال فلسطينيين أول أمس فى شمال قطاع غزة بنيران جيش الدفاع الإسرائيلي. الثلاثة أبناء عمومة من أسرة "الغزالة" - يحيى ابن الثانية عشرة، محمود ابن العاشرة، وسارة ابنة العاشرة.. رد فعل الجمهور الإسرائيلى على مقتل الثلاثة، كما كان على مقتل طفلين آخرين قبل ذلك ببضعة أيام بنيران جيش الدفاع الإسرائيلي، هو "لامبالاة شبه مطلقة"، وكأن الأمر يتعلق بقوة عليا، أو بثمن منطقى يوازن الإحباط من الإطلاق المستمر لصواريخ القسام.

هذه اللامبالاة خطرة، لأنها تشجع على عدم توخى جيش الدفاع الإسرائيلى للمزيد من الحذر فى تحديد الأهداف. لا يدل رد الفعل الأوتوماتيكى من الأسف الذى يعرب عنه المتحدثون باسم الحكومة، خاصة مقولة أن "المنظمات الإرهابية ترسل أطفالاً بشكل متعمد إلى الأماكن التى تمثل أهدافاً للهجوم" - لا يدل على محاولة لاستخلاص الدروس من الأخطاء. وهذه الدلالة تكون أكثر وضوحاً عندما يتم إطلاق النار من البداية على مناطق مأهولة بمدنيين، ويكون الخطر معروفاً. لا تستطيع إسرائيل التصرف كمنظمة إرهابية توجه النيران إلى أهداف مدنية، ولا حتى عندما يتعلق الأمر برد على إطلاق نار، خاصة أن هذا هو السبب الرئيسى الذى يحدو بإسرائيل لأن تشجع على مقاطعة "حماس" فى العالم كله.

لا خلاف على أن الأطفال الذين قُتلوا كانوا يطوفون بالقرب من راجمات صواريخ، إلا أن من يطوفون بالقرب من هذه الراجمات هم فى النهاية مدنيون وليسوا من يقومون بتشغيلها. يتم تشغيل راجمات القسام من على بعد، ثم يتم إرسال آخرين بعد ذلك، بمن فيهم أطفال أيضاً، لجمع الراجمات لإعادة استخدامها. وعلى الرغم من أن الفلسطينيين يزعمون بأنه ليس فى مقدور الأطفال رفع مثل هذه الراجمة بسبب ثقلها، فإن المسئولين فى جيش الدفاع الإسرائيلى يرون غير ذلك، فمن وجهة نظرهم أن الراجمة خفيفة والمقذوف ثقيل، ولذا فإن عملية جمع الراجمات يمكن أن يقوم بها الأطفال أيضاً.

تسيطر "حماس" بشكل كامل على عمليات إطلاق (صواريخ) القسام صوب "سديروت" والبلدات المحيطة بغزة، ولا يمكن أن ننسبه إلى عصابات منفلتة مثلما كان فى الماضي.. صحيح أن "حماس" تقوم باستخدام منظمات أخرى كمقاولين من الباطن، وتوفر لها الصواريخ، بينما تقوم هى نفسها بالعمل الأكثر "احتراماً"، والمتمثل فى المساس بأهداف عسكرية، إلا أنها فى النهاية تسيطر على العملية برمتها.

أمام هذا الإطلاق المستمر (للصواريخ)، الذى لا توجد أى شواهد على ضعفه، على الرغم من النشاط البرى وتصفية النشطاء من الجو، فإن جيش الدفاع الإسرائيلى لا يملك أية وسيلة أثبتت ذاتها لإجهاض هذا الإطلاق. إن تصفية مطلقى الصواريخ هو عمل "سيزيفي" (عبثي)، لأنه لا يوجد نقص بهم، وفى الوقت نفسه ليست هناك جدوى من المساس بهم. ومن المؤكد أن قتل الأطفال الفلسطينيين لا يضيف أمناً لأطفال "سديروت"، وإنما يزيد فقط من غريزة الانتقام، ومن الرغبة فى الإضرار بأطفال الطرف الثاني.

ربما كان من الممكن أن يدرك الفلسطينيون أن وقف الإطلاق أكثر جدوى لهم لو أنهم لاحظوا وجود فجوة حقيقية بين تعامل إسرائيل مع الفلسطينيين فى الضفة وتعاملها مع المقيمين فى غزة، ولو اتضح لهم أنه فى المكان الذى يوجد فيه إرهاب أقل، فإن معاملة إسرائيل

للسكان تكون محسوبة أكثر. صحيح أنه توجد شواهد فى الضفة على حدوث تغيير فى المناخ - إنقاذ الضابط الإسرائيلى على يد قوات فلسطينية من عملية تنكيل هو تعبير عن ذلك - لكن الكلام عن تسهيلات فى الحياة اليومية عن طريق تقليل عدد الحواجز هو حتى الآن مجرد تصريحات فارغة.

مطلوب لوثر كينج فلسطيني

بقلم: مولي بيلج (❖)
يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٨/٣١

الزيارة التي يقوم بها إلى إسرائيل "مارتن لوثر كينج الثالث" - الابن الأكبر لزعيم حركة الحقوق المدنية الأمريكية الذي أغتيل قبل أربعة عقود في ممفيس بالولايات المتحدة - تعيد إلى الأذهان فكرة الاحتجاج بلا عنف.

ومستلهماً التأثير الروحي للمهاتما غاندي وزعامته في الهند، ركز الدكتور كينج الأب على مبدأ "اللاعنف" باعتباره تكتيكاً واستراتيجية لتعزيز نضال السود من أجل الحصول على المساواة في بلادهم. وكان السبب الرئيسي لنجاح النضال هو طريقة إدارته المواظبة والمستمرة إزاء العنف الفظ والمنهجي. وقد نجح أسلوب اللاعنف نجاحا ساحقا، وغيَّر للأبد التاريخ في الولايات المتحدة وفي العالم بأسره. وأصبحت هذه السابقة - التي تشبه الثورة الفرنسية قبل قرنين من ذلك التاريخ - رمزا له تبعات آنية ومستقبلية على النضال السياسي في أماكن متفرقة من العالم.

ولكن خلافا للثورة الفرنسية - التي غرست فكرة أن الحرية والمساواة لا يمكن نيلهما إلا بالعنف - كانت رسالة مارتن لوثر كينج ورفاقه مختلفة تماما: المجتمع العادل لا يمكن أن ينمو إلا من خلال نضال غير عنيف. فالعنف - حتى لو كان ناتجا عن أسباب حقيقية أو عن ضائقة فعلية - يؤدي بالتبعية إلى عنف مضاد ويكرس مزيداً من الألم والمعاناة.

يحتاج الفلسطينيون اليوم، أكثر من أي شعب آخر في العالم، إلى محاكاة هذا النموذج. فلو فعلوا ذلك مع الاحتلال الإسرائيلي، لكان يمكن الافتراض أن أعداداً غفيرة من الإسرائيليين - ممن سئموا انتهاكات حقوق الإنسان والسيطرة على شعب آخر - كانوا سينضمون إليهم، ولأصبحت لديهم دولة مستقلة منذ أمد طويل.. إن العنف الفلسطيني المتواصل، سواء في طابعه العفوي والشعبي للانتفاضة الأولى أو من خلال الإرهاب الدامي الذي لا يميز، أطالا في عمر البؤس الفلسطيني وعملا على تكريسه.. وحقيقة أن كثيراً من الفلسطينيين ينبذون العنف ويدركون أن نتائجه ستكون مدمرة بالنسبة لهم، لا تغير من الأمر شيئا: فمنذ بداية الصراع، كان الأسلوب العنيف والقمعي هو المسيطر. وحتى بالنسبة للإسرائيليين، فإن أسلوب اللاعنف كان أسلوبا غريبا عليهم، أسلوب غير مقبول ومحل سخرية واستهجان من مجتمع اعتاد العنف والبطش والاستفزاز منذ وجوده على سطح البسيطة.

وهنا تكمن مأساة الصراع: اللاعنف هو المفتاح لتغيير الوضع الذي يخسر فيه الطرفان يوميا. والتغيير لن يحدث إلى أن يتم تبنى هذا النهج. غير أن هذا النموذج يعاني من الصورة الخاطئة المأخوذة عنه، والنابعة أساساً من عدم فهم لماهية الظاهرة، مفاده أن "اللاعنف نهجا متساهلا عديم الجدوى". غير أن الواقع عكس ذلك تماما، فالطالب الأعزل الذي يقف أمام طابور من الدبابات في ساحة تيانانمين في الصين، وجموع الطلاب التي تقف أمام بنادق الجنود في شوارع أوكرانيا، والدكتور كنيج نفسه الذي كان يسير منتصب القامة أمام الجمهور المعادي في ولاية جورجيا - كل هؤلاء ليسوا نماذج ضعف، وإنما أمثلة للقوة والعزيمة.

❖ العنف كوظيفة:

إن الانسياق وراء العنف ومحاكاة سلوك الجانب الآخر مثله كالتنازل عن المبادئ والمواثيق الدولية والاستسلام لقوانين اللعبة التي يمليها الجانب الآخر، كما أن العنف ينبع في أحوال كثيرة من اليأس، وفقدان الصواب، وعدم وجود خيارات أخرى. أما اللاعنف فهو متعدد الصور ويتيح العديد من الخيارات، وهو أيضا رمز للجدوى السياسية: فبعد ٣٨١ يوماً من إضراب سائقي الحافلات في مدينة مونتجُمري بولاية ألاباما، رضخت شركة الحافلات وسمحت بجلوس الركاب السود في أي مكان بالحافلة. كما نجح الأمر نفسه في المطاعم والمقاهي، رغم الضرب والإهانات الفظة. وفي النهاية أدى اللاعنف إلى إلغاء قوانين التمييز العنصرية بكافة أشكالها وصورها.

ولكن رغم المزايا الواضحة لنهج اللاعنف، ورغم التجارب التاريخية المتراكمة لأهميته، فإن تبني هذا النهج

في منطقتنا ليس بالأمر اليسير، إذ إن كثيراً من الفلسطينيين والإسرائيليين بنوا تاريخهم المهني على العنف المتبادل، وطوروا هويتهم الخاصة، وحياتهم وانتمائهم القومي، على أساس النظرة إلى الآخر كعنيف.. وبالطبع هذا التصور السلبي والشيطاني المأخوذ عن العدو تطور بسبب الاحتلال من جهة، والإرهاب من جهة أخرى. واللاعنف حينما يأتي الآن فكأنه يهدد هذا الوضع، الذي بُني وحُصِّن طوال سنوات. فكم إسرائيلي، على سبيل المثال، يعرفون "المنظمة الفلسطينية للاعنف والديموقراطية"، والتي تقوم بأنشطة متعددة في المدارس والمؤسسات العامة..؟! من المؤكد أنهم ليسوا كثيرين، لأن معرفتهم بمنظمة كهذه تُحدث شرخا في التصور الجماعي المأخوذ عن الفلسطينيين كمجتمع عنيف.. ولا شك أن هناك نماذج مماثلة موجودة أيضا لدى الجانب الآخر - وعلى ذلك، ومرة أخرى، سنجد أنفسنا حبيسين حالة التناظر البائسة للصراع.

ولكن إذا عدنا ثانية إلى أكبر ثورين عرفهما التاريخ - ماكسيميليان روبسبيير ومارتن لوثر كينج - لسألناهما السؤال التالي: بماذا أتت الثورة الفرنسية، باستثناء الإدراك بأن عصر الحكم المطلق قد ولى، وأن المساواة والحرية أصبحتا ثمة العصر..؟! الإجابة: أنها أتت بالعنف كأداة لتحقيق الأهداف. وبماذا عاد علينا العنف في القرن العشرين..؟ لقد عاد علينا بسلب المساواة والحرية من أناس كثيرين جدا، بالإضافة إلى حصد أرواح كثيرين غيرهم.

هذه الوسائل المفزعة لا يمكن أن تكون مقدسة لتحقيق أي هدف.. ومن ثم، إذا أحسن الفلسطينيون والإسرائيليون بالتعلم من عِبر التاريخ، فلِزاما عليهما أن يتبنيا ويشجعا فورا نهج اللاعنف.

(*) كاتب المقال أستاذ الاتصال السياسي في كلية نتانيا.

إزاء سديروت وغزة

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/٩/٦

تتعرض بلدات النقب الغربى إلى هجوم بصواريخ القسام للسنة السابعة على التوالي.. وينبع عجز إسرائيل عن إحباط الهجمات من التخوف من أن تبوء أية عملية عسكرية تقوم بها داخل غزة، التى انسحب منها جيش الدفاع الإسرائيلى قبل عامين، بالفشل، ومن أن يصاب العديد من الجنود، وكذلك من وقوع ضحايا بين الفلسطينيين، ومن أن يتلاشى التفهم الدولى للضرورات الدفاعية الإسرائيلية، ومن أن يتضح فى نهاية الحملة العسكرية أنه قد تحققت هدنة فقط، استعداداً للمعركة القادمة بين إسرائيل والمنظمات التى تستخدم ضدها وسائل مختلفة، ليست فقط بالضرورة تكون صواريخ.

تصدر من حين لآخر، وبقوة، هذا الأسبوع، انطلاقاً من المحنة التى تعيشها الحكومة الإسرائيلية، اقتراحات يائسة، أحدها هو ما يوصى به الوزير "حاييم رامون"، وبشكل أكثر تحفظاً وزير الدفاع "إيهود باراك"، بالإضرار بمنظومتى الكهرباء والماء الخاصتين بغزة، حيث يزعم أصحاب هذا الاقتراح أن الماء والكهرباء هما وسيلة عقابية موجعة، لكنها غير قاتلة، وأن الهدف منها هو دفع السكان إلى الضغط على "حماس" و"الجهاد الإسلامي" كى تكفا عن إطلاق الصواريخ.

ولكن هذه الفكرة فى حقيقة الأمر هى محض هراء. فمن الناحية الواقعية، قطع المياه والكهرباء يمكن أن يكون قاتلاً، فضلاً عن أنه لا يوجد أى برهان على أن التسبب فى معاناة السكان الفلسطينيين سيثير شفقة "حماس" عليهم ويؤدى إلى وقف إطلاق الصواريخ.. إن ما يُطرح ليس مجدياً وغير أخلاقي وغير قانوني.

من الصعب أن نصدق أن أناساً جادين يتحدثون أولاً ثم يتشاورون مع القانونيين بعد الفعل، رغم أنهم يدركون جيداً أنه ليس ثمة فرصة للحصول على ترخيص قانونى بالإضرار المتعمد بسكان غزة فى عصر يتم فيه اتهام دول وضباط ووزراء فى لاهاى بجرائم حرب.

إن التملق إلى الجمهور لن يحل مشكلة صواريخ القسام ولن يحمى أطفال "سديروت".. يتعين على الحكومة أن تنقل الدراسة من البلدات التى تتعرض لضربات القسام إلى أماكن أبعد - وهو ما كان مطلوباً أن تفعله فى كل الأحوال أثناء القيام بحملة عسكرية كبيرة ضد صواريخ القسام - وأن تحذر سلطات "حماس" فى غزة من أنهم إذا لم يتحملوا مسئوليتهم ويضعوا حداً للنشاط ضد إسرائيل انطلاقاً من داخل القطاع، فإن إسرائيل ستشن معركة ضد كل من يكيدون لها هناك فى الموعد الذى تختاره وبدون مراعاة للوسائل التى قد تستخدمها وقد تضر بالمدنيين.

كيف نتصرف إزاء ما يحدث في غزة..؟

بقلم: د. تشلو روزنبرج (❖)
المصدر: www.omedia.co.il
٢٠٠٧/٩/١٠

يتسبب الإطلاق المتواصل لصواريخ القسام على سديروت وبلدات النقب الغربي، والعجز الحقيقي في التصدي لها، في قدر كبير من الارتباك بين القادة، كما يتسبب في بلبلة ولامبالاة من جانب الجمهور. وفي خضم الضائقة الحقيقية التي يعيشها الجميع. يتم الإدلاء بتصريحات جوفاء، كما تطرح حلول لا معنى لها.

لا يوجد أي مجال للمقارنة بين صواريخ القسام، وما حدث في لبنان. فعلى الرغم من جميع إخفاقات هذه الحرب، إلا أن حزب الله خرج منها ضعيفاً. وصحيح أن إسرائيل لم تظهر كامل قوتها في هذه الحرب، لكن الفرق بين غزة ولبنان يكمن في أن حزب الله كان يتوارى خلف نهر الليطاني، وتفصل بين إسرائيل ولبنان قوة دولية ضخمة، والأهم من ذلك أن الهدوء عاد مرة أخرى، ولم يتم إطلاق النار على القرى الشمالية، وهذا في حد ذاته أمر جيد.. أما غزة فهي منطقة مشاع، ومن يحاول أن يقارن بين غزة ولبنان يكون مخطئاً في أحسن الأحوال، ويكون قد تعرض للتضليل في أسوأ الأحوال، لأن حركة حماس لم تسيطر بهذه السهولة على غزة.. ينبغي أن نشير إلى أن إسرائيل هي التي سمحت بذلك، وبموافقة زعماء السلطة الفلسطينية الذين وافقوا على إجراء انتخابات حرة، والتي كانت نتيجتها معروفة للجميع. وعلاوة على ذلك، هناك من يزعم أن قيادات حركة حماس لا يكترثون بتاتاً للسكان الذين يعانون، إلا أن هذه المزاعم تتجاهل الحقيقة الأساسية ألا وهي أن سكان غزة هم الذين جعلوا حماس تتولى السلطة، وذلك بناء على نتائج الانتخابات البرلمانية.

إذن كيف يمكننا أن نتصرف..؟ الأمر الذي يدعو للقلق هو أن إسرائيل المعروفة بقدراتها على "الابتكار" والإبداع والقيام بمفاجآت، لم تعد كذلك. وفي هذه الأوضاع المعقدة، ينبغي على القيادة السياسية والعسكرية أن تمهد الطريق، وأن تكرس جميع الطاقات البشرية لتنفيذ خطة تقدم في النهاية بارقة أمل لإنهاء الكابوس الذي يعيشه الجنوب، أو على الأقل الحد من أضراره بشكل واضح. وفي هذه الحالة، لا يجب أن نخشى القيام بإجراءات خارجة عن المألوف إذا كنا على قناعة بأن نتائجها ستحسن الوضع.

هل نفرض عليهم عقوبة جماعية..؟! في إمكاننا أن نفعل ذلك ونتركهم بدون كهرباء أو نقطع عنهم المياه، إلا أن هذه حلولاً خيالية، وبالتالي لا يمكن تطبيقها. ولكن في مقابل ذلك، تدمير البنى التحتية التي يستخدمها الإرهاب إجراء متاح ويمكن تنفيذه.. ولكن ينبغي بداية دراسة الأهداف جيداً، وبعد ذلك ضربها دون خوف أو تردد.. كما ينبغي أن يتحول محور فيلادلفي إلى نقطة مراقبة صارمة، فينبغي أن تكون أية حركة لشاحنات مدنية هدفاً دائماً لإسرائيل يتعين عليها المساس به. وهذا أمر من السهل تنفيذه إذا أردنا أن نحول بأي ثمن دون القيام بعمليات تهريب الأسلحة. وحتى موضوع الأنفاق يبدو أنه يمكن معالجته بصورة أكثر نجاعة، فينبغي دراسة جميع الاحتمالات بهدف إيجاد وسيلة لجعل هذه الأنفاق تنهار فوق رؤوس الذين يقومون باستخدامها. وينبغي على سكان قطاع غزة أن يعرفوا أن أي اقتراب من محور فيلادلفي سينتهي بالموت. وعلى الرغم من أن هذا الحل لن يحول تماماً دون القيام بعمليات تخريبية، إلا أنه سيحد منها بصورة كبيرة.

كما ينبغي أن تكون قيادات حركة حماس والمنظمات الأخرى أهدافاً للضرب بشكل مستمر دون توقف. كذلك ينبغي أن تكون منازل كبار المخربين أهدافاً، وأن يصبح منزل المخرب بمثابة فخ للموت بالنسبة له. لا يجب أن ننتظر حتى يتم إطلاق صواريخ القسام. إن سياسة ضبط النفس لن تجدي نفعاً، ولكن سياسة الهجوم المتواصل دون إعطاء المخربين فرصة للراحة من شأنها أن تساعد في الحد من إطلاق صواريخ القسام.

والأهم من ذلك أنه يتعين على إسرائيل أن تسعى لإقامة شريط أمني يتوغل داخل غزة لمسافة عشرة كيلومترات .. ومن غير المستبعد القيام بعملية عسكرية في سبيل تحقيق هذا الهدف وتنقية المنطقة من المخربين. وحتى يحدث هذا، يتعين على إسرائيل أن تهيئ الرأي العام العالمي لذلك، وأن تعد الحكومات الأجنبية للمساعدة في تحقيق هذا الهدف. ولن يكون هذا بمثابة أمر جديد، بل عودة إلى طريقة المناطق منزوعة السلاح، كما حدث في منطقة جنوب لبنان. ويمكن للقوات الدولية أن تكون الخط الفاصل الذي سيحول دون الاقتراب من الحدود مع إسرائيل وإطلاق صواريخ القسام.

❖ ينبغي التركيز على إجراء محادثات مع أبو مازن: حتى يمكن تطبيق التوصيات السابقة الذكر، ينبغي

التسليم بحقيقة أن أبو مازن لا يمكن أن يفرض سيطرته مرة أخرى على غزة. وسوف يصاب بخيبة الأمل كل من يعتقد أن هناك إمكانية للتوصل معه إلى تسويات بشأن قطاع غزة. والسبيل الوحيد لمساعدة أبو مازن هو قطع الاتصال بين غزة ويهودا والسامرة (الضفة الغربية)، لأن انعزال غزة سيجعل الفلسطينيين يعيدون التفكير، وسيدرك الكثير منهم أن العمليات، على غرار إطلاق صواريخ القسام، لن تسفر سوى عن أضرار لا يمكن تجنبها.

إن من يفكر مجرد التفكير في العودة إلى غزة واحتلالها بأكملها، فإنه لا يفعل شيئاً سوى ذر الرماد فى الأعين. فمن الناحية العسكرية، يمكن القيام بذلك، ولكن من الناحية العملية لا يجب على إسرائيل أن تحاول أن تقوم بدور "حارس غزة" وألا تكترث بالسكان هناك.

وإلى جانب القيام بعملية فى غزة، ينبغى على إسرائيل أن تواصل المباحثات السياسية التى تقوم بها من أجل التوصل إلى تسويات بشأن يهودا والسامرة (الضفة الغربية). صحيح أنه لا يمكن التأكد من مدى قدرة أبو مازن على الوفاء بما يُطلب منه، إلا أنه الزعيم الآن الذى ينبغى إجراء حوار معه. ولكن على أية حال، لا يجب أن نغض الطرف إزاء كل ما يحدث فى الضفة الغربية، حتى لا نفاجأ، كما حدث فى الكثير من المرات، بما سيخلقه الواقع الجديد.

(*) كاتب المقال مؤرخ وخبير فى الأمن القومي.

حكم حماس

بقلم: يونى بن مناحم
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/٩/١٠

تعتبر استقالة غازى حمد، المتحدث الرسمى باسم رئيس حكومة حماس المقالة، إسماعيل هنية، بسبب خلافات فى الرأى حول سياسة حركة حماس مع فتح، وحول الخطوات التى اتخذتها حماس بموجب كونها المسيطر على قطاع غزة - تعتبر أبلغ دليل على الأزمات التى تعيش فيها الحركة بعد مرور أشهر على سيطرتها العسكرية على قطاع غزة.

فى البداية شعر الفلسطينيون بالخوف من أن تقيم حركة حماس "إمارة إسلامية" فى القطاع ونظام حكم شبيه بنظام حكم طالبان في أفغانستان.. صحيح أن حماس تؤجل هذه النية مؤقتاً، إلا أنه سرعان ما اتضح أن حماس التى تأثرت "بنشوة النصر" تستغل القوة التى تمتلكها فى الانتقام من أبناء شعبها، حتى نجحت فى هدم صورتها فى نظر الفلسطينيين والعالم.

يحاول قياديو حماس الزعم بأن تراجع شعبيتهم فى الشارع الفلسطينى يرجع إلى الحصار الاقتصادى الذى تفرضه إسرائيل على القطاع، ووقف الكهرباء، وغلق المعابر واستمرار المقاطعة الدولية من جانب الرباعية الدولية. غير أن استطلاعات الرأى الفلسطينية وانطباعات الزوار الأجانب فى غزة تفيد بأن أسباب ذلك مختلفة تماماً. فالجمهور الغزاوي، الذى سئم فساد حركة فتح، بدأ يكتشف أن نظام حماس أيضاً يتبنى معايير فاسدة وسمات الحكم الديكتاتوري. وقد تحولت القوة الشرطية الخاصة التابعة لحماس، التى تعرف باسم "القوة التنفيذية"، إلى قوة القمع الرئيسية لحكم حماس ومصدر الكراهية من جانب سكان القطاع. فهذه القوة تقوم بمداهمات للمنازل، واعتقالات، وأعمال تمشيط يومية وتمس بحرية وحقوق المواطنين. حتى حفلات الزفاف والمناسبات العائلية السارة تمكنت هذه القوة من إفسادها بحجج مختلفة.

وقد رصدت الصحافة الفلسطينية الصادرة فى رام الله، نهاية الأسبوع الماضي، ممارسات "القوة التنفيذية" التابعة لحركة حماس، من إطلاق النار على آلاف المتظاهرين المنتمين لفتح خلال صلاة الجمعة فى قطاع غزة، إلى الاعتداء الجسدى على الصحفيين الفلسطينيين الذين يحاولون تغطية عمليات ناشطى حماس.. كما بدأت الصحافة الفلسطينية فى تشبيه ممارسات حماس بممارسات "الاحتلال الإسرائيلي"، الأمر الذى يوضح مدى الكراهية الشديدة التى تمكنت حركة حماس من تأجيجها، بأفعالها ضد نفسها.. وأول أمس، نشر موفق مطر، الصحفى الفلسطيني، مقالاً في صحيفة "الحياة الجديدة"، ذكر فيه أن نحو ١٩٠ سجيناً فلسطينياً توفوا فى السجون الإسرائيلية خلال سنوات الاحتلال الإسرائيلى الأربعين، بينما قتلت حركة حماس خلال ٤ أيام، سيطرت خلالها على قطاع غزة، ٦٩٠ فلسطينياً، ولازالت تواصل أعمال القتل واعتقال آلاف من أبناء الشعب الفلسطيني.

وقد انبرت حكومة سلام فياض فى رام الله للدفاع عن الصحفيين الذين تعرضوا للاعتداء من جانب أفراد حركة حماس. ومن جانبه، ذكر رياض المالكي، وزير

الإعلام، أن الحكومة متضامنة مع الصحفيين المتضررين، فى حين نظمت نقابة الصحفيين الفلسطينية مظاهرة ضخمة فى رام الله.. يُذكر أن حركة حماس تتحدث بصوتين، فمن جهة، أعلن رئيس الوزراء المقال إسماعيل هنية أن الحركة لن تمس بحرية التعبير، ومن جهة أخرى، بات التنكيل بالصحفيين فى غزة أمراً يومياً وروتينياً.

كما فقدت حركة حماس الكثير من صورتها المأخوذة لدى سكان غزة بأنها حركة تناضل ضد إسرائيل، بعد أن أوقفت إطلاق صواريخ القسام على إسرائيل واكتفت فقط بقذائف الهاون، كما أوقفت حركة حماس العمليات الانتحارية داخل إسرائيل، وتحافظ على نوع من "الهدنة"، مع محاولة التوصل مع إسرائيل إلى صفقة للإفراج عن مئات السجناء الفلسطينيين مقابل الجندى المختطف جلعاد شاليط. وأكبر هدية، فى نظر الكثير من الفلسطينيين، قدمتها حركة حماس لإسرائيل، كانت قيام عناصرها بإطلاق النار على أبناء شعبها المنتمين لحركة فتح، وهكذا حققت حركة حماس، فى رأى الكثير من الفلسطينيين، الأمل الإسرائيلى فى اندلاع حرب أهلية فى قطاع غزة.

مع ذلك، فإن تراجع شعبية حماس فى الشارع الفلسطينى يُعرِّض إسرائيل للخطر. وتقدر مصادر استخباراتية إسرائيلية أن الإحباط بين صفوف حركة حماس يرجع إلى أنها لا تحظى بشرعية دولية أو حتى بشرعية داخلية فلسطينية كافية، وهو ما قد يدفعها للقيام بعمليات إرهابية ضد إسرائيل. كما أن العزلة السياسية وتحييد حركة حماس فى المفاوضات بشأن التسوية الدائمة واجتماع "المؤتمر الدولي" تزيد من حدة مواقفها. وإذا أضفنا إلى ذلك تطلعات إيران وسوريا، التى تستضيف قيادة حماس فى دمشق، لإجهاض فرص التوصل لتسوية سياسية إسرائيلية قريبة، فإننا بصدد موجة عنف ستقودها هذه المرة حركة حماس.

يوهان.. رجل السلام

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١١
بقلم: عكيفا إلدار

لو أن البروفيسور يوهان جالتونج، داعية السلام النرويجي، ابن السادسة والسبعين عاما، قد دُعى لمقابلة رئيس الوزراء إيهود أولمرت أو وزير الدفاع إيهود باراك، لكان قد قال لهما إنه حتماً يوما ما، عندما تيأس الولايات المتحدة من الصراع الإسرائيلى العربي، ستضطر إسرائيل للبحث عن حلول غير عسكرية.

ولكن جالتونج - الذى زار إسرائيل الأسبوع الماضى (للمرة السادسة والثلاثين)، كضيف على منتدى الشباب الإسرائيلى للتعاون (YIFC) ومنظمة "شتيل" (❖) - اكتفى باجتماع وجيز مع نائب رئيس الوزراء حاييم رامون. وأثناء هذا الاجتماع، كرر يوهان الفكرة التى سبق أن طرحها فى حديثه مع هاآرتس: إقامة جماعة شرق أوسطية، أى كونفدرالية بين إسرائيل وجيرانها الخمسة: سوريا، لبنان، الأردن، مصر وفلسطين.

يقول يوهان، الذى كتب ما يزيد عن ألف مقال بشأن الوساطة فى مجال منع العنف وتصعيد الصراع: "فقط كونفدرالية كهذه ستمكّن إسرائيل من العيش فى حدود آمنة والحفاظ على طابعها اليهودي.. وقبل الشروع فى إقامة جماعة كهذه، من الجدير التعلم من نموذج الجماعة الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية".

ولكن يوهان يطور هذا النموذج، ويقترح أنه، إلى جانب عضويتها فى كونفدرالية إقليمية، يجب أن تنضم إسرائيل إلى الاتحاد الأوروبي، فى حين يصبح جيرانها جزءا من الجماعة الإسلامية المتحدة (الاسم الذى يقترحه يوهان).. والواقع أن الحلول المبتكرة لجالتونج فى كل ما يتعلق بالتسويات السلمية لا مثيل لها، فهو يقترح بدلاً من نقل العرب وإخلاء المستعمرات، تبنى النموذج السويسري: كانتونات يهودية فى فلسطين وكانتونات عربية فى إسرائيل.

جديرٌ بالذكر أن جالتونج لعب دوراً محورياً فى أكثر من ٤٥ نزاعاً دولياً ومحلياً، بما فى ذلك النزاع بين الكوريتين (الشمالية والجنوبية)، وكذلك الأزمة التى شهدتها الدنمارك فى أعقاب نشر الرسوم الكاريكاتيرية للنبى محمد.

ووفقا لجالتونج، فإن حديقة السلام على الحدود بين بيرو والإكوادور تعد مثالاً لحل مبتكر قابل للتطبيق، ويقول: "الحلول الوسط عادة ما تترك الجانبين خائبا الأمل. حديقة السلام هى الحل الذى يلبى احتياجات الطرفين ويخلق واقعا جديدا. فبمرور الوقت، جعل الشريكان من الحديقة منطقة تجارية حرة، وانضمت الحكومات إلى مبادرة المواطنين لتطوير المكان".

وفى المقابل، فإنه يرى اتفاق أوسلو - الذى وُلد فى المدينة التى أسس فيها جالتونج المعهد الدولى لبحوث السلام قبل ٤٨ عاماً - وصفة أكيدة للفشل. ويقول: "عملية أوسلو لم تكن عملية سلام حقيقية، وإنما مجرد إجراء مختصر بين حركة فتح وحزب العمل الإسرائيلي. وعندما همشت أوسلو قوى أخرى، مثل الليكود وحماس، كان واضحا أن هذه القوى ستعارض المسيرة وستحاول

تخريبها". وحسب قوله، فإن السلام الحقيقي يتطلب عملية إحصاء دقيقة لجميع اللاعبين الفاعلين في النزاع، وتحديد أهدافهم، وتشخيص السبل للتقريب بين الرغبات المختلفة. وحتى اليوم، عشية مؤتمر السلام في واشنطن، لا يتم أي شيء من ذلك. وهذا هو السبب في أن جالتونج لا يؤمن بأن مؤتمر نوفمبر سيسفر عن نتائج كبيرة.

يقترح جالتونج ثلاث طرق لمعالجة حل النزاع: البدء بالصعب، أي من القضايا الشائكة والصعبة؛ أو البدء من الهامش، أي من القضايا الأسهل إلى الأصعب؛ أو الانطلاق في الوقت نفسه على كل المسارات. ولو أنهم سألوا جالتونج، لأوصى بالخيار الأول، أي صياغة إعلان مبادئ لا يطرح حلولاً سوى للمشاكل الجوهرية بين إسرائيل والفلسطينيين.. وهو يقترح أيضاً جهوداً موازية عبر القنوات الأخرى، وتحديدا القناة السورية.

كما ينتقد جالتونج طريقة إدارة المفاوضات، ويقول إنه قبل شروع القادة في التفاوض، ينبغي أن تكون هناك مرحلة سابقة يقوم فيها الوسيط بدور حاسم، ويجتمع على حدة بكل طرف من الأطراف ويدير معهم حواراً جاداً، وذلك قبل أن يخوضوا في صراعات القوى المرتبطة بالمفاوضات نفسها، لأن هذه، وفقاً له، هي المرحلة التي تتضح فيها احتياجات الأطراف وتظهر فيها أفكار إبداعية.

يرى جالتونج أن قوة حماس تتزايد في المجتمع الفلسطيني، على خلفية أفول نجم النخب القديمة، ويحذر من أن هناك احتمالا بأن تسيطر حماس على الضفة الغربية في غضون خمس سنوات. ويتساءل عن القوة المقابلة التي ستظهر في صفوف المجتمع الإسرائيلي. ويأمل الوسيط العجوز في أن تكون هذه القوة من الشباب، ويقول: "الشباب أكثر إصغاءً وأكثر انفتاحاً فكرياً. لديهم الرغبة في تقديم أفكار مبتكرة، تختلف عن أفكار رؤسائهم، وذلك لكي يشقوا لأنفسهم مسارات بديلة".

الغرض الرئيسي من زيارة جالتونج لإسرائيل هو تدريب الفنيين الشباب. في حلقة عمل مشتركة جمعت ٣٠ إسرائيلياً وفلسطينياً، حث جالتونج المشاركين على عدم ترك مصيرهم في أيدي القيادات السياسية القائمة، وشجعهم على البدء في صياغة المستقبل الذي يريدونه لأنفسهم في حقبة ما بعد الصراع، والبدء من الآن في خلق الواقع الذي يريدون العيش فيه.

ويشكو الضيف النرويجي قائلاً: "إسرائيل تعاني من نقص كبير في أبحاث ودراسات السلام. إنكم تبذلون جهودا مضنية في تسوية النزاعات وإدارتها، دون أن تشغلون بشكل كافي بالدراسات والأبحاث عن عصر السلام. عليكم أن تستعيدوا الإيمان بالسلام وأن تظهروا للجمهور أن هناك فائدة من هذا السلام. مثلما لجيل الشباب دور، فإن وسائل الإعلام لها دور أيضاً في هذا الصدد. يجب أن تخصصوا مجالا أكثر لأنشطة المنظمات السلامية، بدلا من الانشغال بالجوانب العنيفة من العلاقات بين الشعبين.. التوازن الصحيح ليس بين تقارير العنف الإسرائيلي والعنف الفلسطيني، بل بين السلام والعنف".

(❖) شتيل: جمعية ذات صفة قانونية مسجلة، مهمتها تدعيم وتقديم المشورة لجمعيات التغيير الاجتماعي الناشئة، سعياً لتحقيق المزيد من العدل الاجتماعي والديموقراطية والمساواة والحقوق وحماية البيئة. تأسست "شتيل" عام ١٩٨٢، بمبادرة من صندوق إسرائيل الجديد ولا تزال تموّل في ميزانيتها الجارية من هذا الصندوق، وإن كانت تحصل على الدعم المالي لمشاريع وأنشطة فيها من صناديق مانحة عديدة خارج إسرائيل.

مكتب رئيس الوزراء مهتم بوثيقة "بيلين - أبو مازن"

بقلم:
ألوف بن وآفي يسخروف
وباراك رافيد
هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١١

طلب مكتب رئيس الوزراء "إيهود أولمرت" مؤخرا من رئيس ميريتس عضو الكنيست "يوسي بيلين" تسليمه "وثيقة بيلين - أبو مازن" التي أعدت عام ١٩٩٥، وهي الوثيقة التي كانت قد حاولت رسم إطار لتسوية دائمة إسرائيلية - فلسطينية. ومن المحتمل أن يكون أولمرت ومساعدوه سعوا إلى دراسة تاريخ المفاوضات، أو معرفة ما الذي وافق عليه محمود عباس (أبو مازن) في الماضي، ومحاولة استغلال ذلك كتمهيد للمحادثات الحالية.

وقد التقى أولمرت وعباس أمس مرة أخرى في منزل رئيس الوزراء في القدس، وأعلنا في ختام اللقاء عن تشكيل فريقين لصياغة التفاهمات، التي سيعرضانها على مؤتمر السلام (اللقاء الدولي المزمع عقده في نوفمبر المقبل)، الذي دعا إليه الرئيس الأمريكي جورج

بوش. وحسب بيان مكتب رئيس الوزراء، سيعمل الفريقان على دفع "نبوءة الدولتين". ويشارك في الفريق الإسرائيلي مساعدا أولمرت يورام تريوفيتش وشالوم ترجمان، ومندوبان عن وزارتي الدفاع والخارجية. أما الفريق الفلسطيني فيضم رئيس الفريق المفاوض في منظمة التحرير الفلسطينية صائب عريقات، ورئيس مكتب عباس "رفيق الحسيني". وقد وافق أولمرت على إطلاق سراح سجناء فلسطينيين آخرين كبادرة طيبة بمناسبة شهر رمضان.

وكانت "وثيقة بيلين - أبو مازن" قد تم بحثها سرا بين بيلين، الذي كان في حينه نائب وزير الخارجية، وعباس الذي كان في حينه نائبا لياسر عرفات في منظمة التحرير الفلسطينية. وقد جرت محادثاتهما بالتوازي مع المفاوضات الرسمية على الاتفاق الانتقالي (أوسلو ب)، وتم الانتهاء منها قبل أربعة أيام من اغتيال يتسحاق رابين.

وكانت الوثيقة أول محاولة لشخصيات رسمية من الجانبين لاقتراح إطار لتسوية شاملة، ولكن رئيس الوزراء شمعون بيريس، الذي خلف رابين، رفض اقتراح بيلين للانتقال من الوثيقة إلى المفاوضات على التسوية الدائمة. ولم توقع الوثيقة، بل وتنكر لها عباس، إلا أنه أكد تأييده لها في حديث له مع مسئول أمريكي كبير بعد مرور عدة سنوات.

وكان بيلين وعباس قد اتفقا عام ١٩٩٥ على أن تبقى كل المستعمرات في الدولة الفلسطينية، على أن يبقى المستعمرون على جنسياتهم الإسرائيلية ولكن يخضعون للسيادة الفلسطينية ولحكم القانون الفلسطيني.. وربما مثل هذه التسوية، إذا ما تم إقرارها في المستقبل، كانت ستوفر على إسرائيل إخلاء المستعمرات في الضفة، مثلما فعلت في قطاع غزة.

كما جاء في وثيقة بيلين - أبو مازن أن اللاجئين الفلسطينيين سيمارسون حق العودة إلى الدولة الفلسطينية، ويتم تقسيم القدس إداريا، في ظل تأجيل حسم مسألة السيادة على المدينة، على أن تضمن مبدئياً أن يكون رئيس البلدية يهودياً.

وفي الجزء الأول من لقاء أولمرت وعباس أمس، والذي خصِّص كالمعتاد لمناقشة الشئون المشتركة، شارك لأول مرة رئيس الوزراء الفلسطيني، سلام فياض، والذي عرض الخطة الأمنية، التي تمت بلورتها بمساعدة المنسق الأمريكي، كيت دايتون. وتنص الخطة على تشكيل ونشر خمس كتائب من قوات الأمن الموالية لعباس، في أنحاء الضفة الغربية. ولم يطلب فياض في المرحلة الحالية نقل المسئولية الأمنية عن مدن فلسطينية في الضفة إلى السلطة الفلسطينية، وإنما قال إن النقل سيتم بالتوازي مع إحراز تقدم في الخطة الأمنية.

وقد طلب عباس من أولمرت إطلاق سراح السجناء الفلسطينيين المسجونين في إسرائيل، كبادرة طيبة بمناسبة شهر رمضان، الذي سيبدأ نهاية الأسبوع الحالي. وقد وافق أولمرت قائلاً إنه سيطرح إطلاق سراح السجناء على الحكومة للتصديق، دون تحديد عدد السجناء. وقال عريقات بعد اللقاء إنه قد تم الاتفاق على أن تطلق إسرائيل سراح السجناء في الأسبوع الأول من رمضان. وقد استجاب أولمرت لطلب عباس، بأن ترسل السلطة الفلسطينية المواد الغذائية والمشروبات والسجائر إلى السجناء الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بمناسبة شهر رمضان.

وقد طرح عباس أهمية تسهيل الحركة والتنقل بين المدن الفلسطينية في الضفة، بينما أعرب أولمرت عن تقديره بأنه سيطرأ تحسن بعد الأعياد.. ومن المنتظر أن يلتقي عباس وأولمرت مجددا في ٢٥ سبتمبر المقبل.

وقد أعلن حزبا شاس ويسرائيل بيتينو أن وزراءهما سيعارضون إطلاق سراح السجناء الفلسطينيين بمناسبة رمضان، وذلك إذا طرح اقتراح في هذا الشأن في جلسة الحكومة يوم الأحد القادم.. فقد قال رئيس حزب يسرائيل بيتينو، الوزير أفيجدور ليبرمان، إنه ينبغي على الفلسطينيين الآن إظهار البوادر الطيبة، على غرار مكافحة الإرهاب، ونزع السلاح ووقف التحريض.. وبعد ذلك فقط تستطيع إسرائيل التفكير في بوادر طيبة أخرى من جانبها.

وفي تلك الأثناء، يتضح من استطلاع أجري في السلطة الفلسطينية أنه إذا أجريت الانتخابات الرئاسية الآن، سيحصل عباس على ٥٩٪، مقابل ٣٦٪ لرئيس الوزراء المقال إسماعيل هنية. فوفقا للاستطلاع، الذي أجراه معهد الاستطلاعات الذي يديره خليل الشقاقي في رام الله، أن ٤٨٪ سيصوتون لفتح في الانتخابات التشريعية، مقابل ٣١٪ لحماس.

حزب كاديما الفلسطيني يشق طريقه

بقلم: يهوناتان داحوح هاليفي
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/٩/١٧

يشعر الفلسطينيون بالغيرة من النجاح الذى حققه حزب "كاديما".. لذا، يبادر رجال أعمال فلسطينيون هذه الأيام بإقامة حزب جديد يعمل على إيجاد بديل لفتح وحماس، يرتكز برنامجه الانتخابى على إعادة الوحدة بين الضفة والقطاع وتحسين الوضع الاقتصادى الفلسطيني.

تجرى فى الشهور الأخيرة اتصالات على الساحة السياسية الفلسطينية لإقامة حزب مستقل ("كاديما" الفلسطيني) يكون قادراً على توفير بديل لحماس وفتح. وقد أعلنت مصادر فلسطينية أن رجال الأعمال والأكاديميين الذين يعملون على تأسيس الحزب الجديد، تلقوا رسائل مشجعة من رئيس السلطة الفلسطينية، أبو مازن، ومن مسئولين فى حماس، وأنهم يعتزمون خوض الانتخابات القادمة للبرلمان الفلسطيني.

وتتجه الجهود حالياً نحو تعبئة نشطاء للحزب الجديد، من بينهم مسئولون فى فتح - غير المتورطين فى قضايا فساد - وبعض أعضاء حماس المعتدلين وشخصيات من أحزاب أخرى.. وهذا من أجل ضمهم إلى اللجنة التأسيسية للحزب أو على الأقل الحصول على تأييدهم العلني. ويعتقد الأعضاء المؤسسون أن الحزب لديه طاقة انتخابية كبيرة، حيث يتمنى كثير من الجمهور الفلسطينى ظهور رؤية سياسية جديدة تكفل لهم مستقبل أفضل.

اللجنة التأسيسية ستشمل ١٢٠ عضواً، على رأسهم رجال الأعمال منيب المصرى (أحد مؤيدى أبو مازن)، ومازن سونوكروت (أحد مؤيدى حماس)، وسعيد كنعان (ناشط سياسى من نابلس)، وباسم خوري، ومحمد خرباوى ومها أبو شوشة. ومن المتوقع الإعلان عن تأسيس الحزب رسمياً فى شهر أكتوبر، وسيتصدر برنامجه الانتخابى موضعان رئيسيان: إعادة توحيد الضفة الغربية وقطاع غزة، وتحسين الوضع الاقتصادى للفلسطينيين.

مبادرة: تعويضات لمستعمرى الضفة الغربية مقابل ترك منازلهم

بقلم: جاى فارون
المصدر: www.glz.msn.co.il
٢٠٠٧/٩/١٨

طرحت مجموعة من الشخصيات العامة، من اليمين واليسار، مبادرة جديدة تدعو مستعمرى يهودا والسامرة (الضفة الغربية) إلى الحصول على تعويضات من الدولة مقابل ترك منازلهم والانتقال للعيش داخل حدود دولة إسرائيل. ويقول عضو الكنيست أفشالوم فيلان، اعتمادا على استطلاعات رأى مختلفة، أن ٧٠٪ من الجمهور يؤيد هذه الخطوة. وفى الأسابيع الأخيرة، أبدى بالفعل ما يزيد عن ألفين من مستعمرى الضفة الغربية استعدادا لترك منازلهم مقابل الحصول على تعويضات من الدولة.

وقد عرضت حركة "بيت إحاد" (بيت واحد)، التى أسستها شخصيات عامة من اليمين واليسار، تسوية يحصل فى إطارها سكان المستعمرات التى ستظل خارج الجدار الإلكترونى - والذى سيتم الانتهاء منه خلال الأشهر القليلة القادمة - على تعويضات من الدولة مقابل ترك منازلهم. ويقول قادة هذه الحركة: "هذا الأمر سيرحم الآلاف من تهديد الإرهاب. الجدار الإلكترونى سيُبقى آلاف السكان خارجه بدون حماية.. وتسوية كالتى نطرحها ستوفر حلا لهذه القضية".

ويقول أفشالوم فيلان، عضو الكنيست عن حزب ميريتس ومن مؤسسى الحركة، إنه وفقا للاستطلاعات التى أُجريت، فإن ٧٠٪ من الجمهور الإسرائيلى يؤيد هذه الخطوة: "هذا عمل إنسانى لا علاقة له بالسياسة أو الأحزاب. حسب استطلاعات الرأى التى أجريت، فإن نصف السكان الذين يعيشون هناك على استعداد للتفكير جديا فى الانتقال إلى داخل حدود دولة إسرائيل".

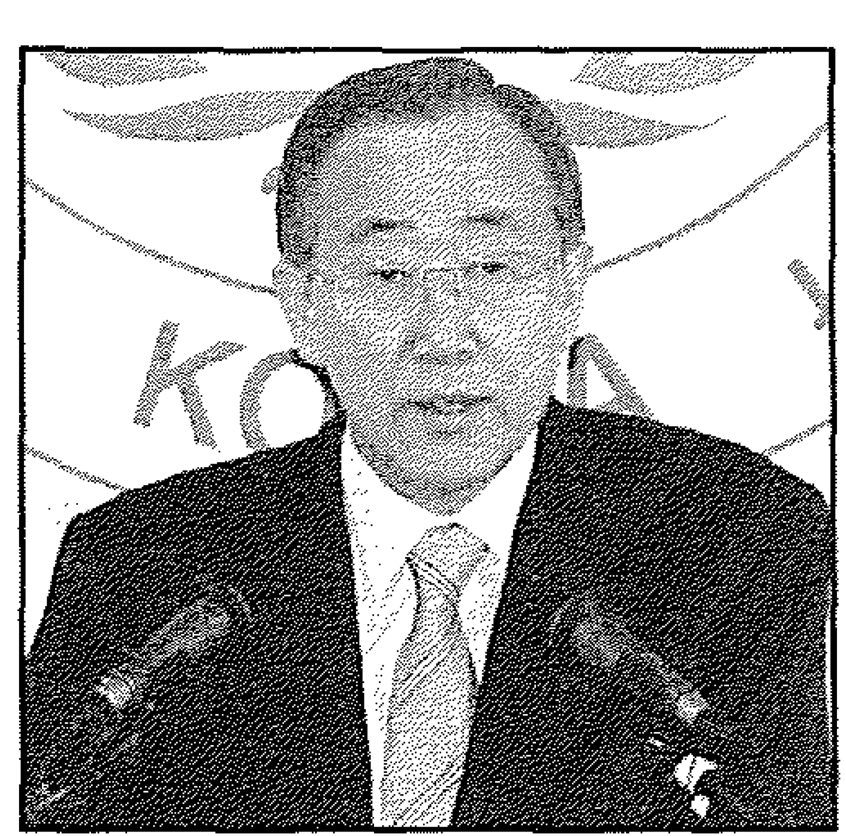
وقد أثارت المبادرة الجديدة حالة من السخط فى كثير من الدوائر اليمينية، وفى مقدمتهم رجال مجلس مستعمرات الضفة الغربية وقطاع غزة "مجلس يشع"، الذين رفضوا أى حديث عن رحيل طوعى للمستعمرين من منازلهم. تجدر الإشارة إلى أن أبرز معارضى المبادرة هو آرييه إلداد، عضو الكنيست عن كتلة الاتحاد القومي-المفدال، والمقيم فى مستعمرة كفار أدوميم التى لم يتم تضمينها فى مسار الجدار الإلكترونى حتى الآن. وقال إلداد: "إذا كان فيلان مستعد لجمع أموال، فسنرى مَن الأكثر استعدادا للتبرع، هل هم من يريدون رحيل العرب أم من يريدون رحيل اليهود..؟!".

ويأملون فى وزارة الدفاع أن يتم الانتهاء من بناء الجدار الإلكترونى خلال الأشهر القليلة القادمة. وحتى ذلك الحين، سيتعين على قادة الدولة البحث عن حل أمني- اجتماعى لآلاف المستعمرين الذين سيظلون خارج الحدود الجديدة لدولة إسرائيل.

بان كي مون: "قطع الخدمات عن غزة يتعارض مع القانون الدولي"

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١٩
بقلم: باراك رافيد

قرر المجلس الوزارى المصغر اليوم (الأربعاء ٢٠٠٧/٩/١٩) تعريف قطاع غزة بأنه "كيان معاد"، وهو التعريف الذى يستتبع المساس بإمدادات الكهرباء والوقود للقطاع رداً على إطلاق صواريخ القسام، مع استثناء إمدادات المياه. وقد ناشد الأمين العام للأمم المتحدة "بان كى مون" إسرائيل بإعادة النظر فى قرارها، وحذر من أن قطع الخدمات الحيوية يعارض القانون الدولى ويعاقب السكان المدنيين الذين يعانون أصلاً.



يقول الأمين العام للأمم المتحدة: "يعيش فى غزة ١,٤ مليون نسمة، من بينهم مسنون، أطفال ومرضى لا ينبغى معاقبتهم بسبب الممارسات المرفوضة من جانب مسلحين ومتطرفين".

وفى واحد من أكثر التصريحات تطرفاً إزاء إسرائيل، منذ توليه هذا المنصب فى يناير الماضي، قال الأمين العام إنه يشعر بقلق بالغ من القرار الإسرائيلى، وإن الأمم المتحدة تتحمل مسؤولية توفير الاحتياجات الإنسانية للسكان المدنيين فى غزة. كما دعا لوقف إطلاق الصواريخ من قطاع غزة، وقال إنه يدرك مدى القلق الأمنى الإسرائيلي.

ينص القرار الصادر عن المجلس الوزارى المصغر للشئون الأمنية والخارجية أنه فى حالة إطلاق صواريخ على إسرائيل ستقلل إسرائيل فى البداية إمدادات الكهرباء لقطاع غزة. وكان من بين مبررات قطع الكهرباء أن الورش تستخدمها فى صنع الصواريخ.. ولكن لن يتم تقليل إمدادات الوقود إلا فى المرحلة الثانية، وذلك لأن قضية الوقود مرتبطة بدراسة قانونية العقود المبرمة بين وزارة البنى التحتية الإسرائيلية والجهات المعنية فى قطاع غزة، وهى الدراسة التى لم تنته حتى الآن. وإلى أن تتم هذه الدراسة القانونية، ستتوقف إسرائيل تماماً عن تزويد قطاع غزة بالوقود، باستثناء الوقود المستخدم فى الأغراض الإنسانية، مثل تشغيل مولدات الكهرباء الخاصة بالمستشفيات، وذلك بهدف تجنب انتهاك القانون الدولي.

وقد قالت وزيرة الخارجية الأمريكية "كونداليزا رايس" إن الولايات المتحدة أيضاً تعتبر حماس كياناً معادياً.. وقد جاءت تصريحات رايس هذه فى مؤتمر صحفى بالقدس فى ختام لقائها مع وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبى ليفني.. وخلال المؤتمر الصحفي، قالت وزيرة الخارجية تسيبى ليفنى إن "هذا القرار يعنى أن إسرائيل لن توفر لسكان غزة سوى الاحتياجات الإنسانية فقط". مؤكدة أن قرار المجلس الوزارى المصغر يتماشى مع القانون الدولي.. ومن جانبها، ذكرت رايس أن الولايات المتحدة تشعر بالقلق من تصرفات حماس فى غزة.. ورغم أنها لم تعرب صراحة عن معارضتها لقرار المجلس الوزارى المصغر، إلا أنها قالت: "إننا لن نتخلى عن الفلسطينيين الأبرياء فى غزة، وسنبذل قصارى جهدنا من أجل توفير الاحتياجات الإنسانية للسكان. فالضفة الغربية وقطاع غزة وحدة إقليمية للدولة الفلسطينية المستقبلية، ولن نفصل بينهما".

❖ حماس: "القرار إعلان حرب".. ونتنياهو يبارك القرار

وصف المتحدث باسم حماس، فوزى برهوم، القرار بأنه بمثابة "إعلان حرب".. أما رئيس حزب الليكود عضو الكنيست بنيامين نتنياهو، فقد بارك القرار وقال إنه "أخيراً وبعد أشهر كثيرة من دعوتى ودعوة أعضاء حزب الليكود لاتخاذ مثل هذه الخطوة، عادت الحكومة لصوابها وقررت اتخاذها".

من جانبه، وصف رئيس حزب ميريتس "يوسى بيلين" القرار بأنه "أحمق وخطير". ودعا بيلين الحكومة لبذل قصارى جهدها من أجل وقف إطلاق النار مع غزة، لأن هذا الوقف هو الذى سيحرر سديروت من إطلاق صواريخ القسام، وكذلك جلعاد شاليط من خاطفيه.

وقال عضو الكنيست طلب الصانع "رَعَم- تَعَل" (القائمة العربية الموحدة - الحركة العربية للتغيير) إن "إسرائيل هى المحتل والمعتدي، فى حين تصف المحتل (يقصد احتلال حماس لغزة) بأنه كيان معاد حتى تعفى نفسها من المسئولية عن جرائم حرب". بينما قال عضو الكنيست أحمد الطيبى "رَعَم- تَعَل" إن هذا القرار سيزيد من حدة الأزمة الإنسانية فى غزة. وأضاف: "حكومة أولمرت تأثرت بأفكار ليبرمان".

❖ السماح بعبور الغذاء والأدوية فقط من المعابر:

على أرض الواقع، سيتم تقليص نشاط المعابر بين إسرائيل وقطاع غزة، التى تعمل اليوم بصورة جزئية فقط وتستخدم فى عبور الغذاء والأدوية بشكل خاص، ولن يتم السماح إطلاقاً بعبور البضائع غير الأغذية والأدوية. على سبيل المثال، ستمنع إسرائيل دخول أنابيب المياه لقطاع

غزة، تخوفاً من استخدامها فى تصنيع القذائف. كما ستمنع إسرائيل تماماً حركة الأفراد من القطاع وإليه.

كان هذا القرار قد صدر بعد دراسة قانونية أجرتها وزارة الخارجية بحثاً عن توصيف قانونى يحظى بقبول العالم، وانبثقت عنها الخطوات التى تقرر إجراؤها. وقد جاء فى القرار أن هذه الخطوات "سيتم تطبيقها بالتنسيق مع الفتوى القانونية والوضع الإنسانى على أرض الواقع". كما جاء فى نص القرار أن حركة حماس هى المسئولة عما يحدث فى قطاع غزة، وأن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية ستواصل عمليات التصفية ضد حماس وباقى المنظمات الإرهابية. ويصف المجلس الوزارى المصغر حركة حماس بأنها "منظمة إرهابية حوّلت قطاع غزة إلى منطقة معادية، تخرج منها عمليات معادية لإسرائيل".

◆ الولايات المتحدة: "إسرائيل أوضحت أن هذه الخطوات لن تمس بالوضع الإنساني"

خلال جلسة المجلس الوزارى المصغر، قال الوزير يتسحاق كوهين (حزب شاس) إن الخطوات الإسرائيلية يجب أن توضح أنه مقابل كل عملية فلسطينية، سيكون هناك رد فعل إسرائيلى فورى ضد السكان.

من جانبه، يقول المتحدث باسم حركة حماس، فوزى برهوم، إن هذه الخطوة تهدف لتجويع شعبنا، وإجبار الفلسطينيين على إحناء رؤوسهم والخنوع وقبول الصيغ المجحفة التى سيتم طرحها خلال ما يطلقون عليه مؤتمر السلام فى نوفمبر".

وقد قال وزير الإعلام فى حكومة أبو مازن، رياض المالكي، إن السلطة الفلسطينية ستطلب من الولايات المتحدة ممارسة تأثيرها على إسرائيل حتى تحول دون اتخاذ خطوات عقابية ضد السكان فى قطاع غزة.

◆ باراك لرايس: "سنزيل ٢٤ حاجزاً فى المناطق (الفلسطينية)"

فى تعليقه على القرار، قال وزير الدفاع، إيهود باراك، إن كل يوم يمر يقربنا من عملية واسعة النطاق فى غزة، لكننا سندرس احتمالات أخرى قبل ذلك.

من ناحية أخرى، التقى اليوم باراك بوزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس، وقد ناقش الاثنان القضية الفلسطينية، حيث أبلغ وزير الدفاع وزيرة الخارجية قائلاً: "أعتقد أنه يجب خلق أفق سياسى مع الفلسطينيين والتيسير على حياتهم اليومية، لكن أمن مواطنى إسرائيل يحتل جدول أولوياتنا".

كما عرض باراك على رايس نوايا إسرائيل بإزالة ٢٤ حاجزاً فى أنحاء يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، وذلك بهدف تيسير حركة الفلسطينيين. وقال باراك إنه "بعد إزالة الحواجز سيتم النظر فى الوضع الأمنى والإزالة التدريجية للمزيد من الحواجز". وأضاف باراك أنه سيتم النظر فيما بعد فى زيادة التنسيق بين قوات الأمن الفلسطينية وقوات الجيش الإسرائيلى حسب الوضع على الأرض. فضلا عن ذلك، ستتم دراسة انتشار قوات الشرطة الفلسطينية خلال ساعات النهار فى مدينة أو مدينتين من مدن الضفة الغربية.

وقد شارك فى اللقاء أيضاً رئيس الأركان جابى أشكنازي، الذى استعرض الاعتبارات الأمنية وجهود الجيش الإسرائيلى لتيسير الحياة اليومية للسكان الفلسطينيين فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، فضلاً عن ضمان أمن مواطنى إسرائيل.

تجدر الإشارة إلى أنه فى ختام اللقاء بينهما، اجتمع باراك مع رايس اجتماعاً مغلقاً.

أدباء إسرائيليون يدعون لإجراء مفاوضات مع حركة حماس

بقلم: شارون نوفيك
المصدر: موقع والا الإلكتروني ٢٠٠٧/٩/٢٣

من المقرر أن يقوم غداً (الاثنين الموافق ٢٠٠٧/٩/٢٤) ١١ أديباً بارزاً ومفكراً إسرائيلياً بنشر بيان يطالبون فيه رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، ببذل قصارى جهده من أجل التوصل إلى اتفاقات جوهرية مع رئيس السلطة الفلسطينية، أبو مازن، خلال المؤتمر الدولي المقرر عقده في نوفمبر القادم. وعلى حد قولهم، فإنه يجب إجراء مفاوضات مع حركة حماس لإحلال الهدوء في المنطقة.

وجاء في البيان أن "إسرائيل تفاوضت في الماضي مع ألد أعدائها. وسيكون من الصواب اليوم أيضاً إجراء مفاوضات مع حماس، في محاولة للوصول إلى وقف إطلاق نار شامل يحول دون مزيد من المعاناة لدى الجانبين".

هذا، وقد وقّع على البيان، الذي تبلورت صيغته بالتعاون مع مهندسي مبادرة جنيف، كل من: أ. ب يهوشوع، وعاموس عوز، وداڤيد جروسمان، ومائير شاليف، ويهوديت كتسير، وإيلي عَمير، وسفيون ليبرخت، ويهوشع سوبول، وإستي ج. حاييم، والبروفيسور أليس شلفي ودوريت رفينيان.

كما ناشد المفكرون الحكومة عدم إهدار فرصة السلام.

بلا مشاكسة وبلا تقتير

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/٩/٢٥

يدفع النشاط الدبلوماسي الدائر هذا الأسبوع في الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك عقد مؤتمر السلام في واشنطن خطوة إضافية إلى الأمام. فقد أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية، "كونداليزا رايس"، أن المؤتمر يستهدف دعم المحادثات التي يجريها رئيس الحكومة، "إيهود أولمرت"، ورئيس السلطة الفلسطينية، "محمود عباس"، لدفع النقاشات في "القضايا الجوهرية" لحل النزاع ولتدعيم جهود مبعوث الرباعية، "توني بلير"، في بناء مؤسسات فلسطينية.

وقالت "رايس" في ختام لقاء الرباعية أول أمس: "كالمعتاد دائماً في الشرق الأوسط، الطريق إلى الأمام صعب جداً". وانطلاقاً من الاعتراف بأن هذا هو الوضع، ومن الافتراض بأن لإسرائيل مصلحة عليا في عقد مؤتمر السلام وفي نجاحه، فإن من المهم أن تبذل الحكومة كل جهد لتأمين هذه الخطوة السياسية وأن تمتنع عن القيام بأعمال تعرقلها.

أولاً، على إسرائيل أن تبدي انفتاحاً ومرونة في المفاوضات حول صياغة إعلان المبادئ الذي سيُقدم إلى المؤتمر. لا ينبغي أن تتحول المحادثات بين الأطقم، والتي ستبدأ الأسبوع القادم، إلى مساومة عقيمة وخالية من المضمون بين متفاوضين عنيدين. ينبغي أن يكون المناخ الموضوعي الذي اتسمت به حتى الآن محادثات أولمرت وعباس ممهداً لممثليهم أيضاً. يؤيد معظم الجمهور الإسرائيلي إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، على أساس الخط الأخضر، وبتبادل أراض في مقابل الكتل الاستيطانية الكبيرة في الضفة، التي سيتم ضمها إلى إسرائيل. ينبغي أن يكون هذا أيضاً هو الأساس لإعلان المبادئ المشترك، بما في ذلك صيغ لحل قضايا القدس، واللاجئين والترتيبات الأمنية المستقبلية.

ثانياً، لا ينبغي أن تعرقل اعتبارات الحيثية والصراعات السياسية الجهد السياسي. لا يوجد خلاف حقيقي بين وزراء "كاديما"، أو بين "كاديما" وحزب العمل، حول الصيغة المرغوبة للتسوية. الكل تقريباً موحد حول ذات المبادئ وذات الخريطة. أما محاولات بعض الوزراء، وعلى رأسهم وزير الدفاع "إيهود باراك"، عزل أنفسهم عن رئيس الحكومة من خلال تقديم تقييمات متشائمة وشروط صارمة للتسوية مع الفلسطينيين، فإنها تعقد فقط، وبدون داع، سير المفاوضات.

ثالثاً، من المهم أن تظهر محاولات دعم "عباس" والمعتدلين في الضفة على الأرض أيضاً، وليس في الخطابات والتصريحات فقط. لقد كان إعلان رئيس الحكومة في خطابه يوم الخميس الماضي، بأن "عباس شريكاً"، لائقاً من حيث مضمونه وتوقيته، وأظهر تمسك "أولمرت" بالعملية السياسية، لكنه لا يتسق مع المماطلة التي تنتهجها الهيئة الأمنية حيال رفع حواجز في الضفة، وحيال إخلاء بؤر استيطانية غير قانونية. أيضاً كان قرار الحكومة إطلاق سراح ٩١ سجيناً فلسطينياً كلفتة في رمضان شحيحاً، وبدا الإعلان عن وضع أفراد شرطة السلطة في "نابلس" وكأنه استهزاء بها. من الصعب رؤية كيف ستدفع هذه الخطوات الميكروسكوبية هدفها المعلن، والمتمثل في تعزيز وضع "عباس" بين الجمهور الفلسطيني، إذا لم يشعر بها الجمهور في الضفة.

بقي نحو شهرين حتى انعقاد مؤتمر واشنطن، ومن المهم استغلال الوقت في دفع العملية التي هي في صلب المؤتمر، وفي التحضير للمراحل القادمة من المفاوضات لحل النزاع، وإقامة دولة فلسطينية.



ترجمات عبرية



تقرير الفقر نصف السنوى فى إسرائيل

الفقر "استقر" والفجوة اتسعت

بقلم: ياعيل برنوفسكي
يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٩/٤

يكشف تقرير الفقر نصف السنوي، الذى نشرته اليوم مؤسسة التأمين الوطني، أنه فى عام ٢٠٠٦ كان يعيش فى إسرائيل مليون و٦٥٠ ألف فقير، نصفهم تقريبا من الأطفال.. ومع هذا، فقد انخفضت نسبة الفقراء فى إسرائيل بـ٢,٠٪ مقارنة بالعام الماضي، ولكن عدد الأطفال الذين يعيشون تحت خط الفقر ارتفع بنسبة ٦,٠٪.

وفقا لبيانات التقرير، فقد طرأ عام ٢٠٠٦ انخفاض طفيف فى معدلات الفقر فى إسرائيل، حيث انخفضت نسبة الأسر التى تعيش تحت خط الفقر من ٢٠,٦٪ إلى ٢٠٪، كما انخفضت نسبة الأشخاص الذين يعيشون فى أسر فقيرة من ٢٤,٧٪ إلى ٢٤,٥٪. وانخفضت نسبة أسر المسنين الفقراء الذين يعيشون فى إسرائيل بنسبة ٣٪ (من ٢٤,٤٪ عام ٢٠٠٥ إلى ٢١,٥٪ فى العام الماضي).

فضلا عن ذلك، يتزايد عدد الأطفال الفقراء فى إسرائيل.. فوفقا للبيانات، كان هناك نحو ٧٩٦ ألف طفل فقير يعيشون فى إسرائيل فى العام الماضي، أى ٣٥,٨٪ من إجمالى الأطفال الذين يعيشون فى إسرائيل - وهو ما يمثل ارتفاع بنسبة ٠,٥٪ مقارنة بعام ٢٠٠٥ .

كما انخفضت نسبة الأسر الفقيرة التى تعول الأطفال عام ٢٠٠٦، من ٢٦,٢٪ إلى ٢٥,٥٪. لذلك، وبسبب الانخفاض فى مخصصات الأسر كثيرة الأطفال، تحتل هذه الأسر جزء أكبر من إجمالى الأسر الفقيرة، والتى تمثل الآن نحو ٦٠٪ منها، مقارنة بـ٥٨,١ ٪ فى العام الماضي.

تقرير الفقر		
	التقرير السابق	التقرير الحالي
نسبة الفقراء	%٢٤,٧	%٢٤,٥
أسر فقيرة	٤١٠,٧٠٠	٤٠٤,٤٠٠
أطفال فقراء	٧٧٥,٠٠٠	٧٩٦,١٠٠
نسبة الأطفال الفقراء	%٣٥,٢	%٣٥,٨
نسبة المسنين الفقراء	%٢٤,٤	%٢١,٥

وفى مقابل الانخفاض فى معدلات الفقر، اتسعت الفجوة بين الطبقات فى إسرائيل. فوفقاً لتقرير الفقر لعام ٢٠٠١، طرأ ارتفاع بنسبة ٤,٦٪ فى دخل الفرد، ولكن الارتفاع الكبير تجلى فى نسبة العشرة فى المائة الأكثر ثراء. فبينما ارتفع دخل ٩٠٪ من الشرائح الدنيا من ٣ إلى ٥٪، زاد دخل الـ١٠٪ الأكثر ثراء بما لا يقل عن ٧٪.

وقال وزير الرفاه "يتسحاق هرتسوج": "توجد هنا نسبة كبيرة من الفقر فى إسرائيل، ولا يزال الطريق طويلاً. ورغم البيانات الخطيرة، فإن هناك جموداً فى الظاهرة". وأضاف: "يمكن الإشارة إلى الجمود والاستقرار مع حدوث تحسن طفيف بعد التردى الاقتصادى الشديد الذى شهدته فترة نتنياهو، إلا أن هذا لا يكفي. فظاهرة عدم المساواة تواصل التفشي، والسبب واضح. فالنمو الاقتصادى يخدم الطبقات الأكثر ثراءً فقط".

كثرة المواليد تعنى الحصول على مزيد من المخصصات

بقلم: درور عزرا

المصدر: www.nana.co.il ٢٠٠٧/٩/٥

يتضح من مطالعة تقرير الفقر الأخير، أن الفقر موجود بشكل خاص داخل الأسر كثيرة العدد. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الحل المطلوب للوهلة الأولى هو زيادة مخصصات المواليد لهذه الأسرة، مثلما كان يحدث فى الماضي. ولكنى أعتقد أن ذلك يعد خطأً رهيباً، خاصة أن الخوف كله من الحلول السحرية فى إسرائيل التى تظهر فى أفضل الأحوال كوهم كاذب، وككارثة فى أسوأ الأحوال، فنسبة مخصصات المواليد فى إسرائيل لو زادت ستعمل على تشجيع الانفجار السكاني، من خلال زيادة عدد المواليد فى الأسر.

تشجع نسبة مخصصات المواليد فى إسرائيل الآن، حتى بعد الاقتطاعات التى قام بها نتنياهو، الأسر الفقيرة على إنجاب المزيد من الأطفال، من أجل زيادة دخلهم. وجديرٌ بالذكر أنه تم عام ٢٠٠٠ تمرير "قانون هالبرت" فى الكنيست، والذى أقر بحصول الأسر ذات الخمسة أطفال فأكثر على مخصصات إضافية. لست رجل اقتصاد، ولكن وفقا لانطباعي، هذا القانون وسياسة المخصصات التقليدية لإسرائيل صنعا دائرة مفرغة، لم تقلل من عدد الأطفال الفقراء، وإنما ضاعفت عددهم، بسبب ازدياد عدد الأسر كثيرة الأطفال، والبيانات الإحصائية خير دليل على ذلك.

حتى الاقتطاع الذى قام به نتنياهو فى المخصصات عام ٢٠٠٣ كان متفرداً وغير أخلاقي. فليس من الأخلاق أن يتضرر الطفل الذى وُلد فى واقع يتمثل فى الحصول على مخصصات معينة، نتيجة استبداد صناع القرار.

ولكن خلافا للمسألة المتعلقة بالميزانية، لم يُطرح تقريبا فى إسرائيل السؤال الأساسى وهو: هل تعد سياسة تشجيع الانفجار السكانى بشكل عام سياسة صائبة..؟. إن إسرائيل دولة صغيرة، مزدحمة وفقيرة فى الموارد الطبيعية، ويعد معدل الزيادة السكانية فيها من أعلى المعدلات فى العالم الغربي، ورغم ذلك تعد المخصصات "شديدة الكرم" مع الأسر كثيرة الأطفال.

جديرٌ بالذكر أنه كلما زاد عدد السكان، زاد المساس بالمستوى المعيشى للسكان فى إسرائيل. فالمزيد من الأفراد يعنى المزيد من البيوت التى تقلل من مساحة الأراضى المفتوحة، والمزيد من الأفراد يعنى المزيد من السيارات التى تزيد من تلوث الهواء، والمزيد من الأفراد يعنى المزيد من الصرف الصحى والكثير من المخلفات التى تزيد من تلوث المياه والتربة والهواء، والمزيد من الأفراد يعنى المزيد من التكدس فى جهاز التعليم والصحة والرفاه، مما يؤدى إلى انخفاض جدواهم.

فى ظل هذه الأزمة البيئية العميقة التى نشهدها، يمكن أن ينتهى الانفجار السكانى بكارثة هائلة على دولة إسرائيل. وسيكون لذلك أبعاد أمنية واقتصادية واجتماعية وبيئية صعبة على المدى البعيد جدا.. إننى لو كنت ضمن صناع القرار كنت سأوصى بالمضى فى هذا الطريق:

أولاً، ينبغى أن يوضع فى قانون الأساس أن مخصصات المواليد تتحدد فى يوم مولد الطفل، ولا محل لتغييرها. فليس من الممكن أن يولد الطفل فى واقع مخصصات محدد، ثم يتم تغيير هذه المخصصات بعد عدة سنوات.

ثانياً، ينبغى إلغاء حق الحصول على مخصصات المواليد من الطفل الرابع فصاعدا نهائيا، كما ينبغى زيادة مخصصات الطفل الأول والثاني، وكذلك منح تسهيلات ضريبية للآباء فى الأسر الصغيرة. ولابد أن

تكون المساعدة المقدمة للأسرة كثيرة العدد مختلفة، وتتمثل فى إكمال الدخل الكافي.

ثالثاً، ينبغى تشغيل برنامج "كروت غذاء". هناك الآن العديد من الدول فى العالم التى تسمح بمنح الشخص المحتاج كارت ممغنط، يعمل فى كل الشبكات التسويقية، التى تسمح بشراء منتجات الغذاء الأساسية وفقا لمبلغ محدد، دون الاحتياج إلى الجمعيات الخيرية بأنواعها والإهانة المرتبطة بذلك.

وأؤكد أن النية هى تطبيق هذه الأفكار فقط على الأطفال التى تولد فى المستقبل، لذلك لن يكون أثر الميزانية لهذه الخطة فوريا وإنما بعد سنوات طويلة. وأرى أن الأفراد والجماعات الأكثر استغلالا للموارد الطبيعية وللمجتمع ينبغى أن يسددوا المزيد من الضرائب.

إن عدد الأفراد فى الأسرة يعد معياراً مهماً فى هذا الأمر، إن لم يكن الوحيد.

عدد الأطفال	المخصص الشامل (بالشيكل)	حق الطفل الواحد من المخصصات (بالشيكل)
1	148	148
2	296	148
3	474	158
4	803	200.75
5	1132	226.4
6	1461	243.5
7	1790	255.71
8	2119	264.87
9	2448	272
10	2777	277.7
11	3106	282.36
12	3435	286.25

العرب أكثر فقراً

يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٩/٥
بقلم: سيفر بلوتسكر

وفقاً لما ورد فى تقرير الفقر الشامل الذى أصدرته مؤسسة التأمين الوطنى بالأمس، "انخفضت" نسبة الأسر اليهودية الفقيرة من ١٦٪ فى عامى ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ إلى ١٤,٧٪ خلال العام الماضي، حيث انخفض عددها بنحو ١٥ ألف أسرة. وفى نفس الوقت، "ارتفعت" نسبة الفقر وسط الأسر العربية من ٥٠٪ إلى ٥٤٪، وارتفع عدد الأسر الفقيرة بـ٢٠ ألف أسرة. وهكذا، نجد أنه بينما اليهود يخرجون من الفقر، أصبح العرب غارقين فيه: فقبل ثلاث سنوات، كانت نسبة الأسر العربية الفقيرة نحو ٣١٪ من إجمالى الأسر الفقيرة فى إسرائيل، وفى العام الماضي، ارتفعت نسبتها إلى ٣٦٪.

وأثناء إحصاء إجمالى عدد الفقراء، تبدو أمامنا صورة أكثر قتامة، حيث تقترب نسبة المواطنين العرب الفقراء من ٥٠٪ من إجمالى الفقراء فى إسرائيل - فى مقابل ٤٠٪ خلال عام ٢٠٠٤ . هذه هى النتيجة الديموجرافية، لأن الأسرة العربية الفقيرة تتكون من أكثر من خمسة أفراد، أما الأسرة اليهودية الفقيرة فتتكون من ثلاثة أفراد.

ينعكس ارتفاع معدل الفقر العربى فى تنامى الفقر وسط الأطفال: حيث تتكون الأسرة العربية الفقيرة من ٢,٧ طفل، أما العائلة اليهودية الفقيرة فتتكون من ١,٤ طفل فقط. لذا، كلما ارتفع حجم العرب الفقراء، كلما تعاظم الفقر وسط أطفال دولة إسرائيل.

فى عام ٢٠٠٤، كان يعيش فى إسرائيل ٧١٤ ألف طفل فقير، منهم ٣٣٥ ألفاً من الأطفال العرب (٤٧٪). وفى عام ٢٠٠٦، كان يعيش فى إسرائيل ٨٠٠ ألف طفل فقير، منهم ٤٢٠ ألفاً من العرب (٥٢٪). وفى الأعوام الثلاثة الأخيرة، ارتفع عدد الأطفال العرب الفقراء بنسبة ٢٥٪، بينما تراجع قليلاً عدد الأطفال اليهود الذين يعيشون فى أسر تحت خط الفقر. وبينما يعيش اثنان من كل عشرة أطفال يهود فى أسر لا يتجاوز دخلها الصافى خط الفقر، نجد أن ستة أطفال من كل عشرة أطفال عرب يعيشون فى أسرة فقيرة.

كما ينعكس الوجه العربى للفقر فى الزيادة غير المتوقعة لنسبة الأسر الفقيرة ذات العائل الواحد، حيث اتضح من تحليل تقرير الفقر أن خروج رب الأسرة العربى للعمل لا ينقذها من الفقر، وإنما يُغير فقط من موقعها فى السجلات - أى من عائلة تحصل على إعانات إلى عائلة لديها دخل. ففى عام ٢٠٠٤، كانت توجد ١٣٩ ألف أسرة فقيرة يعمل ربها من أجل الحصول على دخل بكرامة، إلا أنه لم ينجح فى ذلك بسبب الدخل المتدني. وفى عام ٢٠٠٦، بعد انخفاض نسبة البطالة والعمل المكثف فى شتى أنواع خطط التأهيل، ارتفع عدد الأسر الفقيرة التى يعمل عائلها إلى ١٦٢ ألف أسرة - أى زيادة بنسبة ١٦,٥٪ - وهى فى أغلبها أسر تنتمى للوسط العربي.

كلما ازداد فقر "العرب" فى إسرائيل أكثر فأكثر، كلما ازداد أيضاً "فقر العمال". فحينما يجد اليهودى عمل، يكون المقابل الذى يحصل عليه كافياً لرفع مستوى الأسرة إلى ما فوق خط الفقر، أما فى الوسط العربى فإن ما يحدث هو العكس، حيث يحصل الملتحقون الجدد بدائرة العمل على أجر قليل جداً لا يكفى لزيادة دخل الأسرة، من أجل انتشالها من دائرة الفقر.

تتضمن الأجندة الاجتماعية التى تبنتها حكومة أولمرت، وفقاً لتوصيات المجلس القومي للاقتصاد، برئاسة البروفيسور مانويل ترختنبرج، هدفاً لزيادة معدل العمالة فى الفئة العمرية التى تتراوح ما بين ٢٥ - ٦٤ سنة. ويهدف ذلك إلى زيادة عدد العاملين فى قطاعات الاقتصاد إلى نحو ٧٢٪ - نسبتهم الحالية ٦٩٪ - من إجمالى السكان فى هذه الفئة العمرية حتى عام ٢٠١٠ . وهذه زيادة تقدر بحوالى ٩٠ ألف عامل، وهى تفوق نسبة الزيادة الطبيعية. ومن المقرر أن يحل نصف العاملين الجدد محل العمال الأجانب.

السؤال: هل سيؤدى تحسين ظروف العمل إلى تقليل نسبة الفقر..؟ الحقيقة أن هذا لن يحدث دون أن تتوقف الحكومة عن التحدث بأسلوب التعميم واستخدام صيغ لا تراعى الأبعاد الديموجرافية، وعدم التركيز على المكان الذى يوجد فيه الجزء الأكبر من "العمال الفقراء": الوسط العربي، ويليه - بمسافة كبيرة - الوسط الحريدي. ويجب أن تكون السياسة الفاعلة التى أوصى بها البروفيسور ترختنبرج متناسبة مع احتياجات القطاعات المحتاجة لتحسين وضعها. وإذا كان التغيير الوحيد الذى سيحدث حتى عام ٢٠١٠ هو استبدال العمال الأجانب بعمال "عرب - إسرائيليين" بنفس الراتب، فإن زيادة الفقراء العرب ستتواصل رغم ارتفاع نسبة العمالة.

يمكن أن نستمر فى تجاهل هذه النتائج، ويمكن للقنوات التليفزيونية المختلفة بث الصور المستهلكة للطوابير التى تقف للحصول على حقائب السلع الغذائية فى البلدات اليهودية، كأمر بدا بديهياً، ولكن هذا فى حقيقة الأمر يعد تجاهل للب المشكلة.

إن الفقر عند اليهود، الذي لم يكن مأساوياً حتى قبل عامين، أصبح يتقلص تدريجياً. أما الفقر العربي، الذى كان مأساوياً فى الماضي، أصبح أزمة حقيقية.

◆ ترجمات عبرية ◆



علاقات إسرائيل الدولية والإقليمية

قدرتنا على مهاجمة إيران محدودة

بقلم: إيتسيك وولف
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/٨/٣٠

صرح اليوم (الخميس ٢٠٠٧/٨/٣٠) اللواء احتياط يعقوف عميدرور، من المركز اليروشاليمى لشئون الجمهور والدولة، تعقيباً على بحث أجرته جامعة لندن، يتناول خطط الجيشين الأمريكي والبريطاني للتصدى للبرنامج النووي الإيراني، بأن "قدرة إسرائيل الفعلية على ضرب المنشآت النووية الإيرانية محدودة".

فى الوثيقة التى نشرت للمرة الأولى فى موقع (nfc) الإلكتروني، زعم الباحثون البريطانيون أن إسرائيل غير قادرة على تدمير كل المنشآت النووية الإيرانية، ولكنها تستطيع فقط ضربها بشكل جزئي.

وأضاف: "لقد تكون لدى انطباع بأن كلام البريطانيين صحيح، ولكنه مجحف جداً. صحيح أن إسرائيل ليست لديها نفس القدرة التى يمتلكها الأمريكيون فى إحضار كميات لا حصر لها من الذخيرة إلى إيران، والسبب الرئيسى فى ذلك هو المسافة. وصحيح أن إسرائيل ليست لديها حاملات طائرات أو قاذفات ثقيلة، ولذا فإن قدرتها على نقل كميات كبيرة من الذخيرة لفترات طويلة إلى داخل إيران لن تكون مثل أمريكا. ولكن إسرائيل لديها قدرة جيدة جداً، كما أثبتت فى الماضي، على رصد نقاط الضعف فى منظومة كبيرة، ومن خلالها توجه الضربة فى الزمان والمكان الصحيحين، ومن ثم تستطيع أن تصيب المنظومة الإيرانية فى مقتل".

أشار عميدرور إلى أن المسألة الصعبة التى قد تواجهها حكومة إسرائيل هى معرفة كم من الوقت يمكن أن تحتاجه العملية التى ستدمر جزءاً فقط من المنشآت الإيرانية: "أى التأكد من مساحة الوقت اللازمة لإصابة هذا النمر، والتأكد من أنه لن يستطيع المهاجمة لفترة طويلة، لأنه إذا أصبنا النمر فقط وأفاق بعد فترة قصيرة، سيكون هذا أكبر خطأ، لأن نمراً مصاباً (جريحاً) سيكون أسوأ بكثير من نمر لم يلحق به ضرر".

◆ "إسرائيل قادرة على تنفيذ عملية فى إيران":

وعلى حد قوله، فإن كل التخبطات الإسرائيلية ناجمة فقط عما إذا لم يهاجم الأمريكيون إيران، فيقول عميدرور: "إذا قررت الولايات المتحدة أنها ليست فى حاجة لإسرائيل عند القيام بعمل ضد البرنامج النووى الإيراني، فإنه من الغباء إقحام إسرائيل فى الأمر". وأردف قائلاً: "إنها ليست فى حاجة لإسرائيل، نظراً لأن قوتها العسكرية كبيرة بالقدر الكافى للتعامل مع هذا التهديد وحدها، وسوف ترتكب خطأ جسيماً إذا أقحمت إسرائيل فى الأمر، لأن هذا لن يبدو آنذاك كعملية لإنقاذ العالم، وإنما عملية لإنقاذ دولة إسرائيل".

وأضاف أن: "المصلحة الإسرائيلية العليا، وكذلك المصلحة العالمية، تتمثل فى عدم امتلاك إيران سلاحاً نووياً، وأى شيء آخر يجب أن يكون مرهوناً بهذه الضرورة"، مشدداً على أن "بمقدور إسرائيل تنفيذ عملية عسكرية فى الأراضى الإيرانية، ولكن السؤال الوحيد الذى يجب أن تطرحه إسرائيل على نفسها هو: هل ما تستطيع إسرائيل فعله سيؤدى إلى وقف البرنامج النووى الإيرانى لوقت طويل بما يكفي..؟ وهل الأمر يستحق كل المخاطر المترتبة على عملية كهذه..؟".

كما أشار عميدرور إلى أن عبارة "الرب يعرف كل صغيرة وكبيرة" تخاطب عقله فى هذه الأزمة التى تواجهها دولة إسرائيل، فيقول: "هنا أنت تدخل فى عالم غير واضح إطلاقاً، عالم مرهون بمستوى المعلومات الاستخباراتية والقدرة على اختراق المنظومات الدفاعية التى طوَّرها الإيرانيون. ولذلك، أى رد على هذا السؤال من أناس غير متخصصين، استناداً إلى معلومات استخباراتية غير حديثة، هو رد غير جاد".

إهانة ملكية

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/٩/٧

رغم أن الأمير "إدوارد"، البالغ من العمر ٤٣ عاماً - أصغر أبناء ملكة بريطانيا "إليزابيث الثانية" - يزور إسرائيل هذا الأسبوع كضيف على منظمة الشباب اليهودى - العربي، إلا أن هذه الزيارة أيضاً وُصفت بأنها "خاصة" مثل زيارات سابقة لأفراد من الأسرة المالكة لإسرائيل.

لا توجد فى القرن الحادى والعشرين أهمية سياسية للزيارات الملكية، ولا يتفاوض الأمراء باسم حكوماتهم، لكن ثمة أهمية رمزية لضيافة الدولة المضيفة. ومن المؤكد أن الأمر مهم عندما يتعلق الأمر ببريطانيا، القوة العظمى المهمة والمملكة الكبرى التى بقيت على حالها. لقد أدت بريطانيا دوراً حاسماً فى تاريخ الشرق الأوسط بوجه عام وفى تاريخ الصهيونية بوجه خاص، وهى تريد أن تقود حل النزاع الإسرائيلى - العربي.. وهاهو رئيس حكومتها المنصرف، "تونى بلير"، يمثل اليوم المجتمع الدولى (يقصد بذلك منصب بلير الجديد كمبعوث للجنة الرباعية الدولية)، حيث يكرس جهده من أجل إقامة دولة فلسطينية.

عما قريب ستحتفل إسرائيل بمرور ٦٠ عاماً على إقامتها، منذ انتهاء الانتداب البريطانى وإعلان الاستقلال. لكن الحكومات البريطانية، على اختلافها، تصر، رغم الوقت الكبير الذى مضى، على منح إسرائيل وضعاً متدنياً عن جاراتها فى المنطقة وترفض التصديق على زيارات ملكية هنا. فالملكة "إليزابيث"، التى اعتلت كرسى الملك منذ ٥٥ عاماً وزارت منذ ذلك الوقت ١٢٩ دولة، لم تقم حتى الآن بزيارة إسرائيل.. صحيح أنها استضافت رؤساء إسرائيليين فى قصر باكنجهام، إلا أنها لم ترد عليهم بزيارة مماثلة.. كما أن الأمير "تشارلز"، ولى العهد، شارك فى جنازة "إسحاق رابين" منذ نحو إثنى عشر عاماً، لكن المشاركة فى جنازة رسمية لا تعد زيارة رسمية طبقاً لقواعد البروتوكول.

ربما تكون الرسالة غير الرسمية التى تريد بريطانيا توصيلها إلى إسرائيل، من خلال هذا التصرف الملكي، هى أن إسرائيل ستتمتع بتطبيع فى وضعها الدولى فقط عندما يتم إرساء سلام فى المنطقة. لقد قال اللورد "جرفيل جانر"، أحد زعماء الطائفة اليهودية البريطانية، إن القيام بزيارة ملكية "سيكون مثار خلاف سياسياً".. ويتضح من كلامه ثمة تلميح إلى الخوف البريطانى الزائد من إغضاب الطائفة المسلمة الكبيرة فى بريطانيا.. هذا فضلاً عن منظمات وهيئات بريطانية اصطفت فى السنوات الماضية على رأس النضال لتشويه شرعية إسرائيل، وخرجت من بريطانيا دعوات بمقاطعة الجامعات والباحثين الإسرائيليين أكاديمياً. كما صدرت بها أوامر اعتقال ضد ضباط رفيعى المستوى اشتبه فى اقترافهم جرائم حرب فى المناطق (الفلسطينية).. والدليل على ذلك تقرير برلمانى خطير صدر العام الماضى حول تفشى ظاهرة معاداة السامية فى بريطانيا.

لقد صرح رئيس الحكومة البريطانية، "جوردون براون"، مع توليه منصبه، بأن دولته وقفت إلى جانب إسرائيل فى "أوقات سيئة وحسنة على السواء". لكن هذا لا يكفي، فعندما يوجد تشكيك زائد عن الحد فى شرعية الدولة اليهودية ذاتها، فإن حكومة بريطانيا ينبغى أن تظهر أن إسرائيل فى نظرها دولة مثل سائر الدول وتستحق الاحترام والزيارات الملكية أيضاً، لأن فى ذلك سيكون تشجيع مهم أيضاً للإسرائيليين الداعمين للنهوض بالسلام والمصالحة مع العرب والراغبين فى تدعيم الوضع الدولى لدولتهم.

تركيا: "اختراق إسرائيل للمجال الجوي السوري عمل غير مقبول"

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١١
بقلم: يوآف شتيرن
وباراك رافيد

انتقد وزير الخارجية التركي علي باباجان، أمس، بشدة اختراق الطائرات الإسرائيلية للأجواء السورية عبر تركيا، وهو ما تزعم سوريا حدوثه. وصرح باباجان، بينما كان يقف بجانبه وزير الخارجية السوري وليد المعلم، بأن "تركيا لا تقبل مثل هذا الوضع"، منوهاً إلى أن بلاده طلبت توضيحات من إسرائيل حول هذا العمل.

تعد العلاقات الثلاثية بين إسرائيل وتركيا وسوريا هي الأكثر حساسية. وقد زاد الحادث الذي وقع - على حد قول السوريين - فجر يوم الخميس الماضي، من حدة التوترات القائمة. ويعتقد د. آلون ليئيل، مدير عام سابق بوزارة الخارجية، وخبير في الشئون التركية، أنه في الوقت الذى تتدهور فيه العلاقات بين إسرائيل وتركيا، تتوطد العلاقات بين سوريا وتركيا.

وفي هذا السياق، يشير باباجان إلى قرار بعض الجاليات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية بإدانة تركيا بارتكاب جرائم إبادة جماعية في حق الأرمن مع مطلع

القرن العشرين، الأمر الذي أثار غضباً شديداً في تركيا، وكذلك مسيرة الأسلمة التي تجتاح تركيا الآن وتقض مضاجع الكثير من الإسرائيليين. وعلى حد قول ليئيل، فإنه يتعين على إسرائيل أن تتوخى الحذر في علاقاتها مع تركيا. واستطرد بقوله: "حتى وإن كنا نستطيع السكوت على ادعاءات الجانب السوري، فإننا مطالبون بتقديم العديد من التوضيحات لتركيا".

منذ سنوات طويلة وإسرائيل وتركيا تقيمان علاقات استراتيجية، تقوم في الأساس على التعاون العسكري – الاستخباراتي والأمني. علاوة على ذلك، هناك تعاون بين الدولتين في مجالات التجارة، والسياحة، والبنى التحتية. وقد لعبت تركيا خلال العام الأخير دور الوسيط الرئيسي بين إسرائيل وسوريا، حيث ناشد الأتراك إسرائيل دراسة إمكانية استئناف المفاوضات السياسية مع سوريا، كما تصدر الشأن السوري جدول أعمال الموضوعات التي تمت مناقشتها خلال الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت لأنقرة في يناير الماضي.

وفي مقابل التوتر الذي يري ليئيل أنه أصبح السمة المميزة للعلاقات الإسرائيلية التركية، يلاحظ حدوث تحسن لاسيما خلال السنوات الأخيرة في العلاقات بين تركيا وسوريا. فمنذ أن تلقت سوريا الإنذار التركي بوقف تأييد تنظيم "حزب العمال الكردستاني" السري المناهض للنظام التركي، والاعتراف بالسيادة التركية على إقليم كردستان، الذي يقطنه الكثير من العرب، طرأ تحسن ملحوظ على العلاقات التركية السورية.. فكلتا الدولتين تتقاسمان المصلحة المشتركة الرافضة لإقامة إقليم كردي مستقل شمال العراق. ومع ذلك، فإنهما مختلفتان بشأن موضوع العلاقات مع إيران. فبينما يعد التحالف بين سوريا وإيران تحالفاً استراتيجياً، نجد أن التوتر يغلب على علاقات تركيا بالجمهورية الإسلامية.

يعتقد البروفيسور آيال زيسر، رئيس مركز ديان، ورئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة تل أبيب، أن العلاقات بين سوريا وتركيا ليست وطيدة كما ينبغي. وقد قال بالأمس: "صحيح أن تركيا هي الجارة الوحيدة الأقرب لسوريا، حيث نجح الرئيس السوري في توطيد العلاقات مع جارته الشمالية، ولكن إذا كانت تركيا هي الصديقة الوحيدة لسوريا، فإن هذا يُظهر حجم المشكلة التي تواجه بشار".

"محور الشر".. عزلة، كراهية وأسلحة دمار شامل

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٧/٩/١٥
بقلم: يتسحاق بن يسرائيل(❖)

لم ينقشع بعد الضباب الذى أحاط بالعملية الإسرائيلية التى تمت أو لم تتم فى سوريا، وها هى بعض الدول قد انبرت لإدانة إسرائيل. لم تخلو القائمة من إيران وليبيا بالطبع، حتى روسيا عادت لسلوكها الذى كان سائداً قبل انهيار الإمبراطورية السوفيتية – وأدانت العملية بصورة تلقائية.. وحتى كوريا الشمالية، الدولة غير العربية وغير الإسلامية، الواقعة فى الطرف الآخر من قارة آسيا، كانت ضمن الدول التى أدانت إسرائيل.

ما هو القاسم المشترك بين هذه الدول..؟ لماذا سارعت لإدانة إسرائيل دون غيرها من دول أوروبا، وأمريكا، وأفريقيا، وباقى دول العالم..؟ القارئ الجيد سيلاحظ فوراً أن سلوك هذه الدول ربما هو الذى دفع الإدارة الأمريكية لتسميتها بـ"محور الشر" أو بالدول "المارقة" فى أكثر من موضع. لكن ما هو الأمر الذى جعل هذه الدول تتصرف بأسلوب لا يتماشى مع القواعد الدولية المتعارف عليها..؟ فضلاً عن ذلك، ووفقاً للسياق الإسرائيلي: ما هو القاسم المشترك بين هذه الدول والعراق قبل الاحتلال الأمريكى وكذلك باكستان قبل عهد مشرف..؟ الإجابة هى أن كل هذه الدول (فيما عدا إيران التى كانت خاضعة لحكم الشاه الحديدي)، شاركت فى حرب ضد إسرائيل، قبل نحو خمسة وثلاثين عاماً (حرب عيد الغفران – حرب أكتوبر ١٩٧٣)، وهى مسلحة بعتاد سوفيتي.

ربما يمكن "تفهم" موقف ليبيا والعراق، اللتين أرسلتا قوات لمساعدة "أشقائهما" العرب. كما يمكن أيضاً تخمين أن إرسال أسراب طائرات لسوريا من فوق دولة غير عربية، مثل باكستان، تم باسم التضامن الإسلامي. لكن لازال السؤال المطروح هو: لماذا أرسلت كوريا الشمالية أسراب طائرات مقاتلة للمشاركة فى حرب ضد إسرائيل..؟

القاسم المشترك بين هذه الدول هو العزلة والخوف من العالم الخارجي: فهى تخشى من تسرب أفكار جديدة لأراضيها، ومن المخاطر التى تهدد نظامها الحاكم، ونظامها الاجتماعى والاقتصادي. هذه عزلة تسلب مواطنى الدولة حريتهم، وتحول دون أى اتصال مع العالم الخارجي. لدى كل هذه الدول أنظمة شمولية تتسم بغياب الحرية السياسية، والقمع، وأحياناً تجويع بعض فئات الشعب، وعدم المساواة للنساء وغيرها. فعلى سبيل المثال، أوضحت دراسة أجرتها الأمم المتحدة مؤخراً أن عدد الكتب التى تمت ترجمتها للغة العربية منذ عصر الخليفة المأمون (فى القرن التاسع) يعادل عدد الكتب التى تترجم للغة الإسبانية فى العام الواحد فقط.

لكن هذه ليست عزلة فكرية فقط.. فعلى غرار ما حدث فى الإمبراطورية السوفيتية حتى انهيارها، كانت العزلة مادية أيضاً. تكاد لا تكون هناك سياحة وافدة أو خارجة. فالنظام الحاكم لا يحرص على اتصال مواطنيه بثقافات تتبنى الحرية والمساواة. فقد تحول الحفاظ على النظام القائم، أو ربما العودة "للوراء" للنظام الذى كان سائداً ذات مرة، إلى قيمة عليا. حتى المنظمات المارقة من غير الدول، مثل تنظيم القاعدة، تشارك فى ذلك.. حيث يتطلع بن لادن وأمثاله لإعادة الوضع لما كان عليه أيام ازدهار الإسلام، وفرض نظام الشريعة الإسلامية الطاهرة والطيبة على العالم الكافر..!!.

إن هذه الدول والمنظمات، فى النهاية، لا تفهم العالم الحر ويعتبرونه خطراً على وجودها.. وبطبيعة الحال أن الخوف من تغير النظام وتسرب أفكار جديدة يدفع دول محور الشر للدفاع عن وجودها بأى ثمن، ومحاربة التهديد الذى تراه فى المجتمعات المتقدمة بأى وسيلة. ومن هنا، فإن الطريق قصير نحو امتلاك السلاح البديل: القنبلة النووية، أو على الأقل وسائل أخرى للدمار الشامل، مثل السلاح الكيماوى أو البيولوجي، وهى أسلحة أصبح من السهل الحصول عليها.

لقد رفعت إسرائيل راية القيم الثقافية للعالم الحر، القائمة على فكرة المجتمع المفتوح والسعى لتطويره بكافة الأشكال. ومن هذا المنظور، أصبحت بمثابة "الشيطان الصغير" فى منطقة تعتبر العزلة قيمة عليا، أما "الشيطان الكبير" فهو الثقافة الغربية كلها، المتمثلة فى الولايات المتحدة.

من يفهم ذلك، يدرك أنه لا ينبغى علينا توقع حدوث تغير سريع. فالتغير الثقافى الحقيقى هو عملية طويلة الأمد تستغرق سنوات طويلة للغاية. وفى غضون ذلك، حُكم علينا أن نعترف بالواقع الذى نعيشه، وبذل قصارى جهدنا من أجل مواجهة نتائج التوجهات الرئيسية للدول والتنظيمات التى تعرف اختصاراً بـ"محور الشر".

(*) كاتب المقال لواء (احتياط) وعضو كنيست عن كتلة كاديما.

تعاون بين إسرائيل وإيران

بقلم: هيدر فرير
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/٩/١٩

تجاهلت مصادر رسمية إسرائيلية وإيرانية الخلافات السياسية بينهما، عندما عملوا سوياً يوم (الثلاثاء ٢٠٠٧/٩/١٨)، حيث ساهم خبراء إسرائيليون وإيرانيون في التعرف على ضحايا الطائرة التي تحطمت على جزيرة بوكيت التايلاندية.



وفي تلك الأثناء، كشفت عناصر في هيئة المطارات التايلاندية أن منظومة الإنذار في المطار لم تعمل كما يجب عندما تحطمت الطائرة يوم الأحد.

وكان من بين الضحايا، البالغ عددهم ٨٩ قتيلاً، ستة إسرائيليين وثمانية عشر إيرانياً، كانوا يستقلون طائرة تابعة لشركة الطيران One-Two-Go Airlines التي حاولت الهبوط في مطار الجزيرة.

ورغم أن العلاقات بين الطرفين، أي بين إسرائيل وإيران، التي دعا رئيسها لتدمير إسرائيل وأنكر أحداث النازي، مقطوعة، إلا أن دبلوماسيين من كلا الجانبين صرحوا بأنهم لا يتطرقون في بوكيت إلى الموضوعات السياسية، وأنهم يبذلون قصارى جهدهم للتعرف على ضحايا الكارثة.

وقال "سافدر شافعي"، أحد ممثلي سفارة إيران في بانكوك، بعد مصافحته لياكى عوفيد رئيس مفوضية الشرطة الإسرائيلية في جنوب شرق آسيا: "إن الطبيعة البشرية تميل بعد الكوارث التي تقع إلى تقديم المساعدة وحل المشاكل بأسرع ما يمكن". كما صرح عوفيد قائلاً: "في مثل هذه الظروف ننسى الخلافات. ويصبح أهم ما في الأمر هو تقديم المساعدة. نحن لا نفكر في السياسة الآن".

وقال شافعي إنه تم التعرف على خمسة عشر قتيلاً إيرانياً، وأكد على أن بصمات الأصابع وتحليل الحامض النووي لأقارب أسر الضحايا في إيران سيساهم في التعرف على الضحايا الثلاثة الباقين.

وقال عوفيد من جانبه: "حينما شعر الوفد الإسرائيلي، الذي وصل إلى تايلاند، بمخاوف شافعي بشأن المفقودين الإيرانيين، أخبرته إنه يمكننا مساعدتهم".

وسيحاول الطاقم - المزود بوسائل إنقاذ وطوارئ - مطابقة أشعة أسنان المفقودين وبصمات أصابعهم وحمضهم النووي وما إلى ذلك، بالجثث التي تم العثور عليها. وقال ليئور فينتراوف، المتحدث الرسمي باسم الوفد الإسرائيلي في بوكيت: "نحن دائماً على استعداد لتقديم المساعدة لمن يعانون من ضائقة بشكل عام، حتى لو كانوا الإيرانيين".

وقال المحققون إن تغيراً مفاجئاً في اتجاه وسرعة الرياح أدى إلى تغيير مسار الطائرة، الأمر الذي أدى إلى عدم استقرار الطائرة وخروجها عن سيطرة الطيار.

كونفدراليات على الطريق: العراق، سوريا وإيران

يديعوت أحرونوت ٢٠/٩/٢٠٠٧
بقلم: موطي أشكنازي(❖)

لا، لن يحدث هذا غداً ولا بعد عام أيضاً. لكن، الشرق الأوسط، الذي كان منذ عقود هو المنطقة الأكثر استقراراً في العالم، من ناحية استقرار الحكم، يواجه سلسلة من الهزات والتحولات التي ستغير شكله تدريجياً. نحن نشهد في هذه الأيام بالذات بداية الطريق نحو شرق أوسط آخر مختلف. إذ ترفع قوى، كانت واقعة حتى الآونة الأخيرة تحت احتلال هياكل ديكتاتورية صارمة، رأسها.. العراق هو اللبنة الأولى فقط، والساحة الأولى التي تتصارع فيها - تصارعاً حراً - قوى تحررت عبر عنصر خارجي، من القبضة الخانقة لحكم مهيمن وقمعي، كان حتى اليوم هو السمة الاجتماعية للمنطقة التي تتحدث اللغة العربية.

إن من يتابع ما يحدث في العراق بعينين متجردتين، يستطيع أن يرى كيف يحدث من خلال المذابح المنفلتة والمتبادلة "تعويم عرقي" شامل، يجعل كل واحدة من الجماعات المهيمنة (الميليشيات سواء السنية أو الشيعية أو الكردية) تسيطر بالتدريج على منطقة نفوذها الرئيسية منذ الأزل. يحتك الشيعة والسنة والأكراد مع بعضهم البعض في قتال متبادل خاصة في المناطق التي اختلط فيها السكان مع بعضهم بعضاً خلال الأجيال الأخيرة. يتشكل العراق بالتدريج في شبه كونفدرالية على الرغم من وجود حكم مركزي به في الظاهر. لا يشذ مستوى العنف البادي في العملية، عن مستواه في المنطقة وليس فيه جديد.. إن ما يتقوض ليس الثقافة المشتركة، وإنما البناء السياسي الذي فرض على المنطقة من الخارج، من خلال ثقافة سياسية مغايرة.

عملية التغيير لا يمكن العدول عنها، وهى اتجاه سوف ينعكس بالتدريج على استقرار دول أخرى في المنطقة وسيصيبها بنفس الفيروس، نظراً لأن الهيكل الذي ساد في العراق حتى إزاحة "صدام حسين"، يتشابه تقريباً في كل الدول الأخرى في المنطقة، بمعنى: العداء العرقي، وسيطرة مجموعة أقلية (السنة كانوا في العراق والعلويون مازالوا في سوريا) من خلال قمع الجماعات الأخرى، والصلة بين تشكيلة الجيش وأجهزة الأمن وبين المؤسسة السياسية عن طريق تعيين الأوفياء للحكم ودعم الجيش وأجهزة الأمن للحكم، والفقر والتخلف الصارخين في مقابل استثمارات هائلة في قوات الأمن، والسيطرة المحكمة من جانب الحكم على البؤر الاقتصادية، خاصة الطبقة الوسطى الصغيرة، حتى لا تشكل أساساً لنظام ديموقراطي.

ينتشر الفيروس بسرعة كبيرة للغاية في لبنان. هناك، يهدد الشيعة، بمساعدة سوريا، نمط الحياة الذي يجنح إلى الغرب من جانب الطوائف الأخرى. لكن سوريا - في جهودها لابتلاع لبنان وبتدخلها غير المباشر فيما يحدث في العراق - تسرِّع بيديها من انتشار الفيروس في أحشائها هي أيضاً. فهي تعزز بيديها نموذجاً انعزالياً من جانب جماعة أغلبية تشعر بأنها مميزة (للأسوأ) على يد جماعة أقلية. يراقب الإسلام السني، الذي يضم بين جنباته إسلاماً متطرفاً، ما يحدث سواء في العراق أو في لبنان ويدرسه عن كثب. من شأن انتفاض السنة، أن يسرِّع بتطور هيكل كونفدرالى هنا أيضاً.

إيران أيضاً ليست محصنة ضد مطلب جماعات أقلية بالحصول على حكم ذاتي ولاحق، بتغيير الهيكل القومي وبلورة هيكل كونفدرالي، إذا أخذنا في الاعتبار أن الأقليتين الكردية والأذرية فيها، تراقبان عن كثب التحولات في العراق، وحقيقة أن جزءاً ملموساً من شبابهما يتبنى قيماً ثقافية غربية. من شأن التطرف اليوم، أن يمثل عاملاً مساعداً على وجه التحديد في تغيير هيكلي في المستقبل القريب.

بالنسبة لإسرائيل، فإن عملية الانفصال العرقي من ناحية، ونشوء هياكل طائفية فوق قومية من ناحية أخرى، يخلقان أوضاعاً بيئية مريحة جداً لقبول دولة يهودية كجزء لا يتجزأ من المنطقة التي تتحدث اللغة العربية. هذا ليس "نافذة فرص" عابرة وإنما عملية مفهومة.. في الشرق الأوسط، ومطلوب صبر وبرود.

(❖) كاتب المقال كان من مؤسسي حركة الاحتجاج بعد حرب يوم الغفران (١٩٧٣).

حركة "ناطورى كارتا": "نجاد محب للسلام وودود"

يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٩/٢٥
بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

حظى الرئيس الإيراني، محمود أحمدى نجاد، باستقبال عاصف تضمن إهانات واحتجاجات من جانب آلاف الطلاب على دعوته لإلقاء كلمة مساء أمس (الاثنين) فى جامعات كولومبيا بالولايات المتحدة. كما أعربت المنظمات اليهودية عن احتجاجها على هذه الزيارة. لكن يبدو أن هناك يهوداً يرحبون بحضور الرئيس الإيراني.

وبمناسبة لقاء جديد بين زعماء حركة "ناطورى كارتا" والرئيس الإيراني، أصدر الحاخام يسرائيل دافيد فايس، المتحدث باسم المنظمة اليهودية العالمية، بياناً وصف فيه الزعيم الإيرانى بأنه "محب للسلام وودود".

وكتب فايس يقول: "دائماً ما سُررنا بلقاء الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد. هذا هو اللقاء الثالث معه، بجانب الزيارات الكثيرة لنا لإيران. دائماً ما أكدنا للقيادة الإيرانية أنه رغم التاريخ الإعلامى والدعائى لبعض اليهود، فإننا نعتقد أن الشعب الإيرانى وقادته محبون للسلام وودودون".

وعلى حد قول فايس، فإنه لا أساس من الصحة للاتهامات الدولية للرئيس الإيرانى بأنه يسعى من أجل اندلاع حرب. ويرجح أن إسرائيل هى السبب فى حالة التوتر السائدة فى الشرق الأوسط. وكتب يقول: "رغم أننا كيهود لا يُفترض أن نتدخل فى السياسة، إلا أننا نرى أن الرئيس الإيرانى هو إنسان متدين بشدة، ومحب للسلام العالمى القائم على الاحترام المتبادل والحوار.. والديانة اليهودية تسعى للسلام. وللأسف أن بعض اليهود الآن متأثرون بالنظرية الصهيونية التى يعود عمرها لمائة عام بالكاد، ويؤمنون بأن العنف هو الرد اليهودى الملائم على الأعداء. للأسف، أنهم يحاولون جر شعوب أخرى لطريق حربهم...

"إن الصهيونية تعارض نواميس التوراة. وحسب المبادئ الصهيونية، يجب علينا بناء وطننا بأنفسنا.. وهذه الأيديولوجية تدفع بدولة إسرائيل لانتهاج سلوك عدائى تجاه شعوب أخرى. هذه الدولة تقمع شعوب أخرى دائماً باسم اليهودية، كما تسببت فى انتشار معاداة السامية فى أنحاء العالم. والرئيس أحمدى نجاد يفرق جيداً بين الديانة اليهودية والحركة الصهيونية".

استطرد فايس فى البيان قائلاً: "إن أحمدى نجاد أثبت نواياه الطيبة عن طريق معاملته الإيجابية ليهود إيران". وكتب يقول: "من المؤسف أن القليلين فقط هم الذين حاولوا الحوار مع الرئيس الإيراني، أو مع يهود إيران الذين يعيشون فى هدوء وحسب معتقداتهم فى دولته. لقد أثبت هذا الرجل المرة تلو الأخرى أنه يحرص حقاً، وعن صدق، على سلامة يهود إيران، وأنه يكن شديد الاحترام للعالم اليهودى وتوراته. والمحاولة الصهيونية لعزله وعزل شعبه هى محاولة غير أخلاقية".

وعلى حد قوله، فإن المجتمع الدولى يجب أن يحتذى بالزعيم الإيراني، وخاصة القيادة فى القدس.. "نحن نعتقد أن تعامله مع إيران يجب أن يكون مثالاً يحتذى به كل اليهود والبشرية بأسرها. إن التوراة تنص على الرحمة والعدل لكل البشر، وقد سرنا على هذا النهج فى علاقاتنا مع الرئيس الإيراني، واكتشفنا أنه إنسان يضحى بنفسه من أجل هذه الأهداف...

"إن المأساة الكبرى لمنطقتنا هى القوة الفتاكة التى يمتلكها الصهاينة. وهم يرون أن القوة هى السبيل الوحيد لإنهاء الصراعات، وهو ما دفع بعضهم للتخلى عن نهج التوراة. نحن ندعو الرب ليهديهم إلى نهج التوراة الذى يدعو إلى الاحترام والتسامح".

ورغم الأمل فى مستقبل أفضل، فقد فضَّل فايس إنهاء كلامه بنغمة تشاؤمية فيما يتعلق بمصير المنطقة: "الحرب شيء رهيب وفظيع.. إن السُحب القاتمة التى تكسو الصراعات المستقبلية باتت تتجمع فوق الشرق الأوسط، ونتمنى ونصلى من أجل الحيلولة دون وقوع ذلك".

٥

المجتمع الإسرائيلي

الأمر يتوقف على الحاخامات

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/٨/٢٦

سلّمت الدولة، طوال كل سنوات وجودها، بحقيقة أن القطاع "الحريدي" غير متعاون مع قانون التعليم الإلزامي، وبأن هذا القطاع اعتاد في واقع الأمر أن يقيم منظومة منفصلة ومغلقة من التعليم ترفض دمج مواد أساسية مثل العلوم، والمواطنة، واللغتين العبرية والإنجليزية، في المناهج الدراسية.

يقتنع حاخامات الطائفة الحريدية بأن وصفتهم لتعليم الصغار هي الوصفة الناجعة، فهم لا يريدون تضييع وقت نفيس في تعليم دنيوي في سن تتشكل فيه شخصية الصغير.. يقول الحاخام "يسرائيل آيخلر" إن لمثل هذا النوع من التعليم وقتاً في سن أكبر، وبالنسبة للحريديم، فإن مرحلة الصبا تنتهي فقط عندما يتزوج الصبي.

والواقع أن كل الحكومات الإسرائيلية على مر الأجيال تشترك في التخوف من التدخل بشكل فظ وقسري فيما يحدث في القطاع "الحريدي".. هناك من يقولون إن الأمر يحدث لأسباب سياسية، ولكن يجب الافتراض بأنه كان هناك سبب آخر هو توقير دارسي التوراة، الحافظين للعهد، والخوف من إشعال حرب أهلية. لقد خلق اشتراط الإعفاء من الخدمة العسكرية بتكريس الحياة للدراسة في المعهد الديني، المزيد من المعاهد الدينية التي تحولت إلى ملاذ للهرب من الخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي، وتحولت أعداد الدارسين إلى مشكلة بالنسبة "للحريديم" أنفسهم، الذين أصبحوا أكثر انغلاقاً وفقراً كلما زاد عددهم. ومن جانبهم، فضّل الحاخامات الحفاظ على معسكر "مغلق وفقير ودارس" حتى لا يتنازلوا أمام الدولة.

السؤال الملح الآن هو: ما هي الوسيلة السليمة لدمج "الحريديم" في المجتمع العامل بدون تهديد نمط الحياة الذي تبنوه لأنفسهم..؟ لقد منيت المحاولة الأولى التي جرت، من خلال قانون "طال"، الذي استهدف تمكين الشباب من التكسب بدون التجند، بالفشل، حيث أصّر الحاخامات، كما سبق القول، على الإبقاء على المعسكر الدارس والمنغلق بأي ثمن، رغم أنه أصبح أكثر فقراً.. ولكن أليس التسامح إزاء انغلاق المعسكر على ذاته يعد بمثابة تنصل من جانب الدولة من مسئوليتها تجاه شباب الحريديم..؟ هل من السليم بشكل عام التعاون مع نمط حياة يفتقر إلى الحرية الشخصية، ويرفض المساواة بين النساء والرجال..؟ ولكن أيضاً هل من الجائز فرض تعليم عصري على من لا يرغب فيه..؟.

تقترح وزيرة التعليم، "يولي تامير"، الآن، على غرار نموذج ابتدعه "أمنون روبنشتاين"، عندما كان وزيراً للتعليم، الاستمرار في تخصيص ميزانية للمعاهد الدينية الصغيرة بشكل جزئي كما هو متبع اليوم، مع فتح باب الاختيار، أمام الشباب الراغب في إكمال التعليم العادي (المدني) في إطار فصول خاصة حتى سن الثلاثين. بذا، تعترف الدولة بمسئوليتها عن توفير تعليم عام للتلاميذ الحريديم، حتى ولو كان متأخراً. فربما تستوعب الفصول الدراسية للكبار "حريديم" متزوجين من أولئك الراغبين في تعلم مهنة. ومن ناحية أخرى، سيكون خيار "الفرصة الثانية" مفتوحاً أيضاً أمام العلمانيين الذين لم يحصلوا على حقهم في تعليم أساسي لأسباب أخرى.

يتوقف نجاح هذا المشروع بقدر كبير على الحاخامات.. فقدر الاستجابة هو الذي سيحدد قدر النجاح. ربما يتضح أن هذه خطوة علمانية جديدة لم تنجح، لكن هذه المحاولة، مثل محاولة تجنيد "الحريديم" في الخدمة المدنية بدلاً من العسكرية، هي القليل الممكن فعله.

يشاى يقترح سحب الجنسية من النازيين الجدد

بقلم: رونين ليفوفيتش
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/٩/٩

طالب نائب رئيس الوزراء إيلى يشاى وزير الداخلية شطريت بسحب الجنسية أو تأشيرة الإقامة فى إسرائيل فوراً من أعضاء عصابة النازيين الجدد وطردهم. وقال الوزير يشاى إن العصابة هى سرطان ينخر فى عظام المجتمع الإسرائيلي، ولا يعقل أن تترك قنبلة موقوتة كهذه داخل الدولة.

وقد أدى ضبط الشرطة لمجموعة الشباب النازيين الجدد إلى استياء عضو الكنيست إيفى إيتام (الاتحاد القومي- المفدال) الذى قرر العمل على تعديل قانون العودة وسد الثغرة الموجودة فيه، والتى بموجبها لا يوجد حظر على تنظيم جماعات النازيين الجدد، بسبب حقيقة أنه فى إسرائيل لم يتوقعوا ظاهرة من هذا القبيل بين اليهود.

ويزعم إيفى إيتام أن هذه تحديداً مشكلة قانون العودة المعمول به حالياً. وعلى حد قوله: "إن القانون يسمح لآلاف الأشخاص الذين ليست لديهم هوية يهودية، أو ربما فى الماضى السحيق كان أحد أفراد أسرتهم يهودياً، بالهجرة إلى إسرائيل. إن الظاهرة السائدة فى إسرائيل، والمتمثلة فى الاعتراف بالمواطن آلياً، دون فحص صلته بالدولة، مسألة خطيرة وتتطلب حلاً عاجلاً".

ويضيف إيتام: "يؤسفنى أن قانون العودة يتيح هجرة عناصر تشكل خطراً على الطابع اليهودى لدولة إسرائيل. إنهم يعيشون هنا حياة الأغيار، ويقيمون اجتماعات وتنظيمات مختلفة ويسيئون استغلال الحق الذى أعطتهم دولة إسرائيل إياه".

ويقترح إيتام: "لابد من إجراء فحوصات لخلفية المهاجرين الجدد. هكذا يفعلون فى كل الدول الغربية القويمة. يجب علينا التفكير جيداً لمعرفة كيف يمكن الحفاظ على الهوية اليهودية والصهيونية فى دولة إسرائيل".

علاوة على ذلك، لا يدرك إيتام كيف أن القانون الإسرائيلى لا يمنع اجتماعات النازيين الجدد. ويقول: "سوف أعمل أيضاً من أجل سد هذه الثغرة.. يبدو أن لدينا الكثير من العمل قبيل العودة من العطلة الصيفية".



◆ أورليف: "ممارسات تثير القشعريرة":

أعلن عضو الكنيست زوفولون أورليف (الاتحاد القومي- المفدال) أنه مع انتهاء العطلة سيطرح للتصويت فى الكنيست مشروع قانون لسحب الجنسية من النازيين الجدد وطردهم من البلاد، بعد أن يمضوا فترة عقوبة فى السجن.

على حد قول أورليف، فإن أفعال عصابة النازيين الجدد العنيفة، والتى تم ضبطهم وهم يمارسونها أمس، تثير القشعريرة ويجب التعاطى معها بصرامة. دولة إسرائيل والشعب اليهودي، اللذان عانيا من معاداة السامية أكثر من أى دولة وشعب آخر فى العالم، يجب أن يمثلان قدوة للعالم أجمع فى مكافحة معاداة السامية".

ويطالب عضو الكنيست أحمد الطيبى السلطات التعامل بصرامة أكثر مع عصابة النازيين الجدد. ويقول الطيبى إن هذه الظاهرة مخيفة ومستفزة. ومع ذلك، أشار إلى أن تلك الجماعة هاجرت إلى إسرائيل وحصلت على الجنسية فوراً، وفقاً لقانون العودة، فى حين أن سكان الطيبة والناصرة لا يستطيعون لم الشمل مع أزواجهم لمجرد أنهم مواطنون عرب.

كما تطرق عضو الكنيست جمال زحالقة (التجمع الوطنى الديموقراطي) إلى وجهة نظر هذه الجماعة، وقال إنه "لا يجب التمييز بين الأجناس، ويجب التعامل بنفس الدرجة من الصرامة مع النازيين الجدد الذين هاجروا من روسيا، فالعنصرية المعادية للعرب إسرائيلية المصدر". وأضاف زحالقة أن "جماعة النازيين الجدد العنصرية تتكيف جيداً مع جو العنصرية المتفشى فى المجتمع الإسرائيلي".

لنغير قانون العودة

معاريف ٢٠٠٧/٩/١٠
بقلم: بامبي شيلج

الكشف عن وجود منظمة للنازيين الجدد في إسرائيل، والتي نقلت الأنباء عنها مساء يوم السبت، ليس إلا قمة الجبل الجليدي في مسألة ثقافية وسياسية لا تترك أي مجال للراحة. إن مسألة من يستحق الهجرة لإسرائيل، وهل بند الحفيد في القانون - الذي يمنح أحفاد اليهود، حتى وإن كانوا ليسوا يهوداً، إمكانية تلقي سلة الاستيعاب وباقي الامتيازات التي تمنحها الدولة للمهاجرين - تجاوزت منذ زمن بعيد حدود المعقولية..؟.

عملياً، دولة إسرائيل، التي تتطلع إلى استقبال المهاجرين، تنتهج سياسة تشجع هجرة كل من تسيل في عروقه قطرة صغيرة من دم يهودي، وفي معظم الحالات، يدور الحديث عن أشخاص معنيين بربط مصيرهم بمصير الدولة اليهودية، ولديهم الاستعداد العميق للانخراط في المجتمع الإسرائيلي. في عدد صغير، ولكن هام، من الحالات، يدور الحديث عن استغلال يتم من قبل من يتطلعون إلى تحسين مستواهم المعيشي في دولة تعتبر غربية من حيث مستوى معيشة سكانها، في ظل الاستخفاف التام بقيم وثقافة المجتمع الذي يستوعبهم. وهكذا، جاء إلى إسرائيل في الخمسة عشر عاماً الأخيرة نحو مليون مهاجر من الاتحاد السوفيتي، منهم نحو ٢٥ ألف عائلة مسيحية.

إن هجرة العائلات غير اليهودية - التي في بعض الحالات تواصل انتهاج نمط حياة مسيحي علانية - أو تلك التي تربت في حضن المشاعر اللاسامية، يعد عملاً حقيراً وسخيفاً ليس فقط من جانبها، بل أيضاً من جانب الدولة.

هذه هي ذات الدولة التي تتشدد بشكل لا يُعقل في السماح لمن يرغب في التهود والانضمام للشعب اليهودي من كل قلوبهم ونفوسهم.. وفي نفس الوقت، تدخل من الباب الرئيسي - في ظل منح امتيازات كبرى - أناسا لا يريدون صالحها ومصلحتها.

المشكلة هي أن وقف هذه السياسة السخيفة، التي لا تزال مُتبعة، يعد عملاً سياسياً بعيد الأثر. فإذا تم إيقاف هذه السياسة، فأي سياسة سترثها..؟ أو بتعبير آخر، تغيير قانون العودة سيثير عاصفة سياسية واجتماعية لا أحد يحتاجها الآن، لاسيما الحكومة الحالية.

ومع ذلك، يُخيل لي أنه لم يعد هناك خيار آخر، ونحن ملزمون بأن نشرع في الحديث عن تغيير قانون العودة، الذي يتعلق بالمسألة الأكثر هشاشة في الهوية اليهودية الإسرائيلية - مسألة من هو اليهودي..؟. لذا، نقول إن تأسيس مركز إسرائيلي جديد، يُجري حوارا في هذه المسألة الحرجة ومسائل كثيرة غيرها، هو واجب حتمي من أجل وجودنا.

إن وجود منظمة نازية جديدة في إسرائيل، تتشكل من أشخاص نحن جلبناهم إلى البلاد بأيدينا في إطار قانون حق العودة الحالي، هو شهادة على الوهن والبؤس للمنظومة الدستورية الحالية، وتعبير حقيقي عن انعدام الرغبة في التصدي لمسائل صعبة، تتطلب أخذ المسئولية الجماهيرية الواسعة، والزعامة والشجاعة.

الشمس تشرق علينا جميعا

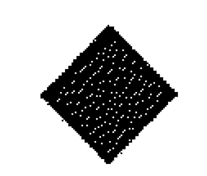
افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/٩/٢١

ليس العلمانيون فقط هم من يشعرون بأن شيئاً ما غير طبيعي قد حدث هذا الأسبوع، عندما تم تقصير النهار فجأة "ساعة" في منتصف الصيف، عقب إتباع التوقيت الشتوي في السادس عشر من سبتمبر. ونظراً لأن ذات الشمس تشرق علينا جميعاً، علمانيين ودينيين على حد سواء، فإن ثمة شكاً في أن هناك من لم يشعر بهذا السخف.. ففي شهر يوليو، قال الحاخام "نفتالي روتنبرج" من بلدة "هار آدار"، إن هذه حماقة نابعة من رأي خاطئ، وإن على المتدينين في الكنيست أن يعملوا على تغيير القانون، بحيث يبدأ التوقيت الشتوي في نهاية شهر أكتوبر. والزعم بأن التوقيت الشتوي المبكر هو انتصار للمتدينين، زعم مثير للاستغراب، فالمتدينون أيضاً، وربما هم على وجه الخصوص، يريدون أن يطول يوم الجمعة بقدر المستطاع حتى يتمكنوا من إنجاز الكثير من الأمور قبل حلول السبت. يريد المتدينون أيضاً التمكن من الذهاب إلى البحر عند الأصيل مع أولادهم في ساعات الضوء المتبقية بعد انتهاء يوم العمل. من ناحية أخرى، ثمة شك في أن المتدينين يريدون زيادة الاستهلاك المنزلي من الكهرباء عندما يحل الظلام مبكراً جداً، ويجب الافتراض بأنهم لا يريدون أن تختصر راحة السبت ساعة.

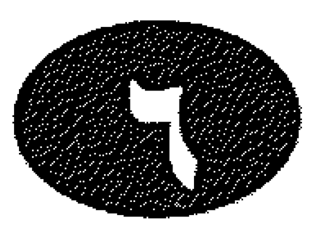
لقد تحول موعد انتهاء التوقيت الصيفي إلى موضوع للجدل بين المتدينين والعلمانيين - رغم أنه لا يتصل على الإطلاق بقضايا دينية جوهرية مثل التهويد، والزواج والطلاق، والطعام الحلال، والحفاظ على قدسية يوم السبت. الجدل هو نموذج للخدمة السياسية العامة الوضيعة بوجه خاص، التي يحاول ساسة من المعسكر الديني تقديم إنجازات لناخبيهم من خلالها، والنتيجة هي انتصار خائب. فلا أساس للزعم القائل بأن تغيير التوقيت يستهدف التخفيف على المتدينين من أجل النهوض مبكراً لصلوات الإستغفار، حيث إن التوقيت الشتوي قد دخل أصلاً حيز التنفيذ وفترة صلوات الاستغفار توشك أن تنقضي. بقيت فقط الذريعة بأن صوم يوم الغفران يكون أخف إذا انتهى في السادسة مساءً وليس في السابعة، وهي ذريعة تنتمي إلى مجال علم النفس ولا تمت بصلة إلى المجال الديني. لذا، فإن الصراع حول التوقيت هو صراع قوة، ويَسعَد المتدينون كل مرة بإعادة اكتشاف أنهم ما يزالون أقوياء.

أراد العلمانيون دائماً تثبيت التوقيت في القانون طبقاً لما هو معمول به في العالم، أما الأحزاب الدينية فقد أرادت الحفاظ على الجدل مفتوحاً. في عام ٢٠٠٥ تم سن القانون بمبادرة من وزير الداخلية "أوفير بينيس"، وبذا مُنح طابع رسمي قانوني للحل الوسط المشوَّه، الذي لا يفيد لا المتدينين ولا العلمانيين. وتقرر بعد مواءمات، أن يتم تغيير التوقيت عشية يوم الغفران. لقد تقرر الخنوع لنزوة سياسية غريبة، ثمنها الاقتصادي مكلف وتضر بسلامة الحياة، في موضوع غير جوهري وغير ديني بشكل جلي، ليس فيه أي مغزى على الإطلاق لتنازل المتدينين، لأنهم يستطيعون في جميع الأيام التي ليست يوم غفران أن يستمتعوا مثل الجميع بيوم أطول.

ينبغي أن يقول أحد ما، من المعسكر "الحريدي" على وجه التحديد، الحقيقة من أجل وقف هذه المهزلة. الصراع ليس له أية علاقة بالدين. وهو ليس في صالح المتدينين، لا من الناحية العملية، ولا من ناحية صورتهم. وهو أيضاً لا يخفف في الحقيقة على الصائمين في يوم الغفران، لأنه في نهاية الحساب تظل الـ٢٥ ساعة، التي هي عدد ساعات الصوم، ٢٥ ساعة - أياً كانت طريقة حسابها.



ترجمات عبرية



حوارات

حوار مع وزير المالية "رونى بار أون"

أجرى الحوار: سيفر بلوتسكر
يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٩/١٢

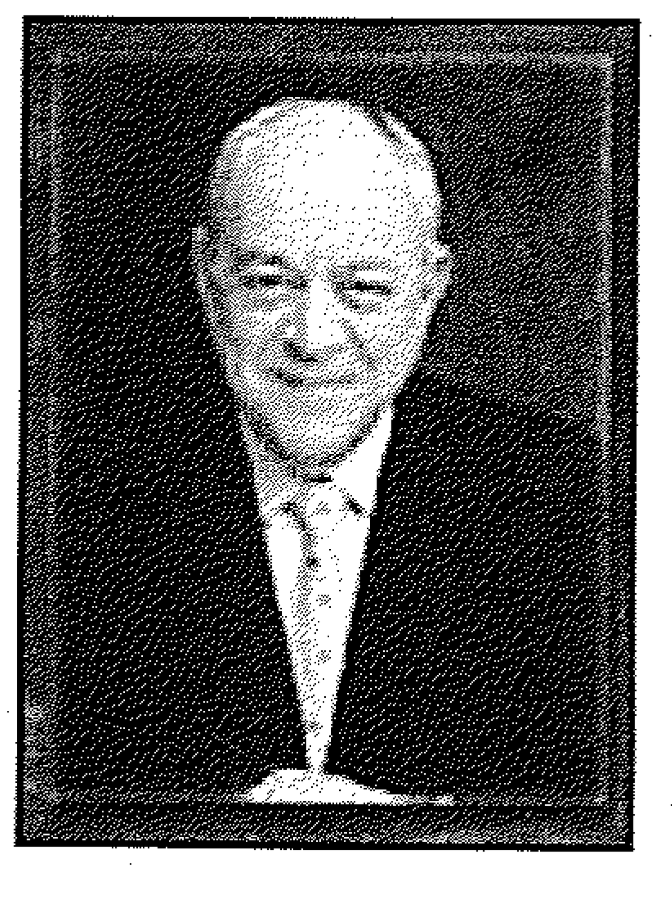
بعد مرور شهرين على توليه وزارة المالية، تنبأ بنيامين نتنياهو بنبؤات ثورية. وبعد شهرين من تولى أفراهام هيرشيزون الوزارة ذاتها تنبأ بنبؤات مطاردة وهمية. أما رونى بار أون، فكان الأمر مختلف معه تماماً. فهو لم يأت لإنقاذ اقتصاد الدولة، سواء لأنه ليس من أصحاب النزعة الخلاصية أو لأنه لا يوجد ما يمكن إنقاذه الآن، نظراً لأن شمس الاقتصاد تشرق فى إسرائيل منذ سبع سنوات والوضع ممتاز.

لقد نجح حتى الآن فى تمرير ميزانية الحكومة للعام ٢٠٠٨، بما فيها من استقطاعات، دون أن يقدم سيناريوهات تهديد وتخويف من كارثة محتملة. ولكن محك الاختبار الحقيقى له لن يأتى إلا فى يوم عاصف، عندما يكون الاقتصاد أمام منعطف دراماتيكى وتحولات سريعة. ربما يحدث هذا قبل ما كان يتوقعه بار أون، حيث جاءه النبأ السار بشأن تطورات ملف قضيته.

بعد شهرين من تولى الوزارة، الوضع ليس سيئاً بالنسبة له فى هذا المنصب، ولكن من الواضح أن نفسه لازالت تتوق إلى وزارة الداخلية. عندما يتحدث عن شئون وزارة المالية، خلال الحوار الحصرى الأول الذى أجراه معه ملحق العيد بصحيفة "يديعوت أحرونوت"، توخى الوزير الحذر الشديد فى اختيار كلماته التى جاءت موزونة ومحسوبة.

❖❖ التوقعات الكبرى لزليخا:

فور توليه وزارة المالية، حرص بار أون على إبلاغ الدوائر المحيطة به بقراره بشأن إنهاء فترة ولاية المحاسب العام، الدكتور يارون زليخا. إنه لديه الكثير



ليقوله ضده، ولكنه لم يوجه أى إهانة إليه أيضاً، حيث يتوخى الحذر من أن يدعوه باسمه، وكان يقول فقط "المحاسب العام".

❖ ما هى القشة التى قسمت ظهر البعير مع زليخا..؟

- "لا توجد قشة، ولا يوجد بعير. الرجل أنهى فترة ولايته. انتهى عقد عمله، وقررت عدم التجديد له. إننى من أنصار نظام تناوب المناصب. ويبدو لى أن المحاسب العام أيضاً من مؤيدى ذلك".

❖ زليخا يعتقد أنك تنتقم منه، لأنه أثار الشبهات لدى مراقب الدولة ضد صديقك، إيهود أولمرت، فى قضية بيع بنك ليئومي.

- "لم أتحدث قط، ولو بكلمة واحدة، مع أولمرت بخصوص المحاسب العام، ولولا أن عقده انتهى لما كنت لأطالبه بالاستقالة".

❖ لماذا، هل يروق لك عمله..؟

- "عندما كنت وزيراً للداخلية، جمعنى لقاء عمل واحد مع المحاسب العام، ورغم وجود خلافات في الآراء بيننا، إلا أن الخلافات كانت موضوعية تماماً. وزراء المالية السابقين لى حاولوا إقالته، وتشاوروا مع مستشارين قانونيين، وبعد أن تلقوا إجابات سلبية انصرفوا عن هذا الموضوع. عندما علمت ذلك، لم يخطر ببالى محاولة إقصاءه عن منصبة قبل انتهاء فترة ولايته".

❖ إذا عمل مراقب الدولة على توفير الحماية لزليخا حيال الإقالة، مثلما يريد، هل ستلجأ وزارة المالية إلى المحكمة وتطالب بإجباره على إنهاء فترة ولايته..؟

- "لن يتم تجديد عقد المحاسب العام الحالى تحت

أى ظرف. سوف ينتهى عقده فى الموعد المحدد، أى فى التاسع عشر من أكتوبر القادم، حتى لو بتت المحكمة فى الأمر. يجب تعيين محاسب عام جديد. إسرائيل لن تظل دون محاسب عام. وليس لدى استعداد لقول أكثر من ذلك".

◆ كيف دار الحديث بينك وبين زليخا عندما أبلغته بعدم تجديد عقده..؟

– "دار الحديث بيننا بلهجة حادة، مع مراعاة الاحترام والتقدير المتبادل. وإننى أشدد على كلمة المتبادل. كان الحديث موضوعياً جداً، يسوده جو من الاحترام. بالمناسبة، حتى أفراد أسرتى يقدرون عمل المحاسب العام".

◆ هل جئت مزوداً بالرأى القانوني..؟

– "قرارى قائم على كل ما يجب أن يستند عليه قرار لوزير المالية قبل إقدامه على خطوة كهذه".

◆ أنت تبدو كمحامي.

– "إننى أحاول أن أظل مرتكزاً على مجال الحقائق وألا أنساق وراء العاطفة".

◆◆ حبى الصادق لعوفير عيناى:

يتمتع بار أون بروح الدعابة، بما فى ذلك القدرة على السخرية من نفسه، وهى صفة نادرة لدى وزراء المالية. هناك صفة أخرى لم يتسم بها كل من سبقوه فى المنصب، ألا وهى اعتناقه أيديولوجية اقتصادية منهجية. لقد وصل إلى الكنيست وإلى الحكومة من مكتب المحاماة الشهير الذى يديره، والذى يحقق له أرباحاً كبيرة. وقبل كذلك، عمل على مدار سنوات كرئيس لنادى بيتار يروشاليم، وكان عضواً فى مجلس إدارة اتحاد كرة القدم. أكثر الموضوعات الشهيرة له خارج قسم الرياضة ونشرت رغماً عنه كانت "قضية بار أون – الخليل". حدث ذلك فى ١٩٩٧، وكانت التهمة أن هناك صفقة أبرمت بين رئيس الوزراء نتنياهو آنذاك وحزب شاس تحت رئاسة آرييه درعى لتعيين بار أون مستشارا قانونياً للحكومة. وكان المقابل هو تأييد شاس لاتفاق الخليل بين نتنياهو وعرفات.. وفى أعقاب تفجر هذه القضية تنازل بار أون عن منصب المستشار القانونى واقتحم مجال السياسة عام ٢٠٠١ .

◆ جهاز خدمات الدولة لازال يجتذب أناس أكفاء..؟ هل هناك من لدية استعداد لترك القطاع الخاص بالرواتب التى تدفعونها..؟

– "ليس سهلاً الحفاظ على قواعد وزارة المالية التى تتسم بوجود أصحاب المناصب المرموقة. سوف أسعى لتشكيل فريق عمل ممتاز، ذو خبرات متنوعة، يتمتع بنزاهة ورصيد من التأييد الجماهيري. أناس أكفاء وليست شخصيات تختلف حولها الآراء".

◆ من هو مرشحك لرئاسة شعبة الميزانيات، والتى تعد أحد أهم الوظائف ذات النفوذ فى الدولة..؟

– "كنت أود بشدة أن يظل رئيس الشعبة الحالي، كوبى هابر، حتى نهاية فترة ولايته فى بداية العام القادم. فهو يقوم بعمل رائع. إذا أقنعته بعدم ترك المالية قبل ذلك، سأكون ممنوناً. إننى أؤيد تولى المناصب لفترة ولاية كاملة، وليس أكثر من ذلك".

◆ الساسة الذين يجلسون على مقعد وزير المالية يمرون بعملية تحول مدهشة، فقبل يوم من حلف اليمين يعلنون عن اعتزامهم الحد من النفوذ الكبير الذى تمتلكه وزارة المالية، وبعد يوم من تعيينهم، يتشبثون بشدة بهذه الصلاحيات. فهل أنت أيضاً كذلك..؟

– "عندما كنت وزيراً للداخلية، لم يكن هناك أحد مثلى يقوم بتوزيع الصلاحيات. لقد فعلت ذلك بمحض إرادتى الحرة، حيث منحت مزيد من الصلاحيات لرؤساء السلطات المحلية، مع خضوعهم للرقابة والإشراف المناسبين. ولكن الوضع فى وزارة المالية مختلف. فالمركزية هنا حتمية. ووزير المالية يرى نصب عينيه الصورة الشاملة للاقتصاد، واحتياجات كل دواوين الحكومة، وجدول أولوياته يجب أن يعكس السياسة القومية العامة. لذلك، ورغم رغبتى فى توزيع الصلاحيات، سأضطر لأن أكون حذراً جداً. سنبدأ المسيرة بتوسيع الصلاحيات الخاصة بالميزانية لوزارة حكومية أخرى، على سبيل المثال، تختارها شعبة الميزانيات. ولنرى كيف سيجرى العمل هناك، وبعد ذلك ستقوم تدريجياً بتوسيع الدائرة".

◆ لقد توليت وزارة المالية منذ سبعة أسابيع فقط، ونجحت فى الوصول إلى اتفاق طويل الأجل حول رواتب العاملين بالحكومة دون انفجارات ودون اعتصامات ودون تصريحات دعائية. خلافاً لسلفك، يبدو وكأنك لا تعتبر الهستدروت عدواً للدولة.

– "أنا بالفعل لا أعتبر الهستدروت عدواً، ورئيس الهستدروت الحالى أيضاً لا يعتبر وزارة المالية عدواً، خلافاً لسلفه".

◆ رونى بار أون وعوفر عيناى – قصة حب.

– "بدأ التعارف بيننا خلال أزمة الرواتب فى السلطات المحلية، عندما كنت وزيراً للداخلية، ومنذ ذلك الحين نجحنا فى بناء علاقات ثقة. يقول عيناى ما يخطر على باله. ليس هناك نفاق بيننا. هو جرئ ويقوم بعمله على أكمل وجه. التفاوض معه حول اتفاقات الأجور فى القطاع العام انتهى بالتوصل إلى حلول وسط معقولة فى كل نقاط الخلاف".

◆ لقد خاب ظن الساسة والمحللين الذين توقعوا إضرابات طويلة وأزمات تغطيها وسائل الإعلام.

– "إننى أعرف نظرية العراك المتواصل التى اتبعها

وزراء مالية سابقين، وإننى أقبلها. العراك المصاحب بتغطية إعلامية هو بالنسبة لى بمثابة الخيار الأخير فحسب، وليست مبدأ مقدساً".

❖❖ أهم ملاحظة على نتنياهو:

يقطن بار أون، المتزوج من محامية ولدية ثلاثة أبناء، فى مستعمرة موتسا عيليت. هاجرت أمه إلى إسرائيل بصحبة "أطفال طهران"، هؤلاء الأطفال اليتامى الذين تم تهريبهم إبان الحرب العالمية من بولندا إلى الاتحاد السوفيتى سابقاً، ومن تم تهريبهم إلى البلاد عبر إيران. والده أحد الناجين من أحداث النازي. ويبتسم قائلاً: "والدتى لم تفكر لى سوى فى أشياء جيدة. ولكنها لم تقم بإعدادى منذ الطفولة لأصبح وزيراً للمالية".

❖ أى نموذج من وزراء المالية مقرب إلى قلبك..؟ نتنياهو أم بيجه شوحاط..؟

– "النموذج الذى أمثله أنا. لا أريد تقليد وزير مالية سابق، ولن أكون مثل أى أحد آخر. كما أن الوزراء الذين اعتبرهم الجميع ممتازين ارتكبوا أخطاء جسيمة، ووزراء المالية الذين اعتبِّروا سيئين حققوا نجاحات".

❖ هل يشهد الاقتصاد ازدهاراً بفضل بيبى مثلما يزعم..؟

– "لقد وجد نتنياهو، بعد أشهر معدودة من توليه وزارة المالية، طريقة لمحو كل ما فعله سلفه، سيلفان شالوم، وزعم بأنه – وحده – مخلص الاقتصاد. وهذا ما يعتقده حتى اليوم. وإننى لا أريد التقليل من أهمية العديد من الإجراءات التى اتخذها نتنياهو، والتى كانت مهمة ودراماتيكية فى الوقت ذاته، ولكن لا يمكن أيضاً تجاهل تأثير الانتعاش الاقتصادى العالمى على الازدهار الاقتصادى فى إسرائيل".

❖ رفع نتنياهو راية الإصلاح وتباهى بها، فأين هى اليوم..؟ هل نكست الراية الآن..؟

– "بالقطع لا، ولكنى أرى أن الإصلاح ليس هدفاً فى حد ذاته، وإنما مجرد وسيلة. لا يجب أن نبدأ إصلاحات فرص نجاحها غير مؤكدة".

❖ هل ترى أن هناك حاجة لتعديل إصلاحات نتنياهو..؟

– "هناك حاجة لبحثها بشكل منهجى وبحث تداعياتها. على سبيل المثال، ترددت مزاعم خطيرة حول ما يحدث فى موانئ إسرائيل. قمنا ببحث الوضع، واتضح لنا ما يجب تعديله وما يجب إصلاحه".

❖ هل تعتزم أن تضع الإصلاحات العظيمة الأخرى التى قام بها نتنياهو، "إصلاحات بيخر"، على محك الاختبار فى سوق المال أيضاً..؟

– "إننى أعتزم تشكيل لجنة عامة موسعة، بالاشتراك مع محافظ بنك إسرائيل، لبحث بنية وأداء سوق المال بعد إصلاحات بيخر. وسوف يتولى رئاسة اللجنة مدير عام وزارة المالية، ياروم أرياف، كما سيشارك فى عضويتها رؤساء مؤسسات التنظيم، بدء من هيئة الأوراق المالية، وانتهاء بالمشرف العام على البنوك. ولن يقتصر الأمر على هؤلاء فحسب".

❖ هل يمكنك الإفصاح بالأسماء..؟

– "حالياً لا.. لكن لا داعى للقلق، حيث إنهم أشخاص متميزين فى مجال تخصصهم".

❖ وهل ستبلور اللجنة إصلاحات بيخر ٢ ..؟

– "كانت بعض التغييرات التى أحدثتها إصلاحات بيخر جيدة، وبعضها لم يكن جيداً، وبعضها الآخر لم يحدد موقفه بعد. واللجنة الجديدة ستبحث تأثير تلك التعديلات حتى الآن، وما إذا كانت هناك حاجة إلى إجراءات تكميلية، وستوصى بها. وسوف يكون خطاب تعيينها واسع، ولن يقتصر فقط على البنوك".

❖ لم يجف حبر التشريع بعد.

– "لقد نشأ فى سوق المال وضعاً يتيح استخلاص دروس حقيقية. هذا هو مبدئى فى الإدارة: رصد الخطأ ثم إصلاحه فوراً. لا تنتظر ولا تتورط. كما أن تشكيل لجنة جديدة أمر مطلوب، حسبما ورد فى تقرير اللجنة الأصلية. إن أية آلية تنظيم فى إسرائيل فى حاجة لتنشيط حقيقي. فلم تطرح قط لدينا أسئلة مثل: ما مدى عمق التنظيم المطلوب..؟ وما تكلفته مقابل فائدته..؟ وهل يستطيع تشجيع التنافسية وتقليل المركزية..؟ أم أنه فقط يوسع البيروقراطية ويزيد القيود..؟".

❖ حسناً، هل ستشكل لجنة عامة أيضاً لدراسة آلية التنظيم..؟

– "قبل أى شيء سنطرح الأمر للمشورة داخل وزارة المالية. وإذا توصلنا لنتيجة مفادها أن هناك ضرورة لإحالة بحث هذا الموضوع إلى لجنة عامة، لن أتردد فى تشكيلها".

❖ هل سيتم التوقيع على اتفاق الأجور فى بنك إسرائيل الذى أحبطته وزارة المالية لأكثر من سنة..؟

– "هذا موضوع انتهى بالفعل. إننا على وشك الوصول إلى حل أكثر من أى وقت مضى. أنا والمحافظ ستانلى فيشر نتحدث بنفس اللغة. بعد انتهاء الأعياد، سنبذل نحن الثلاثة، رئيس الوزراء والمحافظ وأنا، جهداً مشتركاً لتمرير قانون بنك إسرائيل الجديد على الكنيست فى أسرع وقت ممكن".

❖ لقد أنهت إحدى اللجان بالفعل عملها، لجنة شوحاط للتعليم العالي، والطلبة يهددون مرة أخرى بالإضراب، ورؤساء الجامعات يبحثون عدم بدء السنة الدراسية.

– "ستبدأ السنة الدراسية فى مؤسسات التعليم العالى فى موعدها، وسوف نتوصل إلى اتفاق مع الطلاب حول المصاريف الدراسية. ما من أحد يهمه مصير

الجامعات يمكن أن يخاطر باتخاذ إجراء قد يؤدى إلى إلغاء توصيات لجنة شوحاط. تلك التوصيات هى طوق النجاة ومحرك الإصلاح بالنسبة للتعليم العالى فى إسرائيل. هذه فرصة قومية لا يجب إهدارها".

- "يجب تطبيق توصيات اللجنة بحذافيرها، وأخذها ككتلة واحدة، ولا يجب أن تختار كل جهة ما يروق لها من التوصيات وتجاهل الباقي. حيث أن كل الموضوعات متشابكة: تحويل المزيد من الأموال، وتحسين جودة التدريس، ومنح حوافز للباحثين الشباب الذين يهربون إلى الخارج، وما إلى ذلك. لدينا الوقت وسنتوصل إلى اتفاقات".

◆◆ نعدكم بأنكم ستحبوننا:

انتخب بار أون للمرة الأولى فى الكنيست السابقة على قائمة الليكود، ولكنه تركه مع شارون، وخاض الانتخابات فى الكنيست الحالية على قائمة كاديما. باستثناء ذلك، وفوق كل هذا، هو أحد الأصدقاء المقربين لرئيس الوزراء "إيهود أولمرت". وهذا ما دفع به، على حد قول أولمرت، إلى حقيبة الداخلية عند تشكيل الحكومة، ثم إلى المالية بعد استقالة هيرشيزون.

قال بار أون: "إننى لا أبحث عن الشهرة، ولا يوجد غلاف من النفاق والمداهنة. إننى مؤمن بالعمل الهادئ والمنظم".

◆ عشية رأس السنة نشر تقرير الفقر، ولا يحمل التقرير أخبار جديدة مقارنة بالتقرير السابق. بعد أربع سنوات من النمو، لازالت إسرائيل الدولة الأولى فى الغرب فى نسبة الفقراء.

- "إننى مطمئن بسبب توقف زيادة معدلات الفقر، ولكننى محبط تماماً لأن التراجع ليس كبيراً. أتمنى أن يكون لدينا القليل من الفقراء. لقد وضعت الحكومة لنفسها أهدافاً محددة لتقليل معدلات الفقر وزيادة فرص العمل، وسوف تحققها. هذه هى أجندتنا".

◆ هل هناك مليون جائع فى إسرائيل..؟

- "لا يوجد مثل هذا العدد من الجوعى فى إسرائيل. ومن يزعم ذلك يبث رعب مصطنع. هناك مبالغة فى بيانات الفقر: سواء من يستخدمونها لمهاجمة سياسة الحكومات أو من يحاولون الزعم بعدم وجود فقر. كلا الطرفين ينساق إلى طرق تفكير ديماجوجية. هناك تفاوت اجتماعى واقتصادى غير محتمل فى إسرائيل. وهناك عدد كبير جداً من الفقراء، ولا يجب علينا كمجتمع متقدم التسليم أمام هذا الوضع".

◆ هل سنراك قريباً تزور مطاعم الفقراء..؟

- "سأقوم قريباً بجولة لقاءات مع المواطنين فى أنحاء إسرائيل، وسأذهب أيضاً إلى مطاعم الفقراء. ستراني فى الشوارع، وليس فى حفلات الاستقبال الرسمية فحسب".

◆ سماء الاقتصاد العالمى ملبدة بالغيوم، وأسواق المال الدولية عاصفة، وهناك تأثير سلبى لكل ذلك علينا.. فهل لديك رسالة مهدأة فى هذا الصدد..؟

- "البورصة ترتفع وتنخفض، ثم تعود لترتفع مرة أخرى وتنخفض، ولذلك لن أعرب عن رأيى فى ذلك. وفيما يتعلق بالاقتصاد الإسرائيلي، سوف استند إلى كلام محافظ بنك إسرائيل، البروفيسور فيشر، والتى فحواها أن وضعنا جيد، وليس هناك سبب يجعل مشاكل قطاع العقارات فى الولايات المتحدة الأمريكية تؤثر إطلاقاً علينا، ولكن فى عصر العولمة كل الأشياء مرتبطة ببعضها البعض. وإذا وجدت مؤشرات مقلقة بشأن استقرار الاقتصاد الإسرائيلي، لا شك أننا لن نتردد عن العمل حسبما يستلزم الأمر".

◆ هل يعبر التعبير المبتذل "المال والسلطة" عن الواقع الإسرائيلي..؟

- "عندما توجد علاقات غير سليمة بين أصحاب رؤوس الأموال والساسة، لزام علينا كشف ذلك. ولكن هذه الحالات قليلة، حيث إننا نعيش هنا فى عالم كل من فيه يرى الآخر".

◆ ألا تخشى مقابلة المستثمرين حتى لا يقولون إنك تخدم مصالحهم..؟

- "لا أخشى ذلك. بصفتى وزير مالية، يتعين على مقابلة المستثمرين والاهتمام بهم وإقناعهم بالاستثمار. هل أصبح ذلك فجأة علاقة بين المال والسلطة..؟ عمل وزير المالية هو استغلال علاقاته الشخصية من أجل مصلحة الدولة.. فى إسرائيل يتصيدون فضائح الساسة ويشهرون بهم ويوصمونهم، ويبحثون بكل قوة عن الرأس التى سيقطعونها فى ميدان عام. بعض أصدقائى هم ساسة وهبوا أنفسهم لخدمة الجمهور، وضحوا بمستوى معيشتهم وحياتهم الأسرية من أجل ذلك، فماذا جنوا فى المقابل..؟ فضائح وسباب واتهامات".

◆ هل أصبحت إسرائيل أكثر فساداً الآن مقارنة بالماضي..؟

- "إسرائيل ليست دولة فاسدة. ومعايير السلوك العام أفضل الآن من الماضي، ومعالجة التجاوزات أصبحت الآن أكثر شفافية وسرعة. ولكن الشفافية تزيد الوعي، وبالتالى يتناول الرأى العام مسألة الفساد بحماسة شديدة".

◆ رأيك فى هذا الصدد غير مقبول لدى معظم الجمهور. أنت أحد أعضاء حكومة لا تحظى بشعبية على أقل تقدير.

- "صحيح أن الحكومة لا تحظى بشعبية الآن، ولكن المواطنين لديهم قدرة ممتازة على الشعور بالتغيير. وفقاً لكل الاستطلاعات، فإن الإسرائيليين سعداء جداً. وإذا استطاعت الحكومة العمل بشكل سليم، فسوف يتغير أيضاً شعور الجمهور تجاهها، وهكذا يمكن سد الفجوة".

حوار مع "عباس صوان" كابتن فريق "أبناء سخنين" سابقاً

أجرى الحوار: يوناتان جور
يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٨/٢٦

يقف "عباس صوان" أمام إحدى محلات الشوارمة فى كريات شمونه، كما لو أنه فى منزله. صحيح أنه غير موجود هنا دائماً - حيث انتقل من فريق أبناء سخنين هذا الموسم إلى فريق كريات شمونه الذى صعد إلى الدورى الممتاز - إلا أن المشجعين أصبحوا يشعرون أنه واحد منهم. فحينما كان يطلب وجبته، أراد صاحب منزله التحدث معه عن المباراة التى تنتظره يوم السبت. وقد أجاب عليه صوان قائلاً: "هناك أموراً داخلية لا أستطيع البوح بها، ولكنها بوجه عام، لن تكون أكثر من مباراة أخرى".

لقد لعب عباس صوان مباراة أمام فريق أبناء سخنين. وكل من يتابع الكرة المحلية فى إسرائيل خلال الأعوام الماضية، سيقف فيما يبدو عدة دقائق لاستيعاب هذه الجملة. فلا يوجد فى إسرائيل كثير من النجوم الكبار مثلما كان صوان لدى فريق "أبناء سخنين". وكذلك خلال الأعوام العصيبة التى مرت على الفريق فى دورى المظاليم، كان صوان يقود فريق مدينة سخنين العربية، التى تقع فى شمال إسرائيل، نحو الفوز.. وعندما بدأ الفريق يصعد إلى الدورى الممتاز، أصبح هو الذى يحقق الفوز للفريق.

كان صوان كابتن فريق "أبناء سخنين" عام ٢٠٠٤، وحمل كأس بطولة الدورى أمام جمهوره. لم يكن - وكذلك لن يكون- هناك معبود مثله فى مدينة سخنين.

عندما هبط الفريق إلى دورى الدرجة الثانية فى نهاية موسم ٢٠٠٦، انتقل صوان لفريق "مكابى حيفا". وقد اعتقد الجمهور أنه سينتقل موسماً واحداً فقط، وعندما يصعد الفريق مرة أخرى سيعود للعب ضمن صفوفه. ولكن بعدما ضمن فريق سخنين الصعود للعب فى الدورى الممتاز، فعل صوان ما لم يكن منتظراً منه، حيث وقع للعب مع فريق كريات شمونه. وقد لعب بالأمس - لأول مرة فى حياته - ضد فريقه الذى لعب معه طوال شبابه.

قبل إقامة المباراة، بذل صوان كل ما فى وسعه، يوم الخميس الماضي، حتى يُظهر أنها ليست إلا مباراة عادية، حيث قال بدبلوماسية لاعب كرة إنها "مجرد مباراة يلعبها فريقان للفوز بثلاث نقاط". ولكننا يمكن أن نلاحظ أموراً أخرى بين السطور. يقول صوان:



"يمكن تأليف كتاب حول ما تردد فى هذا الموضوع خلال الآونة الأخيرة.. صحيح أننى لم ألعب قبل ذلك ضد فريق أبناء سخنين، لذا لا أعرف ماذا سيكون رد الفعل، ولكننى سأعلم ذلك فور انتهاء المباراة".

❖❖ يجب أن تكون قائداً:

ولد صوان (٣١ عاماً) ونشأ وتربى فى سخنين. أول ظهور له كان مع فريق "هابوعيل سخنين" فى إحدى مباريات دورى الدرجة الأولى خلال موسم ١٩٩٥/١٩٩٤. ومن حينها توالت كثير من الانتصارات على منطقة الجليل السفلي، فقد صعد فريق أبناء سخنين للدورى ثلاث مرات خلال سبع سنين وكان على وشك الفوز بالدورى والتأهل للعب فى دورى أبطال أوروبا، كما أصبح صوان نفسه أحد لاعبى منتخب إسرائيل وممثل بارز للوسط العربى فى إسرائيل.

لم يعتذر صوان عن أى شيء أو لأى شخص، ولم يخش فعل أمور لا تروق للإسرائيليين. فعلى سبيل المثال، بعدما سجل هدفاً فى مرمى فريق أيرلندا، خلال إحدى المباريات المؤهلة لكأس العالم، لم ينس السجود شكراً لله، حسبما يفعل بعد كل هدف يسجله فى أى مباراة. وتمت إذاعة هذا الهدف والمشاعر التى صاحبته بعد ذلك أكثر من مرة.

قبل موسمين، عندما هبط فريق سخنين لدورى الدرجة الثانية، اعتقد صوان أنه لن يلعب مرة أخرى فى دورى الدرجة الأولى. ولم يكن تركه لمكانته فى سخنين كنجم المدينة والقطاع العربي، والتحول إلى لاعب عادى ضمن صفوف فريق مكابى حيفا عملية سهلة. يقول صوان: "لقد لعبت معظم المباريات الهامة مع فريق مكابى حيفا خلال الموسم الماضي، ولكنى أردت أن ألعب أكثر وأكون اللاعب القيادى فى الملعب".

❖ لقد اعتقد الجميع أنك ستعود للعب مع فريق سخنين حينما صعد للدورى الممتاز مرة أخرى..؟

- "لقد تفاجأ جمهورى الذى لم يتابع أخباري. ومن أراد أن ألعب لحسابه، كان يتعين عليه التحدث مع إدارة فريق مكابى حيفا، وهذا ما فعله فريق "كريات شمونه" فقط.. فقد أخبرنى رئيس النادى ومدربه أنهما يريدانى أن ألعب لحساب فريقهما. كما عرضا على توقيع عقد لمدة عامين، وكان هذا العرض هاماً لأى لاعب فى سني.

وقد تمت الإجراءات بسرعة وانتهت في يوم واحد. والأمر الذى كان يهمنى هو أننى حينما أترك فريق مكابى حيفا أواصل اللعب فى فريق بشمال إسرائيل، فقد كانت الخيارات المتاحة أمامى هى فريق أبناء سخنين وكريات شمونه. وقد أجرى فريق كريات شمونه مفاوضات مع فريق مكابى حيفا، فى حين لم يُجرِ فريق أبناء سخنين أى اتصالات".

◆ هل فريق أبناء سخنين لم يكن يريدك..؟

- "أراد فريق أبناء سخنين أن ألعب لحسابه، وتحدث معى المدرب إليشع ليفي، ولكن هناك أمور صعبة للغاية تفوقنى أنا والفريق، منعتنى من عدم الرجوع إليه".

يلتزم صوان بالتعهدات التى قطعها على نفسه، ويحرص على عدم البوح بأسماء، ولكن يبدو أنه يتحدث عن مازن غنايم، رئيس النادي. فقد كان يبدو الاثنان وجهان لعملة واحدة تسمى سخنين، غير أن العلاقة توترت بينهما فى فترة معينة.

تجدر الإشارة إلى أن غنايم لديه أقوال أخرى تجاه ما حدث فى الصيف الماضي، حيث يقول: "لقد جلست مع صوان وحاولت إقناعه بالعودة واللعب مع الفريق. وقد أخبرنى عن المبلغ الذى يتقاضاه مع فريق مكابى حيفا، فقلت له إننا لا نستطيع الموافقة على هذه الشروط. وانتهى الأمر بسبب المال. وإننى لست غاضباً من عباس، بل أشجعه فى كل المباريات ما عدا مباراة يوم السبت".

◆ كيف كانت العلاقة بينكما..؟

- "أنا وعباس أصدقاء، نمارس كرة القدم، ولسنا فى حرب. ومن الواضح أن اختياره للعب فى فريق كريات شمونه هو أحد حقوقه الشرعية، فهو إنسان بالغ".

لقد شعر أهالى كريات شمونه بالسعادة لانضمام عباس صوان. فعندما يتجول فى الحى الذى يقيم فيه حالياً بشكل مؤقت، يحيطونه الأطفال ويقولون له "هل ستأتى وتلعب غداً عندنا..؟" فيجيبهم "لا، فهناك مباراة ستقام بعد الغد، وسوف ألعب عندكم الأسبوع القادم، هل هذا جيد...؟". بعد موسم من اللعب مع نجوم مثل يانيف قاطان، جوستوبو بوكولى وروبرتو كولاتي، أصبح صوان قادراً على أن يكون لاعباً قيادياً، مثلما كان فى فريق سخنين. يعترف صوان قائلاً: "لقد تفاجأت من استقبال الأهالى لى فى كريات شمونه. فعندما كنت أدرس، مررت بتجربة فى كريات شمونه، حيث لم يكن يعرفنى هناك أى شخص، وكان الأطفال فى غاية الحماقة معى وشرعوا فى مضايقتى لأننى عربي". هذا هو السبب الذى كان يخيفنى قليلاً قبل مجيئى إلى هنا، ولكنهم على العكس استقبلونى بشكل رائع".

بوجه عام، الأندية التى تصعد إلى دورى الدرجة الأولى تأمل فى أن تكمل الموسم، ولكنهم فى كريات شمونه يريدون أكثر من ذلك. ونظراً لأن هذا هو أول موسم فى التاريخ للنادى فى الدوري، فإن أصحاب الفريق رصدوا له ميزانية كبيرة، وهى الميزانية الخامسة من حيث الحجم بعد أكبر أربعة أندية كرة قدم فى إسرائيل. وقد شكّل المدرب ران بن شمعون فريقاً أجنبياً ممتازاً، من لاعبى الدورى البارزين، كان فى مقدمتهم عباس صوان وشافيط أليملخ.. يقول صوان: "إن اللاعب الذى انضم لفريق كريات شمونه سيأخذ ضعف ما كان يأخذه لاعب يلعب فى نادى فى وسط إسرائيل. كما أن الحرب وكذلك المسافة البعيدة يلعبان دوراً هاماً فى اعتبارات اللاعبين الذى يأتون إلى هنا".

◆ ماذا ستشجع أسرة صوان يوم السبت..؟

- "هذا يتوقف على رغبة كل شخص. ولذا، لن أسألهم. ولكن بوجه عام، الأسرة تميل إلى تشجيع ابنها، وإن كان هناك من يحبون سخنين أكثر. ومن ينظر إلى كرة القدم على أنها مهنته، يجب عليه إدراك ذلك".

◆ ألا تشعر بأى عاطفة تجاه فريق سخنين..؟ ألم تشعر بالسعادة عندما فازوا على فريق مكابى حيفا خلال الأسبوع الماضي..؟

- ضحك عباس صوان قائلاً: "لقد كان هذا لقاء دربي. والأمر لن يتغير فى حالة تشجيع أى فريق، ولكن يجب أن يكون فريقك الثانى هو فريق أبناء سخنين. وقد شعرت بالسعادة، رغم أننى أحب الفريقين".

لكن عباس صوان يعلم أنه ليس كل من فى سخنين يشاركونه سعادته. وعندما ترك فريق سخنين وانتقل للعب مع فريق مكابى حيفا، لم يغضب منه أى أحد. فقد كان واضحاً للجميع أن دورى الدرجة الثانية لا يليق بلاعب فى مكانته. ولكن ثار غضب الجمهور عندما عاد فريق سخنين للعب فى الدورى الممتاز، ولم يسرع صوان فى العودة إليه.

قال أحد المشجعين قبل بداية المباراة: "عباس غير مناسب تماماً لفريق سخنين، فقد كان رمزاً، ولكنه خائن. وهناك لاعبون مثل يفوريان فضّلوا المجيء إلى هنا واللعب بمبلغ أقل، من أجل هذا النادى وهذا الجمهور. ولكن عباس انتقل إلى فريق آخر.. صحيح أن فريق سخنين عرض عليه مبلغاً أقل مما عرضه فريق كريات شمونه، ولكنهم وافقوا على أن يمنحوه دوراً قيادياً فى الفريق لمدة عشر سنوات. عندما صعدنا لأول مرة إلى الدورى الممتاز، لم يكن هناك مثل عباس صوان. فلم نكن نحضر المباريات سوى من أجله، وكان له دور هام فى الإنجازات التى حققها فريق سخنين. ولن يحقق فريق كريات شمونه ما حققه له فريق أبناء سخنين حتى ولو بعد مائة عام.. ومن ثم، فإن الأمر عند عباس لا يعدو كونه مسألة مادية".

هناك أيضاً من يعتقدون أن ترك عباس صوان للفريق ليس خيانة للوسط العربي. يقول عباس: "لم أفكر فى هذا مطلقاً، ولكن قد يكون هناك مشجعون يعتقدون ذلك، فهم دائماً يوجهون سباباً ويرددون هتافات" (يقصد أن هذه طبيعة جمهور الكرة).

❖ لقد كنت نجم فريق سخنين فى أعين القطاع العربي، والآن تلعب ضدهم لتهزمهم..؟

- "هناك أشياء تتغير بمرور الحياة، وهناك أشياء فى القلب لا يمكن البوح بها، ربما أتحدث عنها بعدما أعتزل، ولكنى لا أستطيع التحدث عنها فى الوقت الحالي، حيث توجد أشياء فى كرة القدم لا أحبها، سواء بين اللاعبين أو تصدر من الجمهور.. هذه الأشياء - إضافة إلى مشاعرى - أمور أحتفظ بها لنفسي".

❖❖ "هنيئاً له":

لقد امتلأ إستاد سخنين بالجمهور، كالمعتاد، وهم يعلمون أن هذه ليست مجرد مباراة، فقد عاد صوان إلى المدينة.

يبدو واضحاً أن معظم المشجعين لا يشعرون بالغضب تجاه صوان. فقد قال أحد المشجعين: "إننا نحبه وسنحضر له أكاليل الزهور. وليأخذ المال من فريق كريات شمونه، ولكنهم سوف يهبطون من الدورى الممتاز، وحينها سيعود عباس إلينا. فقد تربى هنا، ولعب فى أزقة سخنين، بين تلك الأشجار. هذا هو بيته.. ولكن إن كان يريد جمع المال، فهنيئاً له".

يقول مشجع آخر: "لا يجب على الجمهور التفوه بأى كلمة سيئة ضد صوان. فقد صعدنا معه إلى الدورى الممتاز، وفزنا بالكأس. إذن ماذا فى أن يترك الفريق..؟ هذا هو مصدر رزقه. لقد خدم فريق سخنين طوال خمسة عشر عاماً. ويجب عليه التفكير فى جمع المال وهو فى سن الثلاثين. وأتمنى عدم توجيه سباب له أثناء المباراة، فهو أولاً، وقبل كل شيء، أحد لاعبى فريق سخنين. وإذا أراد العودة سنرحب به".

وهناك من لا يخشى مهاجمة هذا الرمز، حيث يقول المشجع عزام حسن: "عباس صوان هو أكبر خائن، فقد ترك الفريق ليس من أجل أمور خاصة، ولكن بحثاً عن المال".

❖ وماذا إذا أراد العودة..؟

- "سنفكر فى هذا الأمر حينها".

قبل بداية المباراة، نزل "مازن غنايم" إلى أرض الملعب ليتحدث إلى الجمهور. وقد هنأ فريق كريات شمونه، وطلب من الجمهور أيضاً تشجيع عباس صوان، فامتثل الجمهور وبدأ يردد: "عباس صوان له مكان فى القلب".

وعندما بدأت المباراة، بدا صوان كعادته، يلعب بقوة، ولا يخشى ارتكاب أى مخالفات، حتى وهو يلعب أمام أصدقائه القدامى. أما مشجعو فريق كريات شمونه فقد بدأوا يشجعون صوان، ويبدو أنه كان استفزازاً لمشجعى فريق سخنين. ولكن ذلك لم يغير من الأمر شيئاً عند صوان. وبعدما انتهت المباراة بالتعادل بدون أهداف، أدرك صوان على الأقل أن فريق سخنين مازال فريقه الأساسي".

يقول صوان: "إن كل ما أردته فى حياتى هو تحقيق النجاح مع سخنين، ولكن هناك أشياء تحدث فى الحياة تغير من تفكير الإنسان. وقد وصلت إلى قرار يلزمنى بترك الفريق، وشعرت بالسعادة حينما فعلت ذلك. وربما أعود إلى فريق سخنين كمدرب بعد عامين أو ثلاثة، فالمستقبل غير واضح. ولكن ما يهمنى الآن هو وجودى مع فريق كريات شمونه، الذى أصبح فريقاً خطيراً ومخيفاً.. كما أننى اعتدت طوال حياتى ألا أنظر إلى الوراء".

◆ ترجمات عبرية ◆



استطلاعات

مقياس السلام لشهر أغسطس ٢٠٠٧ (*)

أجراه: إفرايم ياعر وتمار هيرمان
هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١٠

يبدو أن هناك تغيراً فى الميل التقليدى من جانب الجمهور الإسرائيلى اليهودى لتبنى - دون توجيه أى انتقادات - قراءة الوضع التى أعدها صناع القرار فيما يتعلق بالعلاقات مع الدول العربية. ورغم أن معظم الجمهور الإسرائيلى - اليهودى لا يتوقع التوصل لسلام فى المستقبل القريب مع سوريا، إلا أن هناك أغلبية تعتقد، رغم الأنباء المتكررة فى وسائل الإعلام والتصريحات من قبل الساسة بشأن التوتر بين إسرائيل وسوريا، أن البلدين غير قريبين فى الآونة الأخيرة من اندلاع حرب بينهما. وهناك أغلبية أكبر تؤمن بفرص بدء الدولتين، فى المستقبل المنظور، فى مفاوضات سلام أو بقاء العلاقات بينهما كما هي، ولا تؤمن بفرص اندلاع حرب بينهما.

كما ظهرت هذه الشكوك أيضاً فيما يتعلق بالعلاقات مع الفلسطينيين، حيث تعتقد الأغلبية أن أولمرت استأنف المفاوضات السياسية مع أبو مازن من أجل دعم مكانته قبل صدور التقرير الكامل للجنة فينوجراد (المعنية بالتحقيق فى مجريات حرب لبنان الثانية)، وليس بسبب توافر ظروف تزيد من فرص التوصل لاتفاق سلام. فضلاً عن ذلك، تعتقد الأغلبية أن الحكومتين - الإسرائيلية والفلسطينية - لا يتمتعان بالقوة الكافية للتوقيع على اتفاق سلام ينطوي على تنازلات كبيرة متبادلة. فى حين تعتقد أقلية، لا تذكر، أن هذه الاتصالات فرصة جيدة للتوصل لاتفاق سلام.

وفيما يتعلق بضعف حكومة أولمرت، هناك إجماع كبير بأنها حكومة سيئة إلى حد ما أو سيئة للغاية، الأمر الذى يوضح رغبة معظم الجمهور اليهودى فى صدور تقرير فينوجراد الكامل قريباً.

وفيما يتعلق باستمرار سقوط صواريخ القسام على سديروت والمنطقة المحيطة بها، نجد أن الاعتقاد السائد بين مختلف المعسكرات هو أن الجمهور يبرر تنفيذ عملية عسكرية واسعة النطاق لإسرائيل فى قطاع غزة من أجل وقف إطلاق الصواريخ. فضلاً عن ذلك، توجد حالياً أغلبية تعارض إجراء إسرائيل لاتصالات مع أبو مازن، بهدف التوصل مع الحركة لاتفاق لوقف إطلاق الصواريخ.

وفيما يلي أهم نتائج مقياس السلام لشهر أغسطس الذى أجرى فى الفترة من ٣ - ٥ سبتمبر:

◆ رغبة عارمة فى صدور التقرير:

رغم الأنباء الكثيرة التى رددتها وسائل الإعلام عن حالة التوتر بين سوريا وإسرائيل، ورغم التصريحات فى هذا الصدد من جانب مختلف صناع القرار، من القيادة المدنية والقيادة العسكرية، يبدو أن الجمهور الإسرائيلى - اليهودى غير مقتنع بأن إسرائيل وسوريا كانتا على وشك الدخول فى مواجهة عسكرية. ويعتقد ٢٩٪ فقط أنه كانت هناك فرصة لاندلاع حرب، مقابل ٥٧٪ لا يعتقدون ذلك (١٤٪ لا يعرفون). وفيما يتعلق بالمستقبل القريب، يعتقد ٢٩٪ فقط أن هناك فرصة معقولة لاندلاع حرب بينهما، بينما يعتقد ٤٢,٥٪ أنهما ستجريان مفاوضات سياسية، ويعتقد ١٦٪ أن الوضع سيظل كما هو عليه (١٣٪ لا يعرفون).

من بين ناخبى كل الأحزاب فى انتخابات الكنيست الأخيرة، هناك أغلبية بين ناخبى حزبى الليكود وشاس يعتقدون أن الحرب ستندلع بينهما، فى حين ترى الأغلبية داخل باقى الأحزاب عكس ذلك.

وقد ظهرت شكوك الجمهور إزاء قراءة الوضع، التى أجراها صناع القرار، فى التقديرات بشأن استئناف الاتصالات مع الجانب الفلسطيني. فعلى سبيل المثال،

هناك ٤٩,٥٪ يعتقدون أن أولمرت استأنف الاتصالات مع أبو مازن من أجل دعم مكانته التى تضررت بسبب صدور التقرير المرحلى للجنة فينوجراد، وقبل صدور التقرير الكامل للجنة، بينما يعتقد ٢٧٪ أن أولمرت استأنف الاتصالات مع أبو مازن لأن الظروف التى نشأت مؤخراً تتيح بصورة أكبر من الماضى إدارة مفاوضات مع الفلسطينيين (٦٪ يوافقون مع الرأيين بنفس القدر والباقون لا رأى واضح لهم فى هذا الشأن).. وكما هو متوقع، فإن حزب كاديما هو الوحيد الذى يعتقد معظم ناخبيه أن استئناف الاتصالات جاء نتيجة لتغير الظروف، حيث أرجع ٥٠٪ استئناف الاتصالات لذلك، مقابل ٣٥٪ أرجعوه لرغبة أولمرت فى تدعيم مكانته.

والاعتقاد السائد هو أن حكومة أبو مازن (٨٤٪) وكذلك حكومة أولمرت (٧٣٪) لا تتمتعان بالقوة الكافية للتوقيع على اتفاق سلام باسم الشعبين (الإسرائيلى والفلسطيني)، على افتراض أن مثل هذا الاتفاق سيتضمن تنازلات كبيرة. ولهذا السبب، لا عجب فى أن ٦٠٪ من الجمهور يعتقدون أن الفرص ضئيلة لأن تؤدى الاتصالات الدائرة مؤخراً إلى التوصل لاتفاق سلام (٣٠٪ يعتقدون أن الفرص متوسطة و٤,٥٪ يعتقدون أن الفرص كبيرة). تجدر الإشارة إلى أن ناخبى كل الأحزاب يجمعون فى الرأى على أن الفرص ضئيلة.

وفيما يتعلق بضعف حكومة إسرائيل - الذى يقل عن ضعف حكومة أبو مازن - هناك إجماع كبير بين الجمهور (٧٨,٥٪) بأنها حكومة سيئة إلى حد ما أو سيئة للغاية. وتجدر الإشارة إلى أن ٦٠٪ من ناخبى حزب كاديما يعتقدون أن ذلك هو حال الحكومة بقيادة أولمرت. على هذه الخلفية ربما يمكن تفسير حقيقة أن معظم المشاركين بالاستطلاع (٥٢٪) يعتقدون أن من الأفضل للدولة أن تصدر لجنة فينوجراد تقريرها الكامل فى المستقبل القريب، بينما يعتقد ٣٠٪ أن صدوره فى غير صالح إسرائيل.

◆ فرص ضئيلة:

فضلاً عن ضعف الأطراف المتحاورة، يرى ٥٥٪ أن العنصر الرئيسى لعدم التقدم المتوقع فى المباحثات هو التعارض التام بين المصالح القومية للطرفين، فى حين أن ١١٪ يرجعون ذلك لإصرار الطرفين على عدم تقديم التنازلات المطلوبة.. ورغم ذلك، توجد أقلية ضئيلة تعتقد أن فرص المفاوضات كبيرة.

لكن بينما تعتقد الأغلبية بين الفريق الأول أن الاحتمال ضئيل، فإن الأغلبية بين الفريق الآخر تعتقد أن الفرصة متوسطة.. والسبب فى ذلك واضح، ومفاده أن رفض تقديم تنازلات قد يتغير فى ظروف معينة ويؤدى للتوصل لاتفاق، ولكن إذا كان العائق هو التعارض التام فى المصالح، فإن الفرص ضئيلة حقاً لأن تؤدى المفاوضات فى نهاية المطاف لاتفاق.

وفيما يتعلق باستمرار سقوط صواريخ القسام على سديروت والمنطقة المحيطة، هناك أغلبية ملحوظة (٦٩٪) - كما كان الحال فى الماضي- تبرر شن عملية برية واسعة النطاق فى غزة. ونحن بصدد أغلبية من مختلف المعسكرات، بما فى ذلك ناخبى حزب العمل (٦٤٪) وكذلك ناخبى حزب ميريتس (٦٧٪).

وعلى عكس ما كان سائداً فى الماضي، يبدو أن بداية الاتصالات - مهما تكن أهميتها - مع حكومة أبو مازن، أدت إلى وجود أغلبية (٥٢٪) الآن تعارض إجراء مفاوضات مع حماس بشأن وقف إطلاق النار (٤٢٪ لازالوا يؤيدون إجراء هذه الاتصالات والباقون لا رأى لهم). وهنا، تظهر بوضوح الاختلافات بين اليسار واليمين، حيث إن أغلبية ناخبى حزب العمل (٦٢٪) وناخبى حزب ميريتس (٦٦٪) هى التى تؤيد إجراء هذه المفاوضات، بينما تميل كفة المعارضة نحو ناخبى سائر الأحزاب.

(◆) مؤشرات السلام لهذا الشهر:

بلغ مؤشر أوسلو فى إجمالى العينة: ٣١,٥، وبلغ فى العينة اليهودية: ٢٧,٧ .

بلغ مؤشر المفاوضات فى إجمالى العينة: ٤٦,٩، وبلغ فى العينة اليهودية: ٤٣,٦ .

بلغ مؤشر سوريا فى إجمالى العينة: ٣٢,٥، وبلغ فى العينة اليهودية: ٢٧,٤ .

يجرى مشروع مقياس السلام فى مركز تامى شتاينمتس لأبحاث السلام وبرنامج إيفنس Evens فى جامعة تل أبيب لبحوث النزاعات وتسويتها، برئاسة البروفيسور إفرايم ياعر والبروفيسور تمار هيرمان. أجرى الاستطلاعات الهاتفية معهد ب.ي. كوهين فى جامعة تل أبيب فى الفترة من ٢ - ٥ سبتمبر ٢٠٠٧، وشملت ٥٨٩ مشاركاً يمثلون السكان الراشدين من اليهود والعرب فى إسرائيل (بما فى ذلك يهودا والسامرة "الضفة الغربية" وقطاع غزة والمستعمرات التعاونية "الكيبوتس"). وتبلغ نسبة الخطأ فى العينة نحو ٤,٥٪.

مقياس التهديدات الأمنية على إسرائيل لشهر سبتمبر ٢٠٠٧ (*)

بقلم: د. جاي بيخور
المصدر: www.gplanet.co.il
٢٠٠٧/٩/١٤

◆ **عام:**

الشرق الأوسط يعج بالأنشطة الأمنية، وكافة الجهات المشاركة في هذا المقياس نشطة للغاية، حتى وإن كانت هناك إجراءات دولية تعوقهم حسبما يبدو. وبوجه عام، فإن أنشطة الجهات المعادية لنا تتسم بالإيجابية، في الوقت الذي تتسم فيه الأنشطة الإسرائيلية بالسلبية، حيث تسعى تلك الجهات لتغيير الوضع الراهن، بينما تحاول إسرائيل الإبقاء عليه. فهم يحاولون دفع المسيرة، وإسرائيل تعوقها. كما أن المسيرة السياسية التي تقودها الحكومة الإسرائيلية هي نوع من كبح الجماح. وبناء على ذلك، يجب القول إن معظم الجهات المؤيدة للغرب في الشرق الأوسط هم زعماء طاعنون في السن، منهكون أو منشغلون بالرغبة في البقاء. وفي المقابل، فإن الجهات المعادية للغرب أكثر شباباً، وأكثر استعداداً للمخاطرة، ولديهم الجرأة على تغيير الوضع الراهن.

لماذا كان شارون ظاهرة خاصة..؟ ما الذي جعله مميزاً منذ قيادته الوحدة ١٠١، مروراً بأحداث بيروت وحتى نشوب الانتفاضة الأخيرة..؟ إنه عنصر المبادرة الإيجابية.

ومع ذلك، فإن تعيين وزير دفاع جديد ورئيس هيئة أركان جديد يدل على وجود تغيير: فقد عادت إسرائيل مرة أخرى للأخذ بزمام المبادرة والمخاطرة، وأصبحت تهتم بالأنشطة الإيجابية على أعلى المستويات. وهذا أمر جيد. ولو حدث غير ذلك، فإن وضعنا كان سيتدهور مثلما حدث في عام ٢٠٠٠ .

◆ **الخطر الفلسطيني، والإرهاب التقليدي، والانتفاضة (نسبة ٧ مقابل ٨,٦) خلال الشهر الماضي:**

حسبما نعرف مما نشر على موقعنا، فإنه في اللحظة التي يعود فيها الحراك السياسي المؤثر، ستعود مرة أخرى العمليات الإرهابية، وبالطبع الرغبة في تنفيذ عمليات. وبالفعل، شهدنا الشهر الماضي ارتفاعاً في كل المستويات الإرهابية ضد إسرائيل. وأصبح الصراع الداخلي الفلسطيني خلال الأشهر الماضية في طي النسيان، والتفتت الأنظار مرة أخرى نحو إسرائيل.

للمرة الأولى يمكن ملاحظة وجود رغبة حقيقية لاستئناف العمليات الانتحارية داخل إسرائيل. لم أكتب مثل هذه الجملة منذ أن بدأنا إجراء مقياس التهديدات الأمنية قبل نحو ستة أشهر، ولكن هذه الرغبة قائمة.

وقد تم إحباط عمليتين على الأقل خلال هذا الشهر، عندما تسلل مخرباً انتحارياً عبر الحدود المصرية لتفجير نفسه في بئر سبع. وفي التاسع من شهر سبتمبر تم إحباط عملية إرهابية كهذه في نابلس. هناك رغبة قوية لتنفيذ عمليات إرهابية قوية لدى كل العناصر الفلسطينية، ولكن لحسن الحظ تعمل اليوم عدة جهات رادعة:

١- الجدار العازل يزيد من صعوبة أي تسلل إرهابي لإسرائيل. وبدأت الفكرة التي حاربت من أجلها في عام ٢٠٠٠، وخلافاً لرأي كل الجهات، بدأت المبادرة تجني ثمارها. وللأسف أن محكمة العدل العليا تواصل التدخل فيما ليس من اختصاصها، وتأمر بإزالة الجدار الذي تمت إقامته في مناطق مختلفة.

٢- عمليات إحباط ناجحة للجيش الإسرائيلي. ففي كل مساء وليلة، تنفذ حملات اعتقال، ومطاردة وإجهاض عمليات في عمق يهودا والسامرة (الضفة الغربية). ويجب مواصلة ذلك دون كلل. ويقوم الجيش الإسرائيلي بتنفيذ المئات من تلك الأنشطة شهرياً، مثلما فعل هذا الشهر في قلقيلية.

٣- تجدر الإشارة إلى أن إسرائيل يقيم فيها آلاف الفلسطينيين بشكل غير قانوني، الأمر الذي يسهل القيام بعمليات إرهابية داخل إسرائيل. وتحت ضغط منظمات "حقوق الإنسان" تم تحجيم اليد الباطشة لمكتب الإشراف على الهجرة، وربما تكون النتيجة المترتبة على ذلك خطيرة من وجهة نظر المواطنين الإسرائيليين. ففي منطقة "هاشارون" وحدها يوجد الآلاف من المقيمين غير القانونيين.

٤- خرج المئات من نشطاء فتح والمطلوبين من مخابئهم هذا الشهر، معظمهم تقاضوا أموالا مقابل ذلك، أو تم تجنيدهم في الأجهزة الأمنية التابعة لأبو مازن، والتي أثبتت أنها لا تمتلك أي قدرة على الصمود عندما لاذت بالفرار من غزة. وهناك أشخاص آخرون يستأنفون الأنشطة الإرهابية سراً. هذا، ويتزايد معدل إطلاق صواريخ القسام على مدينة سديروت ومحيطها، خاصة الصواريخ التي يطلقها المعارضون لحماس، الذين كانوا يريدون مشاهدة إسرائيل تحرر غزة من أجلهم، ولكن إسرائيل تتوخى الحذر من ذلك. من المتوقع أن يستمر إطلاق صواريخ القسام ويتعاظم، في ظل غياب خطوات إيجابية إسرائيلية داخل قطاع غزة ضد الإرهاب.

❖ **حزب الله والقاعدة (٦,٠ مثل الشهر الماضي):**

في مقابل الحراك النشط على الصعيد الفلسطيني، لا يمكن هنا مشاهدة أي تغييرات جذرية، حيث إن منظمة حزب الله منشغلة تماماً بمعركة الانتخابات الرئاسية، وسياسة المكائد الداخلية في لبنان، ولم تنجح بعد في التغلب على هذا العائق الصعب من وجهة نظرها.

الحقيقة أنه لا توجد لديها حدود مشتركة مع إسرائيل. واليوم يفصل بينها وبين إسرائيل الجيش اللبناني وقوات اليونيفيل، وكلاهما جهتان مؤثرتان، وسوف تتجنب الاحتكاك بهما بسبب عدم وجود شرعية لخطوة كهذه في لبنان والعالم.

من ناحية أخرى، يتم ملاحقة أعضاء القاعدة، ويثبت ذلك تسجيل بن لادن الأخير، الذي أذيع بمناسبة الذكرى السنوية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر. وكان الهدف هو إظهار أن زعيم القاعدة مازال حياً، بعد اختفائه ثلاث سنوات. وكان تنظيم القاعدة يريد تنفيذ عملية إرهابية كبيرة في الولايات المتحدة، ولكن جهاز المخابرات والردع الفعال يجعل القاعدة ترتدع عن ذلك. وفي قطاع غزة توجد خلايا تابعة للقاعدة، ولكنها مازالت في مراحل الإعداد، وتدخل في احتكاكات مع حماس التي لا تولي أهمية بهم.

❖ **سوريا وإيران (٥,٨ في مقابل ٦,١ خلال الشهر الماضي):**

لماذا شهد المقياسان تراجعاً..؟ وفقاً لما نشرناه على الموقع، فإن قدرة الردع الإسرائيلية لسوريا ازدادت بشدة بعد عملية الاختراق التي نسبت لها داخل العمق السوري. وإذا كانت إسرائيل قد فعلت ذلك، فإنها أثبتت تفوقها الجوي التام والقدرة الاستخباراتية العالية، ويحتمل أنه تم القضاء على أسلحة حساسة وهذه ضربة قوية لسوريا.

وقد قمنا بتحليل الوضع، ورأينا أن سوريا ليست لديها أي قدرة على الرد، لأن يديها مقيدتان وراء ظهرها. وإذا كانت لدى الأسد أفكار لمهاجمة إسرائيل، فإن الحادث الأخير قد أوضح له أن الضرر من وجهة نظره يمكن أن يكون قوياً. وهذا يعد تطوراً هاماً للغاية في العلاقات الأمنية بين الدولتين. ومع ذلك، نشأت حرب باردة بين سوريا وإسرائيل، لاسيما في هضبة الجولان. وهذا أيضاً ليس أمراً سيئاً، لأنه أوجد نوعاً من الردع، وتراجع خطر نشوب حرب.

نموذج للفخ السوري..؟ لم تسألوا أنفسكم لماذا لم تطلب سوريا عقد جلسة في مجلس الأمن أو على الأقل استنكار الأمم المتحدة..؟ لقد فعلت في الماضي مثل ذلك على الأقل. وبهذا الشكل، يبدو أن سوريا في مشكلة مع الأمم المتحدة، بسبب قضية رفيق الحريري، وانتهاك القرار رقم ١٧٠١ الذي يحظر إدخال سلاح من سوريا إلى لبنان، وبسبب تأييدها لحزب الله، ولأنها تخشى التوجه تماماً للأمم المتحدة، فإنها تعلم أنها ستتورط هناك.

كما أدركت إيران هذا الشهر أنها واقعة في مصيدة، وأنها إذا قامت بإنتاج سلاح نووي، فإن العالم سيضيق عليها الخناق في ظل وضع كهذا، مثلما حدث مع كوريا الشمالية. وتسعى إيران لدراسة الخيارات المطروحة للخروج من هذا المأزق، ولكن بشكل لائق. وبسبب الطابع البدائي لنظام الحكم في طهران، فإن ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً ومجهوداً مضنياً. وقد تراجعت حالياً مخاطر شن هجوم أمريكي على إيران أو مهاجمة إيران لنا. ولا يجب الانسياق وراء الأنباء التي تتردد حول إمكانية شن هجوم أمريكي على إيران قريباً، لأن الهدف منها هو الضغط على طهران وعقد اتفاقية معها.

وفي الوقت الذي يزداد فيه معدل التهديدات الفلسطينية، والأمر يحدث بسببنا تحديداً، حيث تضغط إسرائيل على المسيرة السياسية، فإن التهديدات على الجبهات الأخرى متجمدة أو تشهد تراجعاً، وتحديداً بسبب الضغوط الدولية على حزب الله وسوريا وإيران.

وبناءً على ذلك، فإن مقياس التهديدات الأمنية لشهر سبتمبر ٢٠٠٧ شهد تراجعاً هذا الشهر، خاصة بسبب تراجع التهديدات التي يعطيها المقياس أهمية كبيرة جداً، فيما يتعلق بسوريا وإيران. وبنظرة للوراء، يمكن مشاهدة كيفية ارتفاع التهديدات الأمنية من جانب سوريا وإيران خلال شهر يونيو، وكيف تراجعت الآن بشكل كبير.

ويصل التقدير النهائي العام لهذا المقياس إلى ٦ درجات.

(❖) مفتاح المقياس من ١ وحتى ١٠، بحيث يكون أدنى حد للتهديد (١)، وأعلى حد (١٠)، وفقاً للتدرج العام التالي: تهديد منخفض (١-٤)، تهديد متوسط (٤-٧)، تهديد مرتفع (٧-١٠).

تزايد الحافز للتجنيد وتراجع الثقة فى الجيش الإسرائيلي

بقلم: يوفال أزولاى وأور كشتي

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١٢

أظهر استطلاع داخلى للرأي، أجراه الجيش الإسرائيلي، للوقوف على مواقف الشباب والشابات المتقدمين للتجنيد، ارتفاع نسبة الاستعداد للخدمة فى الجيش بين الشباب بنحو أكثر من ٥٪ عن شهر نوفمبر ٢٠٠١ . كما يشير الاستطلاع إلى ارتفاع نسبة استعداد المتقدمين للخدمة العسكرية للتفوق فى حياتهم العسكرية والتدرج وصولاً إلى مناصب قيادية عالية.



أجرى الاستطلاع قسم العلوم السلوكية فى الجيش الإسرائيلي، فى شهر نوفمبر ٢٠٠٦، بين عينة شملت نحو ٥٠٠ شاب و٥٠٠ شابة. وبمقارنة نتائج الاستطلاع من خلال الإجابات على جزء كبير من الأسئلة، يتبين أن هناك تحسناً ملحوظاً فى مستوى الحافز للتجنيد مقارنة بسنوات سابقة.

هذه البيانات لم تمنع كبار قادة الجيش الإسرائيلى من قيادة حملة منذ نحو شهرين لإدانة الشباب الذين لا يؤدون الخدمة العسكرية: فمنذ أن أعلن رئيس إدارة التجنيد فى الجيش الإسرائيلي، العقيد عَمير روجوفسكي، إن ٢٥٪ من الشباب لا يتم تجنيدهم، تزايدت النداءات المطالبة بإدانة المتهربين من الخدمة العسكرية.

استقصى الاستطلاع مواقف المجندين والمجندات المستجدين بشأن قضايا هامة متعلقة بالجيش، وكانت البشرى السارة بالنسبة لقادة الجيش هى أن الوضع قد تحسن بشكل جيد. وفى بعض الحالاتِ بشكل جيد جداً، مقارنة باستطلاعات الرأى التى أجريت خلال شهرى نوفمبر ٢٠٠٥ ونوفمبر ٢٠٠١ .

فيما تشير البيانات الصادرة عن إدارة التجنيد حول حجم ظاهرة التهرب من أداء الخدمة العسكرية، إلى أن الحريديم الذين يرفضون الخدمة فى الجيش الإسرائيلى من أجل العقيدة، يشكلون أكبر مجموعة لا تخدم فى الجيش الإسرائيلي. أما البقية فقد سافروا للخارج، والبعض الآخر لديهم سوابق جنائية، بينما تقوم مجموعة أخرى باستصدار إعفاء بناءً على تقرير ضابط الصحة النفسية فى الجيش أو لأسباب أخرى.. إلخ.

ونظرة متأنية فى بيانات الاستطلاع، تظهر أن الجيش الإسرائيلى لديه أسباب أخرى تدعو للقلق، منها على سبيل المثال: الارتفاع الحاد فى معدل انعدام الثقة التى يشعر بها المتقدمون للخدمة العسكرية فى الجيش، حيث أفاد ٨٥٪ من المجندين والمجندات المتقدمين للخدمة بأن الجيش الإسرائيلى جيش كفء ومحترف. وقبل عام من ذلك، كان ٩٥٪ من المتقدمين للخدمة العسكرية يعتقدون ذلك.

كانت دفعة نوفمبر ٢٠٠٦ هى الدفعة الأكبر عدداً، وشهد معدل الاستعداد للخدمة فى الوحدات الميدانية ارتفاعاً ملحوظاً. وقد اعتقدوا فى الجيش الإسرائيلى أن حرب لبنان الثانية، التى دارت رحاها خلال العام نفسه، كان لها تأثير مباشر فى هذا الصدد.

يصف البروفيسور ستيوارت كوهين، وهو باحث كبير فى مركز بيجين -السادات للدراسات الاستراتيجية بجامعة بار إيلان، أزمة التهرب من أداءِ الخدمة العسكرية بأنها أزمة كاذبة ومختلقة قائلاً: "هذه حملة وهمية.. فعندما أفحص الأرقام الصادرة عن الجيش الإسرائيلى لا أرى ما يدعو للفزع، بل إنها تدعو للدهشة. فمن بين ٢٥٪ من الرجال الذين لا يتجندون، هناك ١١٪ حريديم. كما أن هناك ٤٪ من أصحاب السوابق الجنائية، و٣٪ أو ٤٪ يقيمون فى الخارج، وآخرون لا يستطيعون الخدمة لدواعى صحية".

وأضاف كوهين: "عموماً هناك ٥٪ لا يتجندون بسبب صعوبات فى التأقلم، ورغم ذلك ننعتهم بالمتهربين من أداء الخدمة العسكرية، ولكن على أية حال، هذه نسبة ضئيلة وغير مؤثرة. فهناك إذن العديد من الأسباب للتهرب من الخدمة العسكرية، إذن فليشكروا الرب فى الجيش الإسرائيلى أن نسبة المتهربين من أداء الخدمة العسكرية لم تصل إلى ٥٠٪. وعموماً، فإن الجيش الإسرائيلى هو الذى يقوم بتسريحهم، وعليه فهم ليسوا متهربين من الخدمة العسكرية".

وأردف كوهين، أنهم "فى الولايات المتحدة - خلال حرب فيتنام - كانوا على استعداد لتقبل مثل هذه

البيانات بحفاوة شديدة، أما شبابنا فمفعمون بالحافز بصورة تدعو للدهشة".

إلا أن المسئولين فى جهاز الدفاع ما يزالون يمضون قدماً فى حملتهم - محل الخلاف - والخطوة القادمة فيها هى لجنة خاصة تم تعيينها بالتنسيق مع وزير الدفاع إيهود باراك، برئاسة عضو الكنيست إيتان كابل.. وستحاول هذه اللجنة بلورة مجموعة من القرارات من شأنها أن تجعل التهرب من أداء الخدمة العسكرية غير ذى جدوى، حتى وإن بات من الواضح أمام عضو الكنيست كابل نفسه أن هذه المسألة من الممكن أن تصطدم بصعوبات تضعها المحكمة بسبب القانون الأساسى الخاص بكرامة الإنسان وحريته.

يستكمل كوهين: "إن هذا الأمر يصيبنى بالجنون. فهناك أشخاص يعودون داخل صناديق وبعضهم يعود من المعارك معاقاً ليظل هكذا طيلة حياته، وهناك هؤلاء الذين يعتقدون أن هناك من سيقوم بهذا العمل من أجلهم. إننى لست مستعداً لقبول وضع يقوم فيه شاب تم تسريحه من الجيش لسبب نفسي، بناءً على تقرير ضابط الصحة النفسية، بالالتحاق بدراسة الطب فى سن الثامنة عشرة، وقد يصبح بعدها طبيب نفسي. والمفارقة الكبيرة هى أن هناك أشخاصاً يستحيل تجنيدهم بسبب مشكلات طبية حقيقية، ورغم ذلك يقاتلون من أجل التطوع لخدمة الدولة".

لا تزول بالغسيل

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١١
بقلم: يوئيل ماركوس

صدق أو لا تصدق، فبعد كل ما قاسيناه خلال حرب لبنان الأخيرة، ما تزال غالبية الجمهور تعتقد أن إسرائيل هى دولة يطيب العيش فيها.. فقد أظهر استطلاع للرأى أجرته الدكتورة مينا تسيمح لحساب صحيفة "يديعوت أحرونوت"، نهاية الأسبوع الماضي، ونشرت نتائجه بالأمس، أن الأغلبية الساحقة من المشاركين فى الاستطلاع يشعرون بالرضاء الشديد عن الدولة.

فى الإجابة على السؤال القائل كيف تصف حالتك المعنوية..؟ أجاب ٨٦٪ من المشاركين فى الاستطلاع بأن حالتهم المعنوية جيدة. وفى الإجابة على السؤال كيف تصف وضعك الاقتصادي..؟ أجاب ٦٧٪ من المشاركين فى الاستطلاع بأنه جيد. هل تعتقد أن دولة إسرائيل الكبرى ستقام فى المستقبل البعيد..؟ أجاب ٧٤٪ بنعم. هل فكرت هذا العام فى النزوح من إسرائيل..؟ أجاب ٧٦٪ من المستطلعة آراؤهم بـ"لا". هل أنت فخور لكونك إسرائيلي..؟ أجاب ٨٤٪ بـ"نعم".

ومن بين هذه البيانات التى تُظهر الانتماء الشديد للوطن، يبرز إيهود أولمرت بحصوله على تقدير متواضع باعتباره زعيم الدولة. فمقولته الشهيرة "أنا رئيس وزراء بلا شعبية"، تظهر فى هذا الاستطلاع على أنها معلومة لا تزال غير قابلة للتغيير. فقد مضى أولمرت فى كلمته قائلاً "ولكن هذا عملي". ومعنى الكلام، هو أنه على الرغم من الأشياء الصحيحة التى يفعلها منذ إخفاقه فى حرب لبنان الأخيرة، مروراً بالمصادقة على الميزانية وصولاً إلى الحفاظ على استقرار الائتلاف الحكومي، لا تزال شعبيته آخذة فى التراجع.

باعتباره عضو فى الكنيست، منذ أن كان فى السابعة والعشرين من عمره، فقد قضى ٣٥ عاماً فى حقل السياسة، ولديه خبرة هائلة فى كافة المجالات على أقل تقدير. فهو شخص حكيم، ذكي، وشديد الحرص أكثر مما يعتقدون. ورغم التوتر مع سوريا، فقد أعلن مراراً وتكراراً خلال مؤتمر حزب كاديما مقولة "إننى مطمئن"، وكأنه يخشى أن يُجر إلى الرد على مزاعم الرئيس الأسد حول اختراق الطيران السورى لمجال بلاده الجوي.

بينما كان أحد شباب حركة بيتار (❖)، وابن أحد قادة الحركة، وأحد أنصار أرض إسرائيل الكاملة، وفى وقت لاحق من معارضى اتفاق السلام مع مصر، كان أولمرت أول من حمل بشارة فك الارتباط، عندما أعلن عنها خلال مراسم تأبين دافيد بن جوريون. ومنذ إخفاقه فى حرب لبنان الثانية، يحاول أولمرت، الذى يصفه المحللون السياسيون بالـ"شجاع"، فعل كل ما هو صواب فى أدائه كرئيس للوزراء. إلا أن معظم الجمهور لم يتخلص حتى الآن من الصدمة التى تسبب فيها قراره بشن الحرب بالحجم الذي خرجت عليه دون أن يكون الجيش الإسرائيلى مستعداً لذلك.

إن أولمرت يذكرنا بليفي إشكول، فكلاهما تولى المنصب دون أن يكون مؤهلا لأن يصبح فى مصاف عظماء الدولة، حيث حل إشكول محل بن جوريون، رئيس الوزراء ووزير الدفاع، بينما حل أولمرت محل آريئيل شارون، الذى دخل وهو فى أوج نضجه كزعيم قومى وفى ذروة الانقلاب السياسى الذى أحدثه فى إسرائيل، فى غيبوبة عميقة.

فإشكول الذى ظل لفترة طويلة وزيراً للمالية، تعرض لضغط خلال توليه منصب وزير الدفاع عندما دخلت مصر إلى سيناء وأغلقت المضايق فى تحد عسكرى واضح لإسرائيل. والحقيقة هى أن الجيش الإسرائيلى كان فى أفضل حالاته، وكان يمتلك خططاً حربية محكمة، إلا أن إشكول قد تردد، واستنزف الاحتياط على مدى أسابيع كاملة من الانتظار. ولحسن حظه، أنه تعرض لضغوط من القيادة السياسية وقيادات الجيش حتى يترك منصب وزير الدفاع لموشيه ديان، وقد حدث. ولكن ما أن مرت خمسة أيام حتى اندلعت حرب الأيام الستة (١٩٦٧)، ونُسب هذا الانتصار الكبير إلى ديان، حيث عمل على رفع معنويات الجنود وأدخل العديد من الإصلاحات على الجيش، الذى بات تحت قيادته مستعداً ومؤهلاً لجلب المجد.

لقد خرج أولمرت للحرب ومعه رئيس هيئة أركان واهم، كان يعتقد أنه من الممكن القضاء على حزب الله بضربة جوية، ومعه وزير دفاع لم تكن لديه أية فكرة عن شئون الدفاع ولا يعلم الحالة السيئة التى كان عليها الجيش، فقد كان الجيش غير مؤهل ولا يمتلك سوى تجهيزات برية عفا عليها الزمن، سيما وأنه لم تكن لديه فى الأساس خطط مناسبة لتحقيق النصر على أرض العدو. هذه الثلاثية القيادية كبدت شعب إسرائيل ١٥٧ قتيلاً، علاوة على سقوط ٣٩٧٠ صاروخاً وقذيفة على الجبهة الداخلية الإسرائيلية. فلو أن شارون كان موجوداً، لما حدث ذلك، لأنه كان يعلم جيداً إمكانيات الجيش الذى قاده كل من شاؤول موفاز وبوجى يعلون (وقت أن كان شارون رئيساً للوزراء قبل دخوله فى الغيبوبة). إن تعيين حالوتس رئيساً لهيئة الأركان العامة للجيش كان بالفعل مرهوناً بهدف واحد ووحيد، ألا وهو إخلاء مستعمرات جوش قطيف.

باعتباره ناشطاً سياسياً موهوباً، يدخل أولمرت المرحلة الثانية المتوقعة على درب شارون نحو التوصل لتسوية مع الفلسطينيين. وعلى طريقة بيع السمك فى المياه، يمكن القول بأنه لن يحصل على تقييم عشرة على عشرة، ولكن سبعة من عشرة أيضاً لا تعد درجة سيئة. وبالنظر إلى تراجع نسبة العداء ضده فى وسائل الإعلام، إضافة إلى الائتلاف القوى الذى أقامه مع إيهود باراك، والقائم فى الأساس على ردع معظم أعضاء الكنيست بدلاً من المخاطرة بإجراء انتخابات مبكرة، وبالنظر إلى حقيقة أن لجنة فينوجراد قد فقدت هيبتها، فإن أولمرت سيكون رجل العام. أو لتحرى الدقة، أكثر الشخصيات ذات القدرة على البقاء هذا العام. إلا أن أولمرت، رغم ذلك، ستبقى فى ثيابه بقعة لن تزول مع الغسيل (المقصود هنا بالبقعة إخفاقه فى حرب لبنان الأخيرة).

(✦) تنظيم شبابى صهيونى تصحيحى أسسه يوسف ترومبلدور فى بولندا عام ١٩٢٣، وكان هدفه إعداد أعضائه للحياة فى فلسطين بتدريبهم على العمل الزراعى وتعليمهم مع التركيز على العبرية والتدريب العسكري. وكان أعضاؤه يتلقون أيديولوجية واضحة التأثر بالأيديولوجيات الفاشية التى كانت سائدة فى أوروبا آنذاك، مثل تعليم اليهودى أن أمامه خيارين فقط: الغزو أو الموت.

تضاعف نسبة تعاطي المخدرات بين شباب مهاجري الاتحاد السوفيتي سابقاً

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١٩
بقلم: روتي سيناي

أفاد ٨٤٪ من شباب مهاجري الاتحاد السوفيتي سابقاً بأنهم تناولوا الخمور خلال السنة الأخيرة، بينما وصل ١٧٪ منهم إلى حالة الثمالة ست مرات على الأقل. في حين أفاد ٣٥٪ بأنهم تعاطوا المخدرات، وارتكبت نسبة بلغت الثلث تقريباً جرائم عنيف تحت تأثير المخدر.. وقد ذكر ثلث متعاطي المخدرات فقط إنهم يعتبرون أنفسهم إسرائيليين.

وقد صرح حاييم مسينج، مدير عام هيئة مكافحة المخدرات والخمور، خلال مؤتمر صحفي عقده بالأمس، لعرض بيانات دراسة تعد الأولى من نوعها حول أشكال تعاطي المخدرات والخمور بين الشباب المهاجرين من الاتحاد السوفيتي سابقاً: "إن معظم الشباب من أبناء عائلات مهاجري الاتحاد السوفيتي سابقاً لا يعتبرون أنفسهم إسرائيليين، بل ويشعرون بالنبذ من جانب رفاقهم ممن ولدوا في إسرائيل".

تستند الدراسة التي أعدها كل من د. أرنون أدلشتاين، من قسم علم الإجرام بالجامعة العبرية، والدكتورة راحيل همبورجر، كبيرة علماء هيئة مكافحة المخدرات، إلى استطلاع للرأي واسع النطاق أجرى بين عينة شملت ٧٥٠ شخصاً في الفئة العمرية من ١٢ حتى ١٨ عاماً، من مهاجري الاتحاد السوفيتي سابقاً أو من مواليد إسرائيل لآباء هاجروا إلى إسرائيل منذ عام ١٩٩٠. وقد رصد الباحثون عدة عوامل خطيرة لتعاطي المواد المنشطة بين هؤلاء الشباب ومنها: التسرب من الدراسة أو الدراسة في مدارس داخلية، والنشأة لدى أحد الأبوين، أم غير يهودية (وتحديداً بين مدمني المخدرات)، ووضع اقتصادي صعب، وغياب التوعية بالمخاطر المترتبة على تعاطي المخدرات والخمور.

وقد كشفت الدراسة أن نسبة تعاطي المخدرات والخمور بين شباب المهاجرين تفوق النسبة بين إجمالي السكان الشباب في إسرائيل إلى حد كبير. فعلى سبيل المثال، هناك ٨٠٪ من المهاجرين الذين يدرسون في مؤسسات التعليم أفادوا بأنهم شربوا الخمور في العام الماضي، بينما أفاد ٤٩٪ من إجمالي الطلاب الشباب بتناولهم للخمور. وقد ذكر نحو ٢٥٪ من الطلاب المهاجرين أنهم تعاطوا المخدرات، في مقابل ١٠٪ من إجمالي الطلاب الشباب. وقد كانت الفروق واضحة بين الطلاب من مهاجري الاتحاد السوفيتي الذين تسربوا من الدراسة، وبين إجمالي الطلاب المتسربين بشكل عام.

وقد أظهر تحليل السمات المميزة للمهاجرين الذين يتعاطون المخدرات، أن ٤٩٪ لا يدرسون ولا يعملون، في حين أن نحو نصف هؤلاء المهاجرين الذين لم يتسربوا من الدراسة يدرسون في مدارس داخلية، بينما يدرس ٤٢٪ منهم في مدرسة تعليم مهني، في حين أن نسبة ٣١٪ فقط منهم تتربى في كنف أحد الوالدين فقط، كما أفاد ٤٢٪ بأن رب الأسرة عاطل، وذكر ٤٦٪ أنه ليس لديهم أصدقاء إسرائيليون، وقال ٤٦٪ إنهم يشعرون بنبذ المجتمع الإسرائيلي لهم. كما أفاد نحو ٥٠٪ بأن دخل الأسرة انخفض مقارنة بالدخول في دول الاتحاد السوفيتي سابقاً.

كما أظهرت الدراسة، أن ٤٣٪، من هؤلاء الذين أفادوا بأن أمهم غير يهودية، يتعاطون المخدرات، في حين بلغت النسبة بين الشباب لأم يهودية ٢٣٪. فيما ينظر ثلث متعاطي المخدرات إلى أنفسهم على أنهم إسرائيليون، بينما قدم ٤٣٪ أنفسهم على أنهم من مهاجري الاتحاد السوفيتي سابقاً. وقد أفاد خمس المشاركين في الاستطلاع بارتكاب جرائم سرقة تحت تأثير المخدرات، في حين ذكرت نسبة الثلث أنها ارتكبت جرائم عنف.

وأردف مسينج: "إن الدراسة تثبت للمرة الأولى أن عدداً كبيراً من مرتكبي جرائم العنف في المجتمع هم من مدمني المخدرات والخمور، في حين أن الاهتمام بهذه الظاهرة يكاد يكون معدوماً، وذلك لأن جل الاهتمام عادة ما ينصب على النتائج الناجمة عن العنف وليس على الأسباب التي تؤدي إلى حدوثه".

ساريد أم حولدائي.. معركة شرسة على رئاسة بلدية تل أبيب

يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٩/٧
بقلم: إيلى سينور

أظهر استطلاع للرأي، أُجرى لحساب صحيفة "يديعوت أحرونوت" الصادرة فى تل أبيب، أنه فى حالة ما إذا خاض رئيس المدينة الحالى "رون حولدائي" والوزير السابق "يوسى ساريد" المنافسة على رئاسة البلدية، فإن حولدائى سيفوز بفارق يصل إلى ٦٪. هذا فى الوقت الذى لم يعلن فيه ساريد عن ترشحه بعد.

معركة شرسة: رئيس بلدية تل أبيب، رون حولدائي، يتصدر بفارق ٦٪ على حساب الوزير الأسبق يوسى ساريد فى المنافسة على رئاسة بلدية تل أبيب التى من المقرر إجراؤها فى شهر نوفمبر العام القادم. هذا ما يظهره استطلاع للرأى أجرته الدكتورة مينا تسيمح لحساب صحيفة "يديعوت أحرونوت"، ونشرت نتائجه اليوم.

وبحسب بيانات الاستطلاع، فإنه إذا ما أُجريت الانتخابات اليوم (يقصد انتخابات على رئاسة بلدية تل أبيب)، وتنافس كل من حولدائى وساريد، فإن رئيس بلدية تل أبيب الحالي، والذى يتولى هذا المنصب منذ تسع سنوات، سيحصل على ٤٦٪ من الأصوات، بينما يحصل ساريد على ٤٠٪، فى حين أفاد ١٤٪ من المشاركين فى الاستطلاع بأنهم لم يقرروا حتى الآن لصالح مَنْ سيصوتون.

يكاد الفارق الطفيف بين الاثنين يقض مضجع حولدائى على وجه الخصوص، نظراً لأن ساريد لم يعلن حتى الآن عن ترشحه لخوض الانتخابات. فمثل هذا الإعلان، لو حدث، نعتقد أنه سيزيد تلقائياً من نسبة التأييد له، ومن المؤكد أن الحملة الانتخابية سيكون لها تأثير كبير أيضاً على هذه المسألة.

كما أظهرت بيانات الاستطلاع أن نصف مؤيدى حولدائى فقط، الذين صوتوا لصالحه فى الانتخابات الماضية، أفادوا بأنهم سيؤيدونه هذه المرة أيضاً.

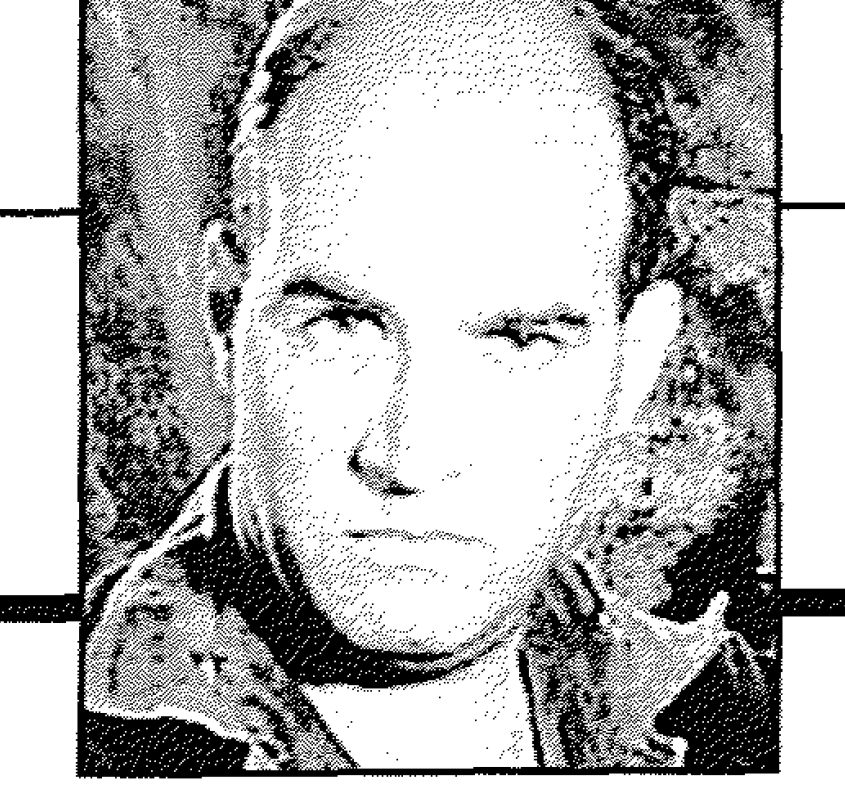
وفى الإجابة على سؤال شمل عدد كبير من المرشحين: أفاد ٣١٪ من المستطلعة آراؤهم بأنهم سيؤيدون حولدائى - إذا ما أُجريت الانتخابات على رئاسة البلدية اليوم - فى حين ذكر ٢٥٪ أنهم سيؤيدون ساريد، بينما حصل كل من المحامى دان لاهط، نجل رئيس بلدية تل أبيب الأسبق شلومو لاهط، وعضوة الكنيست رونيت تيروش (عن حزب كاديما) على نسبة ٦٪ من إجمالى الأصوات لكل واحد منهما، فى حين حصل كل من عضو الكنيست جدعون ساعر (عن حزب الليكود) وأفيشاى بروفمان (عن حزب العمل) على نسبة أصوات بلغت ٥٪ لكل واحد منهما. وبالمناسبة، فإنه فى حالة ما إذا أصبحت المنافسة فى الانتخابات قاصرة على حولدائى وبروفمان وساريد، فإن الفارق بين ساريد وحولدائى سيتضاءل ليصل إلى ٢٪ فقط.

وفى الإجابة على الأسئلة بشأن نسبة رضاء سكان تل أبيب عن أداء حولدائى كرئيس للمدينة، تبين أن: ٦٢٪ من المشاركين فى الاستطلاع يعتقدون أن حالة ساحات الانتظار فى المدينة رديئة إلى حد كبير، بينما يعتقد ٤٥٪ أن أداء حولدائى فى كل ما يتعلق بموضوع الحفاظ على البيئة أقل من جيد، فى حين يرى ٥٨٪ من المشاركين فى الاستطلاع أن تعاطى حولدائى مع مشكلة إسكان الشباب ليس جيداً أو سيء جداً. أما التقدير الأعلى فقد حصل عليه حولدائى فى موضوع الثقافة، حيث يعتقد ٦٠٪ من المشاركين فى الاستطلاع أن أداءه فيما يتعلق بتوفير الخدمات الثقافية جيد إلى جيد جداً.

ثمة مفاجأة أخرى ظهرت فى كل ما يتعلق بالنضال الذى حظى بتغطية إعلامية واسعة النطاق والخاص بشأن قاعة أوسيشكين التى قامت بلدية تل أبيب بهدمها. وعلى هذا السؤال، أجاب ٣٦٪ بأنهم يعتقدون أن حولدائى كان محقاً عندما قرر هدم القاعة، بينما يعتقد ٢٦٪ أن الصواب قد جانب حولدائى فى هذا القرار، فى حين لم يعرب باقى المشاركين فى الاستطلاع عن رأيهم فى هذا الشأن.



شخصية العدد



الممثل الإسرائيلى "يجآل ناؤور"

ترجمة وإعداد: أسامة أبو رفاعي

يجآل ناؤور، هو الممثل الإسرائيلى الذى سيجسد شخصية الرئيس العراقى الراحل صدام حسين ورحلته طوال فترة حكمه على مدى أربعة وعشرين عاماً، بدءاً من عام ١٩٧٩ وحتى إلقاء القوات الأمريكية القبض عليه فى ديسمبر ٢٠٠٣ .

يحمل هذا الفيلم الذى يتكون من عدة أجزاء اسم "بين النهرين"، ويقوم بإخراجه المخرج البريطانى "أليكس هولمز"، وبإنتاج مشترك بين القناة الثانية لشبكة الـ BBCالبريطانية، وشبكة HBOالأمريكية. ومن المقرر أن يشارك فى هذا العمل الممثلة الأمريكية، الإيرانية الأصل، الحاصلة على جائزة الأوسكار "شُهرة أغداسلو"، حيث ستعلب دور زوجته ساجدة. كما سيشارك فى هذا الفيلم ممثلين إسرائيليين آخرين، هما أورى جفرئيل وساسون جفاي، وكذلك الممثل المصرى عمرو واكد، الذى أثيرت بشأن مشاركته فى الفيلم، مع ممثلين إسرائيليين، ضجة كبيرة فى مصر، حيث اتُّهم بالتطبيع مع إسرائيل.

ولد يجآل ناؤور، البالغ من العمر (٤٨ عاماً) فى بلدة جفعاتيم، درس المسرح فى جامعة تل أبيب، وخدم الفن على مدى ٢٥ عاماً. شارك فى البداية فى عدة مسرحيات، وحصل على عدة جوائز منها: جائزة أفضل ممثل عن دوره فى مسرحية "الخيمة السوداء" عام ١٩٨٣، وجائزة بلدية تل أبيب عن دوره فى مسرحية "موت العميل" التى عرضت على خشبة مسرح "هبيما".

بدأ ناؤور يشارك فى الأعمال الدرامية والمسلسلات التليفزيونية، وكان من أهمها المسلسل التليفزيونى (جنود احتياط) الذى حظى بشعبية ونسبة مشاهدة كبيرة فى إسرائيل، ثم اتجه للمجال السينمائى عام ١٩٨٧، وبدأ يحتل مكانة كبيرة فى هوليوود، حيث شارك فى فيلمين أمريكيين عام ١٩٩٣ هما فيلم "المومياء"، و"العُملة السابعة".

وبعد ظهوره الذى لم يتجاوز ثلاث دقائق فى فيلم "ميونيخ" عام ٢٠٠٥ والنجاح الذى حققه فى هذا الدور، انهالت عليه العروض من المخرجين العالميين. فقد أعجب به المخرج العالمى الحائز على جائز أوسكار "جافين هود" وأسند له أحد الأدوار الهامة فى الفيلم الأمريكى الجديد(Rendition) الذى أتم تصوير مشاهده. ويحكى هذا الفيلم قصة حياة شخص من أصل عربى يقيم فى الولايات المتحدة الأمريكية ومتزوج من مواطنة أمريكية. وعند دخوله فى إحدى المرات للولايات المتحدة، اشتبه الـ C.I.A فى أنه إرهابى وألقى القبض عليه وتم إحالته للتحقيق.

يعتبر يجآل ناؤور قصة كفاح بدأت من المحلية وصولاً إلى العالمية، حيث احتل مكانة مرموقة فى هوليود وحقق نجاحاً باهراً بمشاركته فى عديد من الأفلام الأمريكية، التى كان الظهور فيها حلماً لكثير من الممثلين. كما أدى أدواراً هامة مع أهم كبار الممثلين فى السينما العالمية، أمثال ميريل ستريب وريس ويذرسبون.

خطة خمسية لتطوير القوات المسلحة الإسرائيلية تركز على قواتها البرية

لواء أ.ح متقاعد / حسام سويلم

فى إطار الدروس التى أسفرت عنها الحرب على لبنان فى يوليو ٢٠٠٦، وانعكست فى تقرير لجنة فينوجراد عن أوجه التقصير التى كشفت عنها هذه الحرب، خاصة فى مجال عمل القوات البرية، وأيضا فى ضوء الدروس والخبرات المكتسبة من الحروب الإقليمية الدائرة فى العراق وأفغانستان ومع المقاومة الفلسطينية، وما حدث من تطويرات تقنية متسارعة فى أنظمة التسليح والمعدات الحربية على الصعيد العالمى - خاصة فى الولايات المتحدة وروسيا خلال السنوات القليلة الماضية.

وفى ضوء كل هذه الاعتبارات شرعت قيادة الأركان العامة برئاسة نائب رئيس الأركان الجنرال موشيه كابلينسكى منذ منتصف أغسطس الماضى فى مناقشة خطة تحمل اسم (كلع) لتطوير القوات المسلحة الإسرائيلية أطلق عليها "أسس البرنامج المتعدد السنوات" الذى يتناول أساسا حاجات الأفرع المختلفة للسنوات العشر المقبلة، وما ينبغى أن تدخل من تعديلات على "العقيدة الأمينة" الواجب أتباعها فى ضوء الاعتبارات السابقة، خصوصا بعد أن انهارت العقيدة السابقة التى اعتمدت مبدأ الحسم الجوى، ولم تصمد فى اختبار الحرب الأخيرة على لبنان. وبحسب ما نقلته الإذاعة العبرية العامة عن ضابط كبير فى هيئة الأركان أن ورشة عمل تم تشكيلها فى هيئة الأركان استمر انعقادها يومين بحثت المقاربات والاتجاهات المختلفة، والتهديدات المتربصة بإسرائيل فى العقد المقبل وتوفير الموارد الملائمة، ووصف ورشة العمل هذه بأنها "أحدى أهم المداولات التى تجريها قيادة الجيش منذ سنوات طويلة".

وفى هذا الإطار أعلن وزير الدفاع الإسرائيلى إيهود باراك أن إسرائيل ستتزود بأنظمة فعالة مضادة للصواريخ فى غضون ٤ - ٥ سنوات، وشدد على أهمية هذه الأنظمة فى مواجهة الصواريخ أرض/ أرض والصواريخ المضادة للدبابات على حد سواء فى إطار الاستراتيجية الإسرائيلية الشاملة. وأضاف باراك "فى حالة نشوب نزاع فعلى إسرائيلى نقل الحرب إلى معسكر العدو والانتصار بشكل واضح مع أقل ما يمكن من الخسائر فى الصفوف الخلفية"، كما شدد باراك على ضرورة تشكيل فرقتين مدرعتين إضافيتين لدعم القوات البرية، وإجراء تدريبات للجيش عبر مناورات كبرى.

وذكرت الإذاعة الإسرائيلية أن "هيئة قيادة الأركان" ستناقش حاجات الأفرع المختلفة للقوات المسلحة من عتاد حديث يشمل طائرات وسفن وقاذفات وصواريخ وغيرها فى ظل توافر موازنات مالية كبيرة أقرتها الحكومة أخيرا. وفى أعقاب الاتفاق الأمريكى - الإسرائيلى الأخير القاضى بزيادة المساعدات الأمريكية العسكرية للدولة العبرية فى السنوات العشر المقبلة من ٢٤ مليار دولار إلى أكثر من ٣٠ بليون دولار "لضمان التفوق النوعى لإسرائيل فى المنطقة". وقالت المراسلة العسكرية للإذاعة العامة كارميلا منشه "إن حرب لبنان

الثانية ودروسها تضع أمام المؤسسة العسكرية تحديات جديدة مختلفة تستوجب عقيدة أمنية مغايرة" وهو ما يعني أن الأولوية ستمنح في السنوات المقبلة للقوات البرية التي قلصت موازنتها في السنوات الماضية لمصلحة القوات الجوية الإسرائيلية في أعقاب الإجماع على أنه في وسع الطيران حسم أي حرب في المستقبل، وهو ما لم يتحقق في الحرب على لبنان، الأمر الذي أضطر معه رئيس الأركان السابق الجنرال دان حالوتس إلى الاستقالة.

وتابعت الإذاعة الإسرائيلية في تقريرها أن تغير سلم الأولويات يعني بوضوح تمكين القوات البرية من اقتناء ما تحتاج إليه من عتاد عسكري وإعادة تعبئة المخازن التي فرغت بعد الحرب الأخيرة، وتكثيف تدريب قوات الاحتياط وتأهيلها بشكل أفضل مما بدت عليه في لبنان، ولم تستبعد الإذاعة إرجاء شراء عشرات الطائرات الأمريكية المقاتلة من "الجيل الثالث" من طراز F-35 وتفضيل تزويد القوات البرية بمدرعات حديثة ومنظومات متعددة الطبقات مضادة للصواريخ (أي اعتراضها على الارتفاعات المختلفة).

وفي تعليقه على ذلك أفاد قائد سلاح المشاة السابق الجنرال (يفتاح رون طال) أنه يتوجب على قيادة الجيش الحالية تغيير عقيدتها السابقة بشأن قدرة الطيران الحربي على حسم الحرب، وأضاف: "أن المطلوب من ورشة العمل أعداد برنامج يقوم على وجوب الانتصار في الحرب، وأن ترسخ في ذهن العدو عدم جدوى شن حرب على إسرائيل. وهذا ما افتقدناه خلال الحرب على لبنان".

وفي المقابل يثير تغيير سلم الأولويات لمصلحة القوات البرية انتقادات في أوساط المتمسكين بالرأي القائل بوجوب الحفاظ على قدرات مميزة لسلاح الجو "لمواجهة التهديد الإيراني، وهو التهديد الأكثر جدية على إسرائيل". ورأى القائد السابق لسلاح الجو (إيتان بن إلياهو) أن المعادلة الصحيحة هي تلك التي تحقق التوازن الصحيح بين حاجات السلاح الجوي والسلاح البري، وأضاف "أن للطيران الحربي دورا حاسما في أي حرب في المستقبل لكنه لن يكون قادرا وحده على حسمها بل المطلوب منه استغلال قدراته الهائلة في ضرب مواقع العدو بدقة، والتسبب في انهيارها ثم تتقدم القوات البرية لتكمل المهمة، من دون أن تتعرض إلى خسائر فادحة في الأرواح كانت ستتكبدها لو تحركت بمفردها دون دعم جوي مسبق".

وفي ضوء ما قدمته ورشة العمل المشار إليها من توصيات إلى رئيس الأركان الجنرال (جابي أشكنازي) أقر الأخير خطة التسليح الخمسية (للأعوام ٢٠٠٨ - ٢٠١٢) ليؤكد إيلاء القيادة العسكرية القوات البرية أهمية قصوى من خلال تخصيص موازنات هائلة لمشترياتها، أعلى من تلك المخصصة لسلاح الجو الذي حظي في السنوات الأخيرة بحصة الأسد من الموازنة. كما أوصت الخطة بوقف تهميش القوات البرية ووجوب العودة إلى التركيز على أسلحته من المشاة والمدرعات، وكان رئيسا الأركان السابقين (موشيه يعلون) و(دان حالوتس) وضعا مخططا لخفض عدد ألوية المدرعات في الاحتياط. كما تقضي الخطة الخمسية بزيادة القوات المدرعة بحجم فرقتين وتحسين "تدريع"- زيادة سمك الدروع- الدبابات (ميركافا) وفقا لتوصيات وزير الدفاع باراك، رغم أن القيادة الحالية للقوات البرية تفضل توسيع قوات المشاة وليس المدرعات.

وطبقا لم نقل عن الجنرال أشكنازي أن الخطة الجديدة التي أطلق عليها "تيفن" وصدق عليها وزير الدفاع وينتظر أن تعرض على الحكومة الأمنية المصغرة، لا تقلل من حق سلاحي الجو والبحرية اللذين سيتزودان بمشتريات جديدة ستوفرها أموال الدعم العسكري الأمريكي في السنوات العشر المقبلة، والتي قررت واشنطن رفعها من ٢,٤ مليار دولار إلى أكثر من ٣ مليار دولار سنويا. كما أوضح أشكنازي أن الخطة الخمسية الجديدة "تعزز قوة الجيش الإسرائيلي وتحسن ملاءمته للتحديات التي تتربص بإسرائيل. كما تشكل رافعة التجدد والبناء وتحسين التفوق النوعي، ولكنها تستوجب في الوقت ذاته تحسين عمل المؤسسة الأمنية كلها".

وأوضحت تقارير صحفية إسرائيلية أن الخطة الجديدة "تعكس فعلا تفضيلا في الموازنات للقوات البرية منذ سنوات" متوقعة أن يتسبب هذا التفضيل في أرجاء تحويل موازنات خاصة طلبها سلاح الجو. وأضافت أن الجيش سيتزود في السنوات المقبلة بعدة مئات من المدرعات الثقيلة، على أن يتواصل إنتاج دبابات من نوع (ميركافا - ٤) مع إدخال منظومات دفاعية ناجحة لاعتراض الصواريخ من كافة الأنواع أرض / أرض ذات المدايات المختلفة، والصواريخ المضادة للدبابات". كما سيتم تحسين أنواع أخرى من الدبابات.

ووفقا لبيان صادر عن رئاسة الأركان العامة، فإن سلاح الجو سيتم تزويده ابتدءا من عام ٢٠١٤ بـ ٥٠ مقاتلة أمريكية جديدة F-35 التي تطورها شركة

"الوكهيد مارتن" وثمن كل منها ٥٠ مليون دولار، والمعروفة باسم المقاتلة المشتركة والقادرة على الإفلات من الرادارات، هذا إلى جانب تطوير وتحسين الطائرات من دون طيار، وأفادت صحيفة "يديعوت أحرونوت" أن سلاح الجو سيواصل تحسين قدراته فى كل ما يتعلق بكونه الذراع الطولى للجيش.

كما تشمل الخطة الخمسية تزويد سلاح البحرية بسفن متعددة الأهداف "أفضل من المتوافرة اليوم لدى القوات البحرية" ولتكون ذات قدرات مناورة كبيرة وقادرة على تنفيذ مهام محددة فى البحر، كما أقر الجنرال أشكنازى زيادة الموارد فى مجال الاستخبارات والاتصالات.

وكان الجنرال أشكنازى قد سبق له أن اقر فى جلسة الحكومة المصغرة للشؤون الأمنية والسياسية فى ٢١ مارس الماضي، والتى كرست لإطلاع الوزراء على تلخيصات ٣٠ تحقيقا داخليا أجراها الجيش عن الإخفاقات والعيوب التى ظهرت فى حرب لبنان الأخيرة. ونقلت صحيفة يديعوت أحرونوت أن الوزراء ذهلوا من الصراحة التى تميز بها أشكنازى ونائبه الجنرال (موشى كابلينسكي) ورئيس وحدة الإرشاد الجنرال "دانى بيطون" لدى تقديم التقارير للوزراء، وأشادوا بالقادة العسكريين على جرأتهم وإقرارهم "من دون خجل بالأخطاء التى وقعت" طبقا لتصريح اولمرت، فى حين قال احد الوزراء أن قيادة الجيش فحصت جديا وكشفت العيوب من دون تردد، ولم تعمل على تدوير الزوايا وتغطية العيوب، إنما حققت فى الوقائع ووضعت النقاط على الحروف، وقال أشكنازى للوزراء أن استخلاص العبر من الحرب لن ينتهى فى غضون شهرين، وهناك وحدات كاملة لم تتدرب بشكل كاف، وثمة حاجة إلى مزيد من الوقت لإعادتها إلى قدرتها السابقة. وأضاف "إن إعادة تأهيل الجيش تتطلب عملا طويلا ووضع خطة بعيدة المدى. أى أننا لن ننهى مهمتنا بين ليلة وضحاها" وقد عقب أحد الوزراء مع ذلك قائلا: "أن الجيش فى تحقيقه الداخلى لم يتردد فى جلد الذات إنما أبدى انفتاحا رائعا".

ولا تقتصر المشاكل التى يواجهها الجيش الإسرائيلى على النقص فى أنظمة التسلح والمعدات التى يحتاج إليها لمواجهة التهديدات الخارجية، سواء من جانب إيران أو سوريا أو حزب الله أو الفلسطينيين أو هؤلاء جميعا معا، بل أن الأخطر من ذلك يتمثل فى حالة التدهور النفسى والمعنوى التى أصابت الجنود الإسرائيليين وانخفاض مستوى الانضباط العسكرى بينهم فمن أبرز وأخطر المظاهر التى باتت تميز الجيش الإسرائيلى ولا تولد فقط غضب واستفزاز المسئولين فى الجيش، وإنما أصبحت مصدر قلق فى قيادة الجيش التى تبحث هذه الأيام فى ضرورة القضاء عليها أو التخفيف منها، زيادة حالات الانتحار بين الجنود، والتهرب من الخدمة العسكرية لأسباب لم تكن واردة من قبل مثل ادعاء الاعتقاد فى العقيدة النازية المعادية لليهود، ورفع شعاراتها على المنازل والأبنية المختلفة بما فيها مقار الهيئات الرسمية للدولة. وادعاء الأمراض النفسية بالحصول على تقارير طبية تفيد بذلك، حيث اتسعت هذه الظاهرة الأخيرة وبلغت نسبة التهرب من الخدمة العسكرية بسبب سوء الحالة النفسية هذه السنة واحد من كل ثمانية شبان إسرائيليين وتشير الإحصاءات فى الجيش إلى ارتفاع هذه النسبة إلى ٣٠٪ مقارنة مع عام ٢٠٠٢ . ولا تقتصر هذه الظاهرة على من يلتحق بالجيش للمرة الأولى، بل تشمل أيضا العاملين فى الخدمة منذ سنوات ويسعون إلى تركها وطلب التقاعد، كما تفاقمت جرائم أخرى بين العسكريين مثل سرقة وبيع الأسلحة والذخائر، والاغتصاب وتناول المخدرات والمتاجرة فيها. مما دفع برئاسة الأركان العامة إلى تشكيل لجنة خاصة لوضع خطة لمعالجة كل هذه المشاكل التى تؤثر سلبا على الكفاءة القتالية للقوات المسلحة الإسرائيلية.

❖ خطة التسلح الخمسية الجديدة:

وجدت قيادة هيئة الأركان العامة صعوبة فى تطبيق الخطة العشرية (كلع) بسبب نقص الموازنة. لذلك اهتمت بالتركيز على مطالب التطوير فى الخمس سنوات القادمة، وقد كشفت صحيفة معاريف بعضا من أبعاد هذه الخطة. منها زيادة موازنة القوات البرية بما لا يقل عن ٣٠ مليار شيكل، وإلغاء جميع الخطط التى كانت معدة لحل كتائب وأولوية، كما سيتم بموجب الخطة الخمسية الجديدة (تفن) التركيز على سلاح المدرعات أكثر من الماضي. وأشارت معاريف إلى أن الجيش سيواصل إنتاج الدبابة (الميركافا - ٤) فى السنوات الخمس المقبلة بعد تقوية تدريعها لتكون قادرة على تحمل هجمات الصواريخ المضادة للدبابات الحديثة ذات الشحنتين المتفجرتين، وسيتم التزود بوسائل التدريع الفاعلة بواسطة شركة (روفائيل) - هيئة تطوير وسائل القتال كما يتم التركيز الآن على تطوير منظومات متطورة قادرة على مهاجمة صواريخ العدو وتدميرها قبل أن تضرب الآليات المدرعة للجيش. أما فيما يختص بسلاح الجو فقد أشارت

معاريف إلى أن زيادة موازنة القوات البرية لن تكون على حسابه، بل ستقطع من الزيادات المخصصة لوازنة الدفاع.

وتتضمن الخطة الخمسية للأعوام من ٢٠٠٨ إلى ٢٠١٢ تزويد سلاح الجو بـ ٥٠ مقاتلة F-35 بكلفة ٣ مليار دولار، إضافة إلى الحصول على الطائرة F-22 المحظور تصديرها أمريكيا إلى الآن هذا إلى جانب شراء كمية كبيرة من القنابل الذكية وطائرات النقل (هركوليز) أما فيما يتعلق بالسلاح البحرى فقد تقرر شراء، فرقاطة C S امن إنتاج شركة لوكهيد مارتن الأمريكية، و٢ مروحية طراز بلاك هوك، ووسائل قتالية فعالة لعناصر الكوماندوز البحري، وتقدر تكلفة هذه الصفقات لصالح سلاح البحرية بنحو ٦٠٠ مليون دولار، إضافة إلى شراء غواصة دولفين إضافية بكلفة إجمالية نحو مليار يورو على أن تدخلا الخدمة الفعلية بعد سبع سنوات، وبذلك يصبح إجمالى عدد الغواصات من هذا النوع خمسة فى البحرية الإسرائيلية.

أما بالنسبة لقوات الاحتياط، فقد ذكرت الصحيفة عن مصادر عسكرية قولها أن قيادة هيئة الأركان تخطط لإجراء ثورة حقيقية فى هذه القوات، تستثمر فيها نحو ٤٢٠ مليون دولار لشراء معدات عسكرية لوحدات الاحتياط بهدف مساواتها بقوات الخدمة العسكرية النظامية.

وعن مواجهة مشكلة التصدى للصواريخ ارض / أرض التى عانت منها إسرائيل كثيرا فى الحرب الأخيرة، فقد أفادت صحيفة هاآرتس أن إسرائيل تجرى اتصالات مع شركة لوكهيد مارتن الأمريكية لشراء منظومة (ثاد THAAD) المضادة للصواريخ بدلا من مواصلة تطوير جيل جديد من صواريخ (حيتس) الإسرائيلية، هذا رغم أن المنظومة ثاد فشلت فى التجارب الأولى قبل عشر سنوات ولكنها حققت نجاحا فى عام ٢٠٠٦ وفى عدد من التجارب أسقطت صواريخ معادية، كما أن هذه المنظومة تتضمن عناصر تكنولوجية ليست جزءا من الجيل الحالى لصواريخ حيتس. وتقدر واشنطن بأن تتمكن الولايات المتحدة من تزويد إسرائيل بمنظومة صواريخ ثاد عام ٢٠٠٩ بعد استكمال تطويرها وأجراء تجارب إضافية تسمح بنشرها عمليا، وتضمينها تكنولوجيا أكثر تطورا من الطراز الحالى الذى تستخدمه القوات الأمريكية. ولكن بالنظر لتمسك إسرائيل بسياستها التى تستهدف الاستقلال التكنولوجى العسكرى عن أمريكا لذلك ستستمر فى تطوير منظومة (حيتس / أور) المضادة للصواريخ.

وفى إطار ربط أنظمة الدفاع الإسرائيلية والأمريكية، ذكرت صحيفة هاآرتس أن إسرائيل ترغب فى تعزيز احتمال قيام الولايات المتحدة بنشر أنظمة دفاع صاروخية على أراضيها فى حالات الطوارئ. وبذلك يتحقق نوع من "الربط العملياتي" بين أنظمة الدفاع الإسرائيلية والأمريكية فى إطار مشروع قائم منذ سنوات بين الدولتين يشمل أساسا توحيد الإنذار القادم من أقمار التجسس الأمريكية بإطلاق صواريخ معادية على إسرائيل، بحيث يصل إلى مراكز القيادة والسيطرة والإنذار الأمريكية والإسرائيلية فى وقت واحد، هذا إلى جانب نشر بطاريات صواريخ أمريكية (باتريوت باك -٣) المضادة للصواريخ والطائرات على الأراضى الإسرائيلية، وربطها بأنظمة الدفاع الجوى والصاروخية الإسرائيلية. وقد تم التدريب على ذلك فى مناورات مشتركة، كما طالب الجيش بربط الرادارات فى السفن التى تحمل صواريخ (ايجيس) بمنظومة الدفاع الإسرائيلية فى حالات الطوارئ.

◆ الاستعداد لحرب شاملة:

وفى إطار الاستعداد الإسرائيلى لمواجهة حرب شاملة، قال اللواء احتياط (إيل بن راؤوفين) الذى كان قائدا للجبهة الشمالية فى الجيش الإسرائيلى خلال حرب لبنان الثانية فى يوليو الماضى أن جيش بلاده يستعد لاحتمال نشوب حرب شاملة فى المنطقة ونقلت وسائل الإعلام الإسرائيلية عنه قوله خلال ندوة حول "جوانب مختلفة للحرب" أقيمت فى معهد أبحاث الأمن القومى بجامعة تل أبيب يوم ١٦ يوليو ٢٠٠٧" إن الجيش الإسرائيلى يجهز نفسه اليوم لحرب شاملة، وهذا تغير مهم فى نهج الجيش بعد حرب لبنان الثانية. وأضاف بن راؤوفين أنه "بواسطة الاستعداد لحرب شاملة" يمكن مواجهة الإرهاب الفلسطينى وليس العكس كما جرت الأمور حتى الآن حيث كانوا يواجهونه ويعتقدون أن الجيش سيكون مستعدا بهذه الطريقة لتوفير رد فى حال نشوب حرب شاملة". وقال أنه فى حال اندلعت حرب مع سوريا فان إسرائيل ستواجه تحديا مركبا لأن السوريين يدركون أنهم سيكونون فى موقع ضعيف فى المعارك مقابل الجيش الإسرائيلى "وسيكونون مستعدين لتلقى ضربة عسكرية ومدنية، لكنهم سيتطلعون إلى ضرب الجبهة الداخلية الإسرائيلية، ومن هنا فإن مهمة الجيش الإسرائيلى ستكون مركزة للغاية، وسيضطر إلى أن يكون سريعا مع

تحييد ما أمكن من المجالات الاستراتيجية التى تهدد البطن الرخو فى إسرائيل، وبها يمكن عمليا منع الإنجاز الذى يتطلع السوريون إلى تحقيقه" وأضاف أنه "لو كان قد تم تنفيذ عملية عسكرية برية واسعة من هذا النوع فى لبنان خلال الحرب الأخيرة لكانت نتائجها مختلفة".

ويبذل الجيش الإسرائيلى جهود كبيرة للتدريب على مثل هذه العمليات القتالية البرية الواسعة، كان أخرها ما جرى فى أغسطس الماضى بقرية الفريديس الواقعة فى الجنوب من مدينة حيفا، حيث أجرت وحدات مدرعة ومشاة وقوات خاصة ووحدات لوجيستية ضمت عناصر إسعاف ونجدة طوارئ تدريبات ليلية فى المناطق الجبلية بهذه القرية وحولها، حيث تتشابه طبيعة الأرض فيها مع المناطق الجبلية بجنوب لبنان، وتحديدا فى منطقة الظهرات المتواجدة فى سفوح جبال الكرمل، حيث استمرت التدريبات لوحدات الجيش المختلفة المشتركة فى المناورة على عمليات تسلق الجبال واختراق عمق الأراضى بعد تطويقها، وكان ذلك على مدار الساعة وبالذخيرة الحية.

وعن الدور الأمريكى فى استعداد إسرائيل للحرب الشاملة، فإنه بموجب بروتوكول اتفاق وقع بين البلدين فى ١٦ أغسطس الماضي، أصبح فى إمكان إسرائيل الاعتماد على مساعدة عسكرية أمريكية قيمتها ثلاثة مليارات دولار سنويا، وتسهم ثلاثة أرباع قيمة المساعدة فى تمويل عمليات شراء أسلحة من شركات أمريكية والرابع المتبقى لشراء معدات عسكرية من شركات إسرائيلية. إلا أن المحللين الاستراتجيين فى البلدين يرون أن العلاقات الاستراتيجية القائمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل منذ نحو ٤٠ عاما معرضة للانهيار بسبب تغير الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط، وعدم قدرة الولايات المتحدة على تحقيق النصر فى العراق، أو اتخاذ قرار حاسم بشأن البرنامج النووى الإيرانى فى الوقت الذى تبرز فيه إيران كقوة إقليمية كبرى بشكل من الممكن أن يقلب موازين القوى فى المنطقة، هذا بالإضافة لتورط الولايات المتحدة فى عدد من القضايا السياسية والحروب فى كثير من الدول الأخرى مثل أفغانستان وسوريا ولبنان وروسيا وفلسطين، وهى حقائق لابد أن تعيد معها الولايات المتحدة ترتيب أولويتها فى الشرق الأوسط مع بداية عام ٢٠٠٩، ومع تولى إدارة جديدة للبيت الأبيض وبما لا يتعارض مع المصالح الأمريكية - الإسرائيلية المشتركة.

◆ رؤية تحليلية:

مما لا شك فيه أن إقرار رئاسة هيئة الأركان العامة لإسرائيلية للخطة الخمسية الجديدة، بموازنة تبلغ ٦٠ مليار دولار - طبقا لما نشرته مجلة Defines News - ستغطى المساعدات الأمريكية (٣,١ مليار دولار) ثلثها تقريبا، إنما يعكس مدى تداعيات حرب لبنان يوليو ٢٠٠٦ على المؤسسة العسكرية الإسرائيلية - فطبقا "لتصريح نائب وزير الدفاع السابق وعضو الكنيست (إفرايم سينيه) أن الحرب الأخيرة أيقظت إسرائيل من سبات عميق، لذلك فهى تسعى اليوم لاستعادة مكانتها العسكرية وهيبة الردع التى تحطمت على أيدى المقاومة اللبنانية، واضعة فى اعتبارها عدة أولويات حول أمكان نشوب حرب جديدة قد تشمل سوريا وإيران ولبنان معا.

من هنا جاء تركيز الخطة الخمسية الجديدة على الدور البارز الذى ستلعبه القوات البرية - خاصة المدرعة والمشاة والقوات الخاصة- فى الحرب القادمة، ورغم انه لن يكون للقوات البرية دور فى العمليات العسكرية المتوقعة ضد إيران، حيث ستلعب القوات الجوية الإسرائيلية الدور الرئيسى فيها، إلا أن القوات البرية مستفيدة من دروس حرب لبنان الأخيرة ستلعب دورا بارزا ورئيسيا فى أى عمليات عسكرية مقبلة ضد سوريا وحزب الله فى لبنان، سيعتمد بشكل أساسى على نقل المعركة إلى أراضى الخصم من خلال العودة لأساليب الاحتراق العميق وعمليات الالتفاف والتطويق. والعمل التى تقوم بها أساسا القوات المدرعة بالاشتراك مع قوات الأبرار الجوى فى إطار ما يسمى بـ"الحرب الجو برية" والتى يتم فيها التعامل مع جميع أهداف الخصم فى المواجهة أو العمق والأجناب فى وقت واحد.

لذلك جاء تركيز الخطة الخمسية الجديدة على إنشاء فرقتين مدرعتين ولواء مشاه احتياطى جديد ابتداء من السنة المقبلة عام ٢٠٠٨، بعدما كانت تخطط قبل حرب لبنان الأخيرة لتقليص حجم القوات البرية بنحو ١١ ألف جندى ووقف إنتاج الدبابة (الميركافا) وفى إطار نفس دروس تلك الحرب من المتوقع أن تقلل إسرائيل بشكل كبير من اعتمادها المفرط على التكنولوجيا فى التدريب والقتال، وتعود إلى المبادئ الأساسية لخوض الحروب التقليدية التى تعتمد على هجوم القوات المدرعة تحت ستر الدعم الجوى (المساندة النيرانية القريبة) ضمن عقيدة الحرب الخاطفة التى طبقتها القوات الإسرائيلية بنجاح فى حروبها السابقة ضد الجيوش العربية. إذ أن الجديد

فى هذا الأمر هو أهمية التدريب العملى الحى - وليس بواسطة أجهزة المحاكاة - على كيفية التعامل مع قوات شبه عسكرية معادية - مثل حزب الله وحماس - تحترف أساليب حرب العصابات ومن الصعب تمييز مواقعها على الأرض لقصفها مسبقا قبل الهجوم عليها، ومن هنا ستبرز الحاجة لتطوير وتكثيف وسائل الاستطلاع البرى والجوى والالكترونى والفضائى لتحديد مواقع هذه القوات المعادية ورصد وتتبع تحركاتها. أما ما نشر عن تزويد التشكيلات المدرعة والميكانيكية بدبابات (ميركافا - ٤) مطورة وكذلك ناقلات جند مدرعة طراز (نمر) بأجهزة استشعار الكترونية طراز (Trophy) للحماية الفعالة ضد الصواريخ المضادة للدبابات والتشويش عليها وتجنبها، كما تعطى إنذارا باقتراب الصاروخ المضاد للدبابات المعادية، وذلك بوقت كاف يسمح بإطلاق ستارة دخان حول موقع المركبة المدرعة ليبطل مفعول شعاع الليزر الذى يوجه الصاروخ المعادي، وأيضا بما يمكن الطاقم من سرعة تغيير موقع الدبابة أو العربة المدرعة. هذا إلى جانب تزويد هذه المركبات القتالية بدروع مقواه (شوبهام أو ارتجاعية Re - active) فهو فى إطار تحييد الصواريخ المضادة للدبابات المتطورة (خاصة كورينت الروسية) وتأمين استمرار فاعلية قوة الصدمة التى تتمتع بها القوات المدرعة الإسرائيلية فى عملياتها الهجومية.

أما فيما يتعلق بالقوات الجوية والتى يعتبرها بعض القادة فى إسرائيل أكبر ضحايا هذه الخطة الخمسية الجديدة وهو ما تمثل فى تخفيض عدد الطائرات F-35الهجومية المتطورة إلى ٢٥ طائرة فقط، وإلغاء طائرات مروحية حديثة طراز (أباتشى لونج بو) ومقاتلات F-15 إلا أن ذلك لا يعنى إغفال أهمية تطوير القوات الجوية لتناسب المهام القتالية الجديدة التى ستواجهها سواء فى مجال قصف أهداف بعيدة مثل المتواجدة فى إيران، وما يتطلبه ذلك من توافر طائرات إعادة تموين بالوقود فى الجو، أو استخدام ذخائر خاصة قادرة على تدمير أهداف متواجدة فى تحصينات قوية على عمق تحت الأرض كتلك التى كانت تتحصن فيها قوات حزب الله فى جنوب لبنان أو المنشآت النووية الإيرانية.

وبالنسبة للقوات البحرية الإسرائيلية فأن تعزيزها بفرقاطتين طراز (سعرره) مجهزتين بأنظمة نيران هجومية ودفاعية متطورة بالإضافة لغواصتين دولفين، سيعطى القوات البحرية قدرة على العمل فى المياه العميقة Blue water Navy وتوجيه ضربات صاروخية بواسطة صواريخ كروز نووية تكتيكية ضد أهداف إيرانية من خليج عمان، إضافة إلى إحكام الحصار على السواحل السورية وقطع خطوط سوريا البحرية فى حالة نشوب حرب، ومنع وصول إمدادات بحرية إلى حزب الله فى لبنان.

يتضح من دراسة إبعاد الخطة الخمسية الجديدة أن أهدافها تتمحور حول الآتي:

أ- تعزيز القوات البرية كما ونوعا حتى تكون قادرة فى الحروب القادمة على تحقيق السيطرة السريعة على أرض المعركة وذلك عبر المناورة ببعديها الأفقى والرأسى وسرعة الحركة.

ب- تقوية الذراع الطويلة للقوات الجوية وأعمال التجسس الفضائى لتأمين السيطرة الجوية المطلقة على كل أبعاد منطقة الشرق الأوسط الجديد (طبقا للمفهوم الأمريكي).

ج- تحسين التفوق النوعى للقوات البحرية وتعزيز سيطرة إسرائيل على مياهها الإقليمية، والقدرة على قطع خطوط المواصلات البحرية للدول العربية التى لها سواحل البحرين الأحمر والمتوسط.

كما تعكس الخطة الإسرائيليان أيضا استعداد إسرائيل لمواجهة أربعة سيناريوهات حرب محتملة هي:

أ- حرب شاملة برية وجوية ضد سوريا.

ب- مواجهة عسكرية مع إيران أدواتها القوات الجوية والصاروخية مع احتمال استخدام صواريخ كروز ذات رؤوس نووية تكتيكية من الغواصات أو منصات أرضية.

ج- حروب منخفضة الوتيرة ضد قوى وميليشيات مسلحة مثل حزب الله وحماس والجهاد.

د- تدهور الأوضاع الأمنية فى المنطقة نتيجة ظهور أنظمة جديدة معادية لإسرائيل.

مصطلحات عبرية

إعداد: وحدة الترجمة

١- دورى يعقوب (دوستروفسكي):

رئيس قيادة الهاجاناه، وأول رئيس أركان للجيش الإسرائيلي، ولد فى روسيا عام ١٨٩٩، وهاجر مع أسرته إلى فلسطين عام ١٩٠٦ اشترك فى أول دورة عقدت فى مدرسة هرئيلى فى حيفا، وتطوع فى الكتيبة العبرية فى فلسطين، وفى أحداث عام ١٩٢١ ساعد فى الدفاع عن تل أبيب، وعن أحياء اليهود فى يافا التى تعرضت لاعتداءات العرب فى يافا الذين حاولوا اقتحام الأحياء اليهودية بعد حل الكتائب العبرية فسافر إلى الخارج ودروس الهندسة، وبعد عودته تفرغ لشئون الأمن وتنظيم الهاجاناه فى حيفا وقد نقل إلى منصب نائب قائد وبعد ذلك أصبح قائدا للمدينة، وانكب على تطوير أساليب التدريب والدورات للقادة والجنود. وادخل التدريب الرياضى الموسع للأعداد العسكرى للشباب المتعلم فى مدرسة هرئيلى فى المدينة وبعد ذلك فى جميع فلسطين، وعين رئيسا لقسم التدريب القطرى فى الهاجاناه، ورئيسا للقيادة العامة فى ١٩٣١، وفى ١٤ مايو ١٩٤٨ تحولت منظمة الهاجاناه إلى جيش أطلق عليه اسم جيش الدفاع الإسرائيلى وعين يعقوب دورى أول رئيس أركان للجيش الإسرائيلى وشغل هذا المنصب، حتى تشرين ثان ١٩٤٩، وبين عامى ١٩٥١ - ١٩٦٥ عمل رئيسا للتخنيون فى حيفا. كان يسمى فى الحركة السرية "دان" وقد توفى عام ١٩٦٥ .

٢- هاياكارهاتسعير - "الفلاح الشاب":

مجموعة من العمال فى عهد الهجرة الثانية أخذوا على عاتقهم لوقت ما إدارة وفلاحة مزرعة طبريا، وكان أفراد هذه المجموعة الذين تزعمهم اليعيزر يافه واليمليخ لفين ينوون إقامة قرية تعتمد على التعاون الشامل وكان اليعيزر وزملاؤه فيما بعد من المشاركين فى إقامة المستوطنة العمالية الأولى "نهلال".

٣- هجيرا يهوديت - "هجرة يهودية":

ظاهرة فى حياة الشعب اليهودى منذ أن فقد للمرة الأولى استقلاله السياسى بعد خراب الهيكل الأول، فى القرن السادس قبل الميلاد، فى عهد نبوخذ نصر ملك بابل، وقد هاجر بعض اليهود إلى مصر حتى قبل هجرة بابل، وكان هناك مستوطنات يهودية فى أنحاء العالم فى الفترة الهيلينية، وفى الإمبراطوريات الرومانية وفى عدد من المناطق الأوروبية وفى أعقاب انتشار المسيحيين ومطاردة اليهود تزايدت هجرة اليهود فى الشرق إلى بلدان أخرى فى أوروبا وأفريقيا والبلدان العربية وأصبحت بابل مركزا وروحيا كبيرا لجميع الجاليات الإسرائيلية ومنذ القرن السابع للميلاد وحتى القرن الثانى عشر أقيمت مراكز للمهاجرين اليهود فى أسبانيا وأشكناز، وبجزء من فرنسا وإيطاليا وفى إنجلترا ومنذ القرن الثالث عشر وحتى أواسط القرن السابع عشر برزت تجمعات يهودية فى بولندا وإيطاليا وتركيا. وبعد الأحداث الدامية التى وقعت ضد اليهود فى أواسط القرن السابع عشر توجه تيار المهاجرين من اليهود مرة أخرى إلى دول الغرب وإنجلترا وهولندا وفرنسا، وفى مطلع القرن التاسع عشر تزايدت هجرة اليهود إلى أمريكا، وهاجر قسم ضئيل فقط من اليهود إلى أرض إسرائيل حتى نهاية القرن التاسع عشر، وابتداء من مطلع القرن العشرين ازداد تيار المهاجرين اليهود من أوروبا الشرقية وخاصة بعد الأحداث، والانقلابات والحروب فى روسيا القيصرية فهاجر أكثر من مليونى يهودى من روسيا فقط، وفى أعقاب تسلم النازيين الحكم فى ألمانيا والكارثة التى أصابت يهود أوروبا تصاعدت موجة هجرة اليهود إلى الدول الأمريكية والفرنسية والإنجليزية وتدفق مئات الآلاف إلى فلسطين التى احتلت المكان الأول فى استقبال المهاجرين واللاجئين اليهود. ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية هاجر إلى فلسطين أكثر من مليون ونصف المليون من اليهود، أى ٨٠٪ من مجموع المهاجرين اليهود فى العالم فى تلك الفترة.

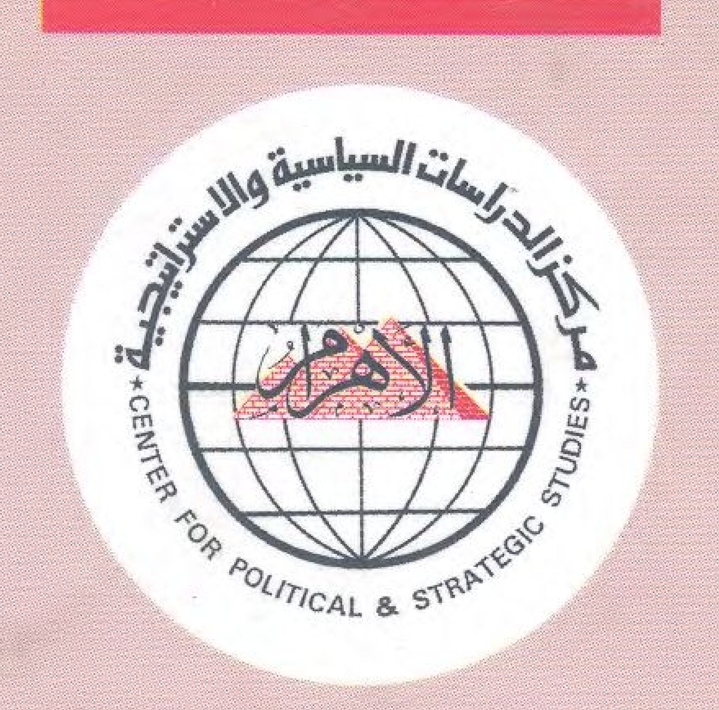
الصحف الرئيسية فى إسرائيل

م	اسم الصحيفة	معناها باللغة العربية	تاريخ التأسيس	الجهة المؤسسة	أعداد التوزيع
١	يديعوت أحرونوت (يومية)	أخر الأخبار	١٩٣٩	ملكية خاصة لعائلة موزيس الإعلامية	الصحيفة الأكثر توزيعاً فى إسرائيل إذ يقرأها حوالى ثلثى قراء الصحف العبرية، حيث توزع ٣٠٠ ألف نسخة يومياً و٦٠٠ ألف نسخة للعدد الأسبوعى (الجمعة)
٢	هاآرتس (يومية)	الأرض	١٩١٩	مالكة هذه الصحيفة هى كتلة الإعلام "شوكين"	العدد اليومى (٦٥ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٧٥ ألف نسخة)
٣	معاريف (يومية)	صلاة الغروب	١٩٤٨	ملكية خاصة لعائلة نمرودى الإعلامية	العدد اليومى (١٦٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٢٧٠ ألف نسخة)
٤	هاتسوفيه (يومية)	المراقب	١٩٣٨	المفدال (الحزب الدينى القومى)	العدد اليومى (٦٠ ألف نسخة)
٥	جيروزاليم بوست (يومية)	بريد القدس	١٩٣٢	ملكية خاصة لمجموعة جريشون أجررون	العدد اليومى (٣٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٥٠ ألف نسخة) (توزع يوميا طبعة دولية فى أمريكا الشمالية وطبعة أسبوعية باللغة الفرنسية فى أوروبا)
٦	جلوبس (يومية اقتصادية)	-	١٩٨٣	شركة "جلوبس لتونوت للنشر" التى تمتلكها مجموعة مونتين	٤٠ ألف نسخة
٧	هاموديع (يومية)	المخبر-	-	حزب أجودات يسرائيل	العدد اليومى (٢٥ ألف نسخة) توزع نسخة أسبوعية باللغة الإنجليزية

رقم الإيداع ٣٠٠٦ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى 6 - 229 - 227 - 977 .I.S.B.N

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر



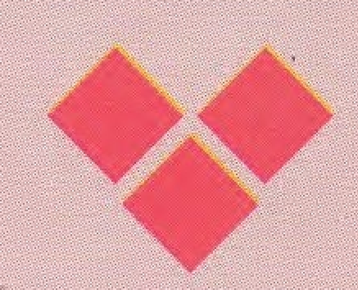


النشاط والأهداف

انشئ المركز فى عام ١٩٦٨ كمركز علمى مستقل يعمل فى إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعى العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والأقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة آلاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).



مطابع الأهرام التجارية. قليوب. مصر